الأمة

Al Ummah

اسلامية . شهرية . جامعة

العدد الرابع والخمسون ـ السنة الخامسة ـ جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ آذار (مارس) ١٩٨٥م

في أفغانستان مأزق الحرب الطويلة

إسرائيل: تستقبل الهجرة الرابعة

■ جامع السليمانية ـ استانبول ـ تركيا ـ ٩٥٧هـ ـ ١٥٥٠م

12 6659621

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمة
Al Ummah
اسلامية شهرية جامعة

تصدر في غرة كل شهر عربي عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر

An Islamic Monthly published by the Presidency of Sharia Courts & Islamic Affairs, State of Qatar, at the beginning of every Hijri Month.

من الصدر

رابطة للكتاب الإسلاميين

■■ من الأهمية بمكان الإدراك ان المعارك الفكرية هي الأخطر دائماً في حياة الأمم وبنائها الحضاري، وان ساحة الصراع الفكري هي الميدان الحقيقي للمعركة، وان الله سبحانه جعل جهاد المسلم الدائب، هو المجاهدة بالقرآن قال تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً ﴾ ونحن ـ المسلمين ـ لسنا بحاجة لأدلة وشواهد على ذلك، وقد وُلدت امتنا وحملت رسالتها إلى الإنسانية من خلال صفحات هذا الكتاب، وابتدات الخطوة الإسلامية الأولى من غار حراء وسلاحها الأوحد إلى العالم ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ وتجاوزت مبادىء الإسلام البلاد المفتوحة لتعم العالم بقوة نفاذها وحسن إبلاغها، فالمعركة في حقيقتها فكرية، والمشكلة في جذورها ثقافية، والصراع عقيدي وإن اتخذ مظاهر شتى. ولقد اصبح سلاح الكلمة اليوم اقوى تاثيراً واكثر نفاذاً، وتطور فن الكتابة والإعلام إلى درجة يستطيع معها أن يوهم ان الحق باطل وان الباطل حق، «وإن من البيان لسحراً» واصبح له اسراه وضحاياه، ويزداد الموضوع اهمية من خلال الصور التي طرات على شكل الدولة الحديثة، وتقدم وسائل الاتصال، وإطلاق الاقمار الصناعية التي سوف تغرق العالم بسيل من المعلومات والأفكار، ولا تدع لهم فرصة للاختبار والاختيار، حتى إن كثيراً من الدول باتت تفكر بسبل الحماية والمواجهة. لقد اصبحت بلاد الدنيا ضواحي لدولة الاقوياء، وبدات فعلاً مرحلة الدولة العالمية والمؤسسة العالمية، سواء اعترفت بذلك الأنظمة السياسية الإقليمية او تجاهلته، ولم تعد قضية العزلة والنزوع إلى الفردية قضية اختيارية؛ من هنا نقول: بان الجهود الفردية مهما بلغت سوف تبقى جهوداً ضائعة محدودة الأثر، والرؤية الفردية مهما شملت هي رؤية حسيرة، وإمكانات الأفراد مهما بلغت هي دون سوية الإحاطة بالقضايا والمشكلات كلها والقدرة على مواجهتها واختيار الوسيلة الملائمة لذلك، هذا إلى جانب العجز عن تصنيف تلك المشكلات وترتيب الأولويات المطلوبة في المعالجة، والقصور ايضاً عن الوجود والمشاركة في القضايا العالمية التي باتت مفروضة ولا بد من راي فيها وموقف تجاهها.

وفي عصر الدولة العالمية والروابط العالمية لم يبق مجال للمبادرات الفردية، وإن الكثير من قضايانا الفكرية ومشكلاتنا الثقافية على الساحة الإسلامية ما تزال تحكمها روح العفوية وتتحكم فيها الرؤى الفردية، ونحن بهذا لا نريد ان نغمط الأفراد حقهم ولا ان نقلل من شان ما قدموا، خاصة أولئك الذين اتسمت مساهماتهم بالصبغة العالمية، وإنما نرى ان المطلوب بإلحاح هو الانتقال إلى الرؤية الجماعية ووضع استراتيجية ثقافية او خطة ثقافية ياخذ كل منا فيها بطرف من خلال روح فريق العمل الجماعي، حتى لا يضرب كلٌ في اتجاه فتتبعثر جهودنا، وحتى لا نكرر انفسنا فيضيع ويتبدد إنتاجنا وتستغرقنا القضايا المحلية والجزئية، وتحول دون مشاركتنا ومساهمتنا في مرحلة الفكر العالمي المتساوق مع رسالة الإسلام العالمية ومهمة المسلم في البلاغ المبين.

إن الأعداء يقاتلوننا كافة، والمعركة الحقيقية هي معركة الكلمة، والسلاح الفاعل هو سلاحها فلماذا نواجه عدونا متفرقين، والله تعالى يقول: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾.

من هنا كانت هذه الدعوة إلى قيام رابطة للكتاب الإسلاميين التي نرجوا لها من الإخوة المفكرين والكتّاب الإغناء بالدراسة والمقترحات حتى تتبلور الفكرة وتاخذ طريقها إلى الوجود إن شاء الله، لعلها تخرج بنا من التبعثر إلى التجمع، ومن تبديد الجهود إلى توحيدها، ومن العفوية إلى الصورة المبرمجة المخططة ومن الاقتصار على معالجة المشكلات الإقليمية إلى المشاركة في القضايا العالمية، بعيداً عن العواصف والتقلبات السياسية التي تحاول اقتلاع زروعنا قبل استوائها على سوقها، والله المسؤول ان يسدد الخطا ويلهم الصواب. ■■

المشرف العام

عبد الرحمن بن عبد الله آل محمود

President
Abdulrahman Abdulla Al Mahmoud

رئيس التحرير

يوسف عبد الرحمن المظفر

Chief Editor
Yousuf Abdulrahman Al Muzaffar

مدير التحرير

عمر عبيد حسنه

Editonal Director
Ummar Ubaid Hasna

التحرير والإدارة

Editorial Offices & Administration

هاتف ـ (بدالة)	:	٤٤١٥١٠
رئيس التحرير	:	٤٤٧٠٢٢
مدير التحرير	:	٤٤١٨٣٠
القسم الفني	:	٤٤١٨٨٧
هيئة التحرير	:	٤٤٧٣٠٠
تلكس	:	٤٩٩٩ الأمة د هـ
برقياً	:	الأمة الدوحة
ص . ب	:	٨٩٣ الدوحة ـ قطر

Tel.: (PABX) 441510	DOHA
Chief Editor	447022
Editorial Director	441830
Editing Staff	441887
Editor Staff	447300
Telex:	4999 Al Ummah DH
Cables:	Al Ummah DOHA

Mailing Address:
P. O. Box 893 DOHA QATAR

مايُنشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

طبعت بمطابع الدوحة الحديثة ـ قطر

صـــورة الغـــلاف

■■ لقد أدرك يهود منذ اللحظات الأولى ، وفي طريقهم إلى إقامة دولتهم في الأرض المقدسة ، ان ذلك لن يتم ويستمر ويتوطد إلاَّ باجتذاب يهود من جميع انحاء العالم ، لأن هذه الهجرة هي الروح المستمر الذي يضمن لـ « إسرائيل » ديمومة الحياة ... ولم تكن هجرة (الفلاشا) هي الأولى في هذا السبيل ، فقد سبقها عام ١٩٥٠م هجرة ستين ألف يهودي من اليمن عبر جسر جوي بين عدن والأرض المحتلة ، وفي عام ١٩٥١م هجرة يهود من العراق عن طريق قبرص ، وبين عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٧م هجرة يهود من شمالي أفريقيا عن طريق فرنسا ... وتاتي الآن الهجرة الرابعة ، هجرة (الفلاشا) من إثيوبيا إلى الأرض المحتلة ... ■■

□ الغلاف بريشة : الفنان عصـام عزوز □

الإخراج الفني مجدي نجيب

الاشتراك السنوي Annual Subscription

للأفراد

- في قطـر ٣٠ ريالاً قطرياً .
- في الدول العربية والآسيوية والافريقية : ٤٠ ريالاً قطرياً او ١١ دولاراً امريكياً او ما يعادلها .
- في الأمريكيتين واوروبا واستراليا ١٢ دولاراً امريكياً او ما يعادلها .

- Asia & Africa, for individuals U.S.$ 11, for Govt. & Private organizations U.S.$ 22.
- America, Europe & Australia for individuals U.S.$ 12, for Govt. & Private organizations U.S.$ 25.

للدوائر الحكومية والشركات والمؤسسات

- في قطـر : ٧٥ ريالاً قطرياً
- في الدول العربية والآسيوية والافريقية : ٨٠ ريالاً قطرياً او ٢٢ دولاراً امريكياً
- في الأمريكيتين واوروبا واستراليا : ٢٥ دولاراً امريكياً .

■ ترسل الاشتراكات باسم مجلة الأمة ■

المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة

وكلاء التوزيع

البلد	اسم الوكيل	وعنوانه
قطر	□ دار الثقافة	ص . ب ٣٢٣ الدوحة
الإمارات	□ مكتبة دار الأمان	ص . ب ٤٦٩٥ أبوظبي
»	□ المكتبة الحديثة	ص . ب ١٥٥٤ العين
»	□ مكتبة دبي للتوزيع	ص . ب ١٥٢٦ دبي
البحرين	□ جمعية الإصلاح الاجتماعي	ص . ب ٢٢٢٨٢ المحرق
السعودية	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان	ص . ب ١٤٠٥ الرياض
»	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع	ص . ب ٨٠٧٠ جدة
»	□ » »	الدمام
عمان	□ المؤسسة العربية للتوزيع والنشر	ص . ب ١٠١١ مطرح سلطنة عمان
الكويت	□ دار القلم : للطباعة والنشر والتوزيع	ص . ب ٢٠١٤٦ الكويت
الأردن	□ وكالة التوزيع الأردنية	ص . ب ٣٧٥٠ عمان
»	□ مكتبة دار الأرقم	ص . ب ٩٢٦٢٨٧ عمان
تونس	□ الشركة التونسية للتوزيع	ص . ب ٤٤٠ تونس 5 ش قرطاج - تونس
الجزائر	□ المؤسسة الوطنية لتوزيع الصحافة	38sis شارع ديدوشي مراد - الجزائر
السودان	□ دار التوزيع	ص . ب ٣٥٨ الخرطوم
لبنان	□ مؤسسة الجزيرة للخدمات والتوزيع بيروت - لبنان	ص . ب ٧٣٨٥ بيروت
مصر	□ شركة توزيع الأخبار	ص . ب ٧ القاهرة
المغرب	□ سبريس	ص . ب ٨ ــ ٧٠ زنقة سجلماسة الدار البيضاء
اليمن	□ مؤسسة سبأ العامة للصحافة والأنباء	ص . ب ٢١٩٥ صنعاء

Distributing Agents

ماليزيا	MUSLIM YOUTH MOVEMENT OF MALAYSIA,	KUALALUMPUR 2207, MALAYSIA
باكستان	PARADISE BOOK STALL	SHAHRAH E-IRAQ KARACHI 3 PAKISTAN
انجلترا	THE MUSLIM INFORMATION SERVICE, 233 SEVEN SISTERS ROAD,	LONDON N4 ENGLAND
	GULF MEDIA CENTRE	43/441 GLARGES STREET LONDON WIY 7PJ U.K.
فرنسا	GROUPMENT ISLAMIQUE EN FRANCE	121, BOULEVARD DE MENLLMONTANT 1, CITE DE L'AVENIR 75011 PARIS FRANCE
المانيا	ISLAMISCHE GEMEINSCHAFT IN	DEUTSCHLAND E.V. MANZER LANDSTR. 176 6000 FRANKFORT A. M. W. GERMANY
هولندا	NVR AL SONNAH IMPORT EN EXPORT	TOLISTRAAT 42 1073 SC AMESTERDAM - HOLLAND
بلجيكا	AL-IMENSPRL	B.D.M. LEMONNIER 196 1000 BRUXELLES, BELGIQUE.

ثمن النسخة

قطر	٣	ريالات
السعودية	٣	ريالات
الكويت	٢٠٠	فلس
البحرين	٢٠٠	فلس
الامارات	٣	دراهم
عمان	٢٠٠	بيسة
اليمن الشمالي	٢٠٠	فلس
اليمن الجنوبي	٢٠٠	فلس
العراق	٢٠٠	فلس
الأردن	٢٠٠	فلس
سوريا	٢٠٠	قرش
لبنان	٢٠٠	قرش
مصر	٢٠٠	مليم
السودان	٢٠٠	مليم
ليبيا	٢٠٠	درهم
الجزائر		ديناران
تونس	٢٠٠	مليم
المغرب		درهمان
دول آسيا وافريقيا		نصف دولار امريكي

● في الأمريكيتين واوروبا واستراليا دولار امريكي او ما يعادله .

في هذا العدد

● كلمـــة الأمـــــــــة ٤
● (قضيــة للمناقشــة) :
أين الخلل ؟ وقفة مع الأمة الإسلامية الدكتور يوسف القرضاوي ١٠
● حديقـــة الأمـــــة ١٤
● بطاقـــة مـــن قــارىء ١٦
● النقد الموضوعي منهج قرآني .... السيدة حنان لحام ١٧
● عندما أعلن المسلمون الجهاد في البرازيل ....
.... الدكتور انس الشيخ علي ٢٠
● خرافة الأسرة .. أم خرافة الفكرة ؟! .... الدكتور عماد الدين خليل ٢٦
● نزِّهوا حرية الرأي عن هذا العبث ....
.... الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ٣٠
● (اســـتطلاع) :
في المكتبة السليمانية باستانبول :
الكتاب الإسلامي .. دليل نهضة وشاهد إدانة ٣٣
● مناظرات بين النصرانية والإسلام ..... الدكتور عبد الجليل شلبي ٤٢
● المنطقة النقدية والمصرف الإسلامي .... محمد فوزي حمزة ٤٤
● الطريق إلى محمد ﷺ (شعــر) .... يوسف الخطيب ٤٦
● في أفغانستان ... محاولة الحسم العسكري ومأزق الحرب الطويلة
في حوار مع عدد من قادة المجاهدين الأفغان ٤٨
● العلــم والحيــــاة ٥٦
● الوعــد الحــق (قصة قصيرة) .... حمدي إبراهيم محمد ٥٨
● (كتـــاب في مقـــال) :
الإســلام وأزمـــة الغــرب .... عرض معالي عبد الحميد حمودة ٦٠
● تصريحـــات وأقـــوال ٦٤
● تاريخ حرب المحرقات ونتائجها اللواء الركن محمود شيت خطاب ٦٥
● أمـــة معرضة للخطر .... إعداد محمد محيي الدين الأصفر ٧٠
● (الأســـرة المسلمـــة) :
ماذا تعرف عن لبن الأم .... الدكتور واصل ابو العلا ٧٢
● ســـوء معاملة الأطفـــال .... الدكتور فاروق مساهل ٧٣
● (نـــدوات ومؤتمـــرات) :
حتى تستمر الصحوة الإسلامية .... الدكتور محمد فتحي عثمان ٧٤
● هل تتوقف هجرة العقول المسلمة إلى الغرب ... محمد الصالح عزيز ٧٧
● مكتبـــة الأمـــــة ٧٨
● رســـالة من عربي إلى المجاهدين الأفغان (شعــر) ....
.... محمد مامون عبدالغني نجم ٨٠
● بريـــد الأمــــــة ٨١
● بأقـــلام القـــــراء ٨٤
● شـــؤون المسلمـــين في العـــالم ٨٦
● مـــع الصحافـــة في العـــالم ٩٢
● مسابقـــة العـدد الـرابـع والخمســين ،
وحل مسابقة العدد الثاني والخمسين ، وأسماء الفائزين ٩٤
● (خواطـــر وافكـــار) :
عالم الأفكار .. وعالم الأشياء الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي ٩٦

وقفـــة مع الأمـــة الإسلاميـــة ... (أين الخلل ؟)

■ كانت « الأمة » قد طرحت قضية للمناقشة تحت عنوان « أين الخلل ؟ » في بداية عامها الخامس ودعت المفكرين والباحثين للمشاركة بدراسات تقويمية نقدية للواقع الإسلامي ، وتحديد مواطن العلّة وتقديم الدواء .

وقد حرصنا – من خلال المناقشة – على تعدد وجهات النظر ، حتى المتعارضة منها أحياناً ، وذلك لتتحقق للمسلمين والعاملين في الحقل الإسلامي رؤية خصبة لجميع جوانب الأزمة .. وفي هذا العدد يسهم الدكتور يوسف القرضاوي بمناقشة القضية بسلسلة من المقالات ، يبدؤها بـ « وقفة مع الأمة الإسلامية ، أين الخلل ؟ .... (ص : ٨) ■

[كتاب في مقال] الإســلام وأزمـة الغرب

■ نجحت الدعاية الصهيونية في تصوير الدعاوى الفكرية الأسطورية على انها حقائق ، ساعدتها في ذلك التعاليم النصرانية المتداولة ، التي تكفل ما يسمى بفكرة الوعد ، فتدّعي أن الاستيلاء على أرض فلسطين وطرد شعبها من ارضه يقوم على اساس توراتي تاريخي .. وقد انخدع الغرب بها .... (ص : ٦٠) ■

عندما أعلن المسلمون الجهاد في البرازيل

■ كانت الانتفاضات والثورات الدينية التي قامت في مناطق مختلفة من البرازيل إحدى العوامل التي أدّت إلى إلغاء العبودية هناك ، فقد أبدى المسلمون الأفارقة – منذ البداية – مقاومة شديدة للعبودية ؛ عبّروا عنها بطرق مختلفة ، بينها الهرب الفردي والجماعي ، ومحاولة إقامة القرى المحصنة في الأدغال والدفاع عنها .. لكن الثورات المنظمة – واهمها : ثورة المسلمين عام ١٨٣٥م – هي التي هزّت السلطات الاستعمارية العنصرية ، وشجعت العمل على إلغاء العبودية هنـــاك (ص : ٢٢) ■

كلمة الأمة

إسرائيل

□□ من المفارقات الغريبة حقاً في عالم اليوم أن تُقبَل اليهودية بوجهها الصهيوني عقيدةً دينية عنصرية معتدية غازية ، ويُحارَب الإسلام ويُتهم أصحابه بالتطرف ، ويُرفَض عقيدةً مدافعة لرد العدوان وإعادة الحقوق المغتصبة إلى أهلها ؛ ولو كان هذا مقتصراً على الأعداء لهان الأمر ، وبدا طبيعياً نوعاً ما ، لكن المشكلة أن تتسلل بعض المقولات والمغالطات إلى عـالم المسلمين ، فيسقط بعضهم في الفخاخ المنصوبة له ، ومن ثم يحاول إقصاء العقيدة المجاهدة والطاقات الإسلامية الفاعلة عن ساحة المعركة ، بالدعوة إلى إقامة الدولة العلمانية وممارسة ذلك عملياً بمشاركة بعض أجنحـة العدو الإسرائيلي في تشكيل المؤسسات المهنية أو العقيدية تحت شعار التقدميـة والعالمية متجاهلاً في ذلك التاريخ والواقع معاً !!

وبذلك يصبحون جنوداً في جيش العدو ، قصدوا إلى ذلك أو وقعوا فيه ضحية لعدم القدرة على البصـارة والاعتبار ، والإصرار على القراءة بأبجدية مغلوطة □□

وقيام « إسرائيل » على الرؤية الدينية التوراتية ، ومحاولة ضبط منطلقاتها ، وتفسير ممارساتها ، وحمل العالم كله على التسليم بهذه الرؤية ومحاسبته على ضوء ذلك لم يعد موضع نقاش ، سواء في ذلك من اعتبر الأمر نوعاً من توظيف الدين لخدمة أغراض استعمارية استيطانية إمبريالية رجعية !! واضطر في سبيل ذلك إلى اعتبار اليهودية كدين شيئاً ، والصهيونية كنزعة استعمارية توظف اليهودية لتحقيق غاياتها شيئاً آخر : أو من اعتبر الصهيونية هي الوجه الآخر لليهودية المعمول بها التي قامت أصلاً على العنصرية والتعالي من خلال عقيدة الشعب المختار ... فالتسميات للأماكن والمستعمرات دينية ، وحفر القبور ونبش الصخور يرمي إلى هدف ديني وإثبات حق موهوم ؛ والتهويد للتاريخ ومناهج التعليم ، والتفسير التوراتي للأحداث ، وإسقاط المفهومات الدينية على الحياة اليومية ، ومحاولة شحذ فاعلية اليهود في بقاع الأرض كلها وربطهم بالرؤية التوراتية الدينية أمور لا تحتاج إلى استدلال ، ولم يبق فيها استزادة لمستزيد ، ولعل في تسمية عملية نقل يهود إثيوبيا (الفلاشا) أو ما أُسمي بحق : الهجرة الرابعة باسم « عملية موسى » تأسِّياً ومحاكاة وتشبهاً بخروج موسى عليه السلام ببني إسرائيل من ظلم فرعون ومَلَئِهِ من أفريقيا إلى آسيا ، إلى الأرض المقدسة ، ما يؤكد التفسير الديني التوراتي للتاريخ والواقع ، والذي يرجع إلى أسماء الأماكن في الضفة الغربية (يهودا والسامرة) والجولان ، وإعادة تسمية الأحياء والمستعمرات حتى الأراضي التي احتلها يهود حديثاً في جنوبي لبنان أوجدت إسرائيل لها التسميات الدينية التوراتية ، وأطلقت على أعمالها العسكرية التسميات الدينية أيضاً ، وحاولت إيجاد الصيغ والأصول الدينية المشتركة مع بعض الطوائف ، وبذلك تزرع الألغام الطائفية ، وتوقظ الروح الإقليمية والعنصرية الضيقة ، فالنصارى في لبنان يلتقون معها على « العهد القديم » ولا علاقة لهم بالعروبة والإسلام ، وللدروز معها علاقة مصاهرة حيث تزوج موسى عليه السلام ابنة النبي شعيب عليه السلام !!

وهكذا تمضي « إسرائيل » في تحقيق الحلم الديني التوراتي ليهود العالم الذي ظلت تبشر به ألفي عام ، وتستورد له المهاجرين من جميع أنحاء العالم بثقافاته وسلالاته وحضاراته ولغاته وعاداته المختلفة تستوردهم إلى أرض الميعاد !! وتقر ما أُسمي بـ « قانون العودة » مع الخطوات الأولى لبناء الدولة اليهودية الذي يحق بموجبه لكل يهودي في العالم أن يعود إلى « إسرائيل » ويكتسب بمجرد عودته الجنسية وكامل الحقوق ... وبمجرد أن طُرح التشكيك بيهودية (الفلاشا) ـ لأنهم يعتقدون بالتوراة فقط الكتاب المقدس الأساسي ويراعون تعاليم السبت والصيام والختان ، غير أن التلمود يبدو أنه لم يصل إليهم على الإطلاق بسبب عزلتهم الجغرافية ـ أصدر « أوفاديا يوسف » زعيم السفارديم عام ١٩٧٢م إعلاناً رسمياً بأن (الفلاشا) من اليهود فعلاً ، وهم بالأصل من قبيلة « دان » سكان الأرض المقدسة في منطقة « جوبلي » الواقعة الآن جنوبي الجزيرة العربية !! ثم قررت لجنة حكومية أن اليهود الإثيوبيين يخضعون لقانون العودة الإسرائيلي الـذي يمنح اليهـود جميعهم حق المواطنـة المدنيـة والجنسية الإسرائيلية فور وصولهم « إسرائيل » ، يقول « دافيد هارتمان » مدير معهد « شالوم للدراسات اليهودية المقدسة » في القدس :

[... لا يهم أن يكون اليهود من السود أو الصفر ... لقد وصل (الفلاشا) هنا لأن الشعب اليهودي مرتبط بميثاق إبراهيم] (التايم الأمريكية يناير « كـانون الثـاني » ١٩٨٥م) وقال « بيريز » رئيس حكومة العدو : [... إننا أبناء شعب واحد ، ولا يمكن لأي قوة في العالم أن تبقينا

تستقبل الهجرة الرابعة

■ شيمـــون بيريـــز :
لا يمكن لأي قوة في العالم أن تبقينا منفصلين ■

■ منغستو هيليا مريم ..
اشترط أن تبقى الصفقات سرية حتى لا يغضب الرفاق العرب ! ■

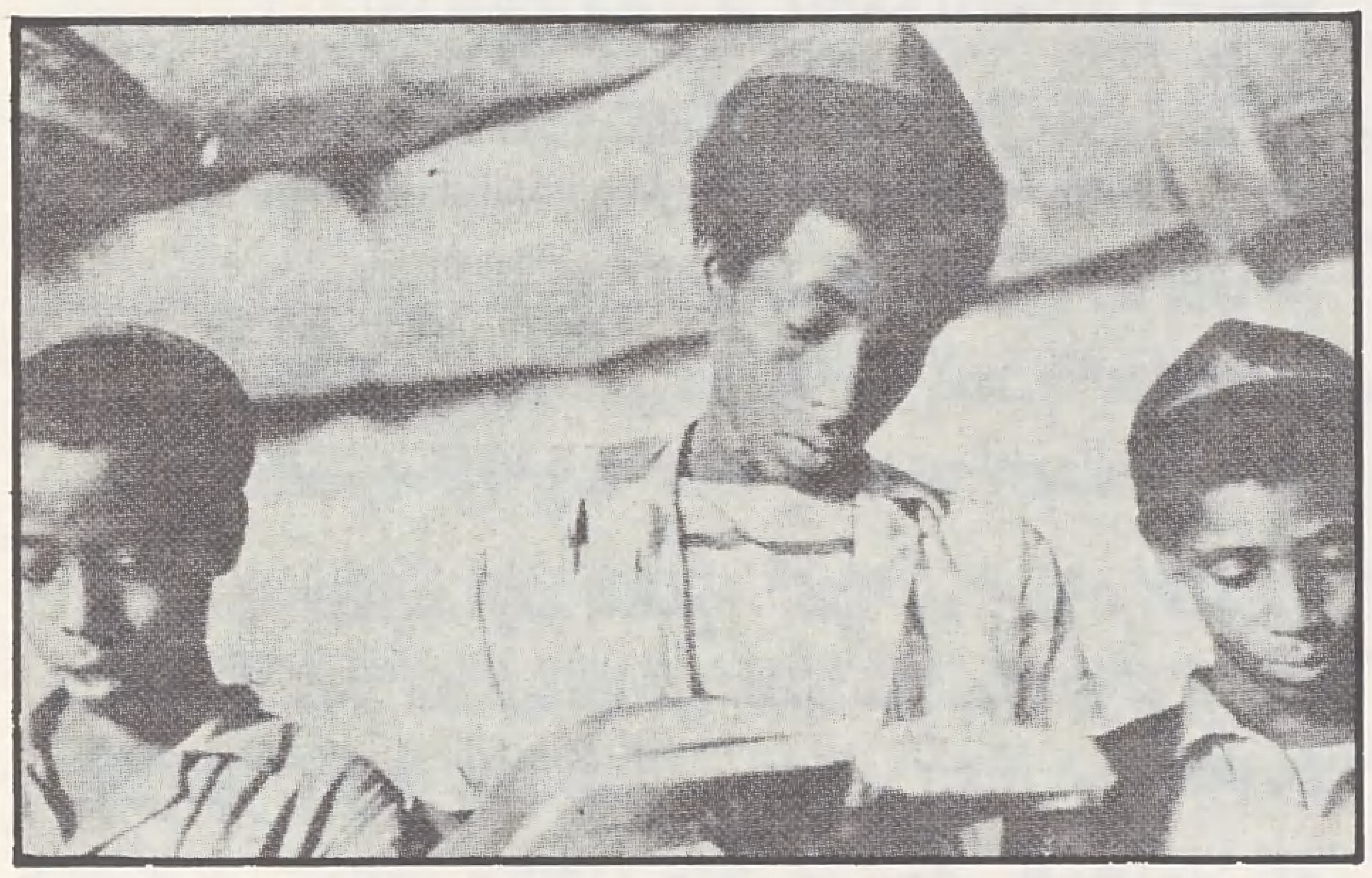

■ أطفال من الفلاشا يقرأون التوراة ■

منفصلين ، إن أشقاءنا يهود إثيوبيا ينتظرون الهجرة إلى « إسرائيل » منذ ألفين وستمائة عام ...] .

لقد أدركت « إسرائيل » منذ اللحظات الأولى ، وفي طريقها إلى إقامة الدولة ، أن مشكلتها لن تحل إلَّا باجتذاب اليهود من جميع انحاء العالم ، ولعل من أوائل التشريعات على عتبة الدولة كان قانون العودة ـ كما أسلفنا ـ ، ذلك أن النمو السكاني العربي في الأرض المحتلة قد يغرق « إسرائيل » في سيل بشري لا تستطيع مواجهته مستقبلاً ، كما أن أحلامها في التوسع وإقامة المستعمرات وملء الأراضي المحتلة الجديدة في الضفة الغربية والجولان لا تتحقق إلَّا بالمزيد من الهجرات من جانب ، ومحاولة تهجير العرب وتعقيم إنسانهم من جانب آخر ...

إن العنصر البشري ، أو الاستعمار الاستيطاني كان دائماً هو الأخطر في القضية الفلسطينية ، والهجرة هي الروح المستمر الذي يضمن لـ « إسرائيل » ديمومة الحياة ، فهي دماء جديدة ، مهما كانت سويتها ، للجسم الإسرائيلي ، ذلك أن عشرات المستوطنات في الضفة الغربية والجولان لا تزال فارغة بانتظار المهاجر الجديد ؛ ولا شك أن « إسرائيل » بدافع من مصلحتها قد لا ترى هجرة بعض يهود أوروبا الغربية وأمريكا وبذلك تضمن لنفسها هناك استمرار التحكم بإدارة وتوجيه تلك المجتمعات ، والمشاركة في حقول التجارب والدراسات التكنولوجية المتقدمة التي تحقق ليهود نصيب الأسد فيها ، ذلك أن اليهود يشغلون في أمريكا اليوم أعلى المنابر التعليمية وأكثرها تأثيراً في الجامعات والإعلام والصحافة إلى جانب المساهمة بتطوير التكنولوجيا والتخصصات النادرة ... فكيف لا يؤثرون على المجتمع الأمريكي ، وهل يُحتمل أن يؤثر عليه من لا يمتلكون من المؤهلات إلَّا قوة حناجرهم في ارتفاع أصواتهم واشتداد احتجاجاتهم ؟!

ومن الأمور التي لا يختلف عليها اثنان أن المدد الرئيس للاستعمار الاستيطاني الذي كان يشكل العمودَ الفقري للكيان الصهيوني دائماً ، ورموزَه وقياداتِه الأولى في فلسطين كان من أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي على وجه الخصوص ، ولا تزال قضية هجرة اليهود من روسيا تأخذ دائماً مكان الأولوية في محادثات « الوفاق الدولي » بين روسيا وأمريكا ، ففي مطلع السبعينيات عقدت صفقة وفاق بين « موسكو وواشنطن » تقضي بترحيل ثلاثين ألف يهودي سنوياً من روسيا مقابل توفير القمح وتأمين التكنولوجيا المتقدمة من الولايات المتحدة ، لقد كان تقديم القمح الأمريكي رهيناً بهجرة يهود !!

ولا شك بأن الاتحاد السوفييتي مصدر الهجرات الأولى كان من أوائل الدول التي صوتت لصالح قرار التقسيم عام ١٩٤٧م والدولة الثانية التي اعترفت بالكيان الصهيوني بعد الولايات المتحدة ، الذي سوغ هذا بما جاء على لسان مندوبه بالأمم المتحدة يومذاك ووزير خارجيته اليوم « أندريه غروميكو » :

[... إن الدول الغربية قد أثبتت عجزها في الدفاع عن الحقوق الأولية للشعب اليهودي ، وهذا ما يبرر طموح اليهود إلى إنشاء دولتهم بأنفسهم ، ومن غير العدل أن لا نوافق على هذا الطموح ، أو أن ننكر حق الشعب اليهودي في تحقيق ما يصبو إليه ...] .

وفي عام ١٩٤٩م صوت مرة أخرى لصالح دولة العدو عند احتلالها « النقب » ووصف الجيوش العربية التي دخلت لتساهم بتحرير

إسرائيل

فلسطين عام ١٩٤٨م بالعصابات المسلحة ، وقد نشرت صحيفة « معاريف » الإسرائيلية بتاريخ ٢٢ نوفمبر [تشرين الثاني] ١٩٦٤م تصريحاً للملحق العسكري السوفييتي ، جاء فيه قوله :

[... إننا نشارك العرب في مكافحة الاستعمار والرجعية ، ولكن لا نشاركهم في العدوان على إسرائيل ، ولقد كان موقفنا منذ البدء معارضاً أشد المعارضة للعدوان العربي الرجعي ، بل نحن أعربنا عن تأييدنا لـ « إسرائيل » بالسلاح والمال في أشد أوقات الأزمة الفلسطينية يوم كانت حركة التحرر الوطني اليهودي بأمسّ الحاجة ...] .

ثم توالت الهجرات ولم تنقطع ، ففي عام ١٩٥٠م هاجر إلى « إسرائيل » ستون ألف يهودي من اليمن عبر جسر جوي بين عدن و « إسرائيل » ومن ثم كانت الهجرة الثانية من العراق عام ١٩٥١م عن طريق قبرص ، والهجرة الثالثة جاءت من شمالي أفريقيا بين عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٢م عن طريق فرنسا ، وكانت ستة وسبعين ألف يهودي ... وتستقبل « إسرائيل » الآن الهجرة الرابعة : يهود (الفلاشا) من الحبشة ، وعلى خلاف الصورة الظاهرة التي يخدع بها الكثيرون في عالمنا الإسلامي ، فهناك علاقات تاريخية بين إثيوبيا و « إسرائيل » ابتداءً من أسد يهوذا « هيلا سلاسي » وانتهاءً بـ « هيلا مريم » بالرغم من السياسة الماركسية المعلنة ، ذلك أن امبراطور الحبشة كان يعتقد أنه ينحدر من نسل « منليك الأول » ابن سليمان وملكة سبأ ، وكانت نجمة داود تزين علم الحرس الإمبراطوري ، ولم ينس أنه لجأ إلى القدس عندما احتلت قوات « موسوليني » إثيوبيا ، والتقى هناك بزعماء الحركة الصهيونية الذين أصبحوا فيما بعد قادة الدولة ، وكانوا يقرون للإمبراطور بأنه أسد يهوذا !!

و « إسرائيل » هي التي أخبرت « هيلا سلاسي » بالتمرد الذي حصل سنة ١٩٦٠م عندما كان في الأرجنتين ، وبن غوريون هو الذي أمر فوراً بإعادة السلطة للإمبراطور وقمع التمرد على يد المخابرات الإسرائيلية ، وكان الثمن : اعتراف إثيوبيا رسمياً بإسرائيل عام ١٩٦١م وفي عام ١٩٧٣م عجز الامبراطور عن الحصول على أسلحة أمريكية لمواجهة الدولتين المسلمتين : السودان والصومال ، وقمع حركات التحرير في أريتريا وأوغادين بعد أن حصلت الصومال على أسلحة سوفييتية متقدمة ، عندما كان الاتحاد السوفييتي يراهن عليها في أفريقيا ، وكان لليهود دور في الولايات المتحدة أدى إلى حصول الإمبراطور على الأسلحة المطلوبة .

والمعروف أن إثيوبيا هي الدولة الوحيدة غير الإسلامية التي تطل على البحر الأحمر ، ومن هنا التقت أهداف « هيلا سلاسي » و « بن غوريون » في أن لا يتحول البحر الأحمر إلى بحر عربي إسلامي ، لذلك فتح « هيلا سلاسي » بلاده للخبراء والفنيين الإسرائيليين ، وتشكل البوليس الإثيوبي على النمط الإسرائيلي ، كما أن الجيش الإسرائيلي تولى تدريب الجيش الإثيوبي بصورة كاملة حتى إن « منغستو هيلا مريم » نفسه تدرب في « إسرائيل » .

وعند قيام الانقلاب الماركسي عام ١٩٧٤م فوجىء العالم بطلب قادة الانقلاب من « إسرائيل » زيادة عدد مشاريعها وتعزيز كميات السلاح التي تسلمها الجيش الإثيوبي لأن النزاعات في « أوغادين » و « إرتْريا » تهدد وحدة إثيوبيا ، مقابل السماح ليهود إثيوبيا (الفلاشا) بمغادرتها ، واشترط « هيلا مريم » بقاء الصفقات سرية حتى لا يغضب الرفاق العرب وليضمن استمرار مساعداتهم المادية .

فالعلاقة بين « إسرائيل » و « إثيوبيا » - كما تراها إثيوبيا وإسرائيل على حدٍ سواء - استراتيجية تمليها المصالح المشتركة ، وهذه المصالح تقضي بأن تبقى « إثيوبيا » قوية سواء أكانت نصرانية أو ماركسية أو نصرانية ماركسية ، وقد صرح رئيس إثيوبيا ، والأمين العام للحزب الشيوعي فيها « منغستو هيلا مريم » بأن إثيوبيا تواجه الزحف الإسلامي في أفريقيا ويجب على النصارى كلهم مساندتها ...

كما أن نفاذ « إسرائيل » إلى أفريقيا ، وحسم نزاع القرن الأفريقي أمران رئيسان في الاستراتيجية الإسرائيلية ، فإغلاق باب المندب أمر قاتل لـ « إسرائيل » ومن أجله مع - مضائق تيران - كانت حرب عام ١٩٥٦م ثم حرب ١٩٦٧م ، فـ « إسرائيل » سلحت « إثيوبيا » ولا تزال تسلحها بالرغم من السياسة الماركسية المعلنة ، وهناك قواعد عسكرية إسرائيلية في البحر الأحمر ، وقسم من هذه القواعد مقابل الساحل الإريتري منذ حوالي تسع سنوات ، وهناك مزارع كاملة في « إثيوبيا » يسيطر عليها الإسرائيليون ، ويسيطرون على المسالخ بكاملها ، والدور الاقتصادي لشركة « انكودي » معروف منذ عهد الإمبراطور .

ولسنا الآن بسبيل استقراء الخلفيات السياسية والفكرية لمواطن الهجرات اليهودية ، وقدرة يهود على المراهنة على أكثر من جواد في السباق الدولي ليكون نصيبهم متحققاً دائماً إلى جانب تبادل الأدوار وبراعتهم في ممارسة لعبة « اليمين واليسار » بينما نحن في عالمنا ، لسبب أو لآخر ، كان رهاننا غالباً على الجواد الخاسر !! فالعلاقات بين إسرائيل وإثيوبيا تاريخية ، ولم تعوزها الرؤية الدينية والتفسير التوراتي ، وعملية تهجير (الفلاشا) والإعداد لها بدأ منذ عام ١٩٧٤م عندما تأسست الجمعية الأمريكية لإنقاذ يهود الحبشة ، ودخلت حيز التنفيذ عام ١٩٧٨م ، وطرح موضوع (الفلاشا) المجلس الاتحادي اليهودي الذي عقد بمدينة « سان فرانسيسكو » وأثار رئيس اتحاد الطلاب الكنديين اليهود « ستيفن بومان » هذه المسألة معتبراً أنها مسألة حيوية لسلامة مجموعة منسية ، وقال « ستيفن مونتانج » المسؤول عن الشبكة العالمية للأحياء :

[... أنا لا أحب أن يواجهني أي فلاشي بعد أربعين سنة

تستقبل الهجرة الرابعة

بالسؤال الذي واجهنا به الآخرون : تُرى اين كنتَ عندما تعرض أهلي للمآسي ؟!] .

وتقول مجلة « جوِيش برسّ » التي يصدرها يهود الولايات المتحدة في عددها الأخير :

[إن عدد المهاجرين وصل إلى ثمانية آلاف ، وإن عملية التهجير والاستيعاب والتجنيس بقيت مستمرة خمسة وعشرين عاماً ...] أي : من عهد « هيلا سلاسي » .

أما « موسى جيلو » أحد كبار المسؤولين في وزارة الخارجية الإسرائيلية ، فيقول :

[... كان هناك دائماً رباط يجمع بين شعبي إسرائيل وإثيوبيا ، وعلى الرغم من توتر العلاقات السياسية الظاهر بين الحكومتين ، فهناك تعاون بينهما على الصعيد العسكري والتكنولوجي والزراعي ...] .

ولا شك عندنا أن هؤلاء المهاجرين الجدد الذين شهدوا ظروفاً صعبة سيشكلون قوة عسكرية شرسة مستعدة للقتال حتى الموت عن البلد الذي أنقذهم من الموت جوعاً إلى جانب ما يُشْحَنون به من رؤية توراتية دينية ، وقد بدأ ، فعلاً ، التدريب العسكري والتدريس في التوراة جنباً إلى جنب من أول يوم لوصولهم إلى الأراضي المحتلة ، وسوف يشكلون أيضاً أحزمة أمن ، وأياديَ عاملة للمهن الدنيا التي تتناسب مع فقر ثقافتهم وتدنِّي سويتهم الحضارية ، بينما يتوفر اليهود الآخرون للصناعات الدقيقة ، وسوف يملؤون المستعمرات الفارغة في الضفة والجولان التي تنتظرهم إلى جانب ما تبهر به إسرائيل العالم من أعمال خارقة ـ تبدو إنسانية في ظاهرها ـ يقف العالم أمامها مشدوهاً ؛ وقد لا يكون غريباً ولا مذهلاً في العالم الإسلامي اليوم أن تبدأ عملية هجرة يهود (الفلاشا) منذ عام ١٩٧٤م وأجهزة الأمن والاستخبارات غائبة غياباً تاماً ، لأن عندها ما يشغلها ، فهي تستنفد جهدها في مهمات داخلية ، وتأمين الحماية لأولياء نعمتها ... وكذلك رجال السلك الدبلوماسي وسفارات بعض بلدان العالم الإسلامي فإن اهتماماتها الخاصة لا تسمح لها بوقت كاف تؤدي فيه واجبها ...

والمسؤولون في العالم الإسلامي في حالة عجز كامل تجاه ذلك ، بل لقد وجد بعضهم في ذلك فرصة للاتهام والابتزاز السياسي وزيادة التمزق والتشرذم ، وبعضنا استعذب الاستغناء بالكلمة عن الفعل ، واكتفى برفع الشعارات عن الشعور بالمسؤولية وأداء الواجب ، أما بعضنا الآخر فتستغرقه الأماني ويعيش أحلام اليقظة ، ويمارس حالة الانتظار والتواكل ليسقط المجتمع الإسرائيلي من تلقاء نفسه ومن خلال أمراضه وأزماته الاقتصادية وهجراته المعاكسة والفوارق الحضارية في تركيبه السكاني !! إلى درجة وصل فيها بعض الكتّاب في العالم الإسلامي إلى الإشفاق على « إسرائيل » من هذه الكارثة الحضارية الجديدة !!

هذا إلى جانب الإحباط الذي لا شك في أنه أصاب كثيراً من التقدميين الذين كانوا يراهنون على حزب العمل حيث كان يتصدر المؤتمرات الدولية غير الرسمية إلى جانبهم ، ويَعِدُ بأنه ضد سياسة المستعمرات واحتلال الأرض ، وإذا به يتفق مع الليكود على إنشاء ست مستوطنات جديدة في الضفة الغربية قبل الخريف القادم دون أن يدروا أن يهودَ أتقنوا لعبة « اليمين واليسار » وأن بعض أبناء جلدتنا ضحايا سذّج لما يرسم لهم ...

ولا نريد هنا أن نتكلم بالمقابل عن أسباب هجرات العقول والسواعد معاً من العالم الإسلامي إلى دول أوروبا الغربية والولايات المتحدة بسبب من الاستبداد السياسي ، الأمر الذي يزيد من تخلفنا ويحرمنا خيرة أبنائنا ؛ ولا عن الهجرات والغربة داخل الأوطان حيث تتعطل الطاقات ويعتمد أهل الثقة والولاء ، ويطرد أهل الخبرة الأكفياء ، بل نكتفي بما ذكره الأستاذ محمد الصالح عزيز في « هجرة العقول المسلمة » على الصفحة السابعة والسبعين من هذا العدد ، وما أورده الدكتور محمد كامل رئيس أكاديمية البحث العلمي في مصر في المؤتمر الذي بدأ جلساته بجامعة الدول العربية عن هجرة العقول :

[... لقد بلغ الأمر خلال النصف الأول من السبعينيات في أمريكا على سبيل المثال : أن الأطباء والجراحين القادمين من الدول النامية (معظمها من العالم الإسلامي) يمثلون ٥٠٪ والمهندسين ٢٦٪ من مجمل القوة البشرية المضافة إلى الرصيد القومي الأمريكي ، كما تشير التقارير إلى أن ثلاث دول من دول الشمال (أمريكا ـ كندا ـ بريطانيا) تستأثر بنسبة كبيرة تصل إلى ٧٥٪ من جملة التدفق في العقول المهاجرة من العالم النامي ، حتى بلغ متوسط الوفر في نفقات التعليم والتدريب في أمريكا نتيجة لهجرة كفاءات الدول النامية إليها نحو بليون دولار سنوياً .

ولقد فقدت مصر وحدها أكثر من ثلاثمائة وخمسين الف مواطن الغالبية منهم من حملة المؤهلات العلمية العالية ، مثل : الماجستير والدكتوراه ، ومعظمهم استقر في البلاد المتقدمة .] (الأهرام ٥ يناير « كانون الثاني » ١٩٨٥م) .

هذا عن هجرة العقول أما هجرة السواعد فالله أعلم بها .

ولا سبيل في هذه العجالة إلى الكلام عن معاناة المهاجرين من بعض بلدان العالم الإسلامي إلى بعضها الآخر وما يعاملون به من غياب لميزان الكرامة الذي شرعه الإســـلام « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » وتجاوز لحقوق الأخوة الإسلامية ...

إنها المقدمات التي نرى ونعيش نتائجها في واقع مجتمعاتنا اليوم ، فهل يكون لنا من عدونا درس وعبرة ، فنعيد النظر بمواقفنا على مختلف الأصعدة ، ونحدد الخلل أم نواصل الإصرار على السير في الطريق المسدود ؟! والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

أين الخلل؟
قضية للمناقشة

الحلقة الأولى
وقفة مع الأمّة الإسلاميّة

بقلم : د . يوسف القرضاوي

■■ تابعت باهتمام ما أثارته مجلة (الأمّة) الغراء ، منذ كتب الأخ الفاضل الدكتور نعمان السامرائي ، مقاله : أين الخلل ؟ في العدد السادس والأربعين .

وقد دعت المجلة أهل الرأي والفكر إلى المشاركة في هذه القضية حتى تستبين معالمها : كما شرفتني بالحث على الإسهام فيها بنصيب . والقضيـــة خليقة بأن تفرد بالعناية ، وأن يمنحها رجال الفكر الإسلامي بعض وقتهم وجهدهم ، وأحسب أني ممن ساهم فيها من قبل ببعض ما كتبت من كتب ومقالات ، ولكن الجهد فيها ينبغي أن يستمر ولا يتوقف .

ولا بـد في البدايـــة أن نحدد المشكلة التي نبحث عن حلها :

ما هي ؟ أهي البحث عن (الخلل) لنسده ؟

أم نحن نعرف (الخلل) فعلاً ولكننا لا نعرف كيف نسده ؟

هل المشكلة في صعوبة (التشخيص) أم في وصف العلاج ، أم في الإيمان به والصبر على تناوله مهما يكن مرّاً ؟

وبعبـــارة أخـرى :

هل تتجسد مشكلتنا في عدم وجود الطبيب القادر على التشخيص ، أم في عدم وجود الدواء الناجع في اقتلاع الداء ، أم في أن المريض نفسه غير قابل للدواء ، ولا متجاوب مع العلاج ؟

ثم لا بد أن نحـدد المحيط الذي نبحث فيه عن (الخلل) أو (العلل) ، أهو محيط الأمة الإسلامية على اتساعها أم هو محيط الحركة الإسلامية ، أم هما معاً ؟

أعني : من هو المريض الذي نطب له ، الذي نحاول أن نشخص داءه ، ونصف دواءه ؟ ■■

اعتقد اننا لا نتحدث عن الخليج ، ولا عن العرب فقط ، ولكن عن امة الإسلام ، حيثما ارتفعت المآذن ، ونادى المنادي : الله اكبر .

وإذا كنّا نبحث في محيط امتنا الكبرى ، فإن كلمة (الخلل) فيها تساهل كبير لا يعبر عن الواقع الذي تعانيه ، والأدواء التي تشكو منها .

إنـــه ليس خللاً بل غيبة عن الوعي

إن عبارة (الخلل) عند إطلاقها تعني ان الغاية قد حددت ، وان الطريق قد اتضح ، وان الوسيلة قد هيئت ، ولكن الخلل اصاب الوسيلة في وسط الطريق .

خذ لذلك مثلاً : الطالب الذي يريد ان يسافر ليطلب العلم ، وقد عرف اي علم يطلب ، وإلى اي بلد يذهب ، واي طريق يسلك ، ولكن سيارته التي يمتطيها تعطلت في الطريق ؛ إن هناك خللاً ولا بد قد حدث ، اهو في المولِّد ؟ ام في (الموتور) ؟ ام في غيرهما ؟ لا بد من البحث عنه حتى يعرف ما هو ، فإذا عرفناه عالجناه .

فإذا طبقنا ذلك على حال امتنا الإسلامية ، وجدنا الأمر اكبر واعمق من مجرد (خلل) ، إنه غيبة عن الوعي ، إنه فقدان الهوية ، إنه التيه عن الغاية ومن بعده ـ بالضرورة ـ ضياع الطريق !

أمّـــة نسيت نفسهـــا

إننا إذا نظرنا إلى أمتنا في ضوء ما وصفها به الله في كتابه ، وجدناها امة اخرى غير امة القرآن ... وصفها الله تعالى بالخيرية ، وعلل خيريتها بانها تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران : ١١٠) ، وامتنا اليوم ـ إلّا من رحم ربك ـ لا تامر

■ ميزة هذه المناقشة أنها تفسح المجال لوجهات النظر المتنوعة ، حتى المتعارضة منها أحياناً ، ليتحقق للمسلمين بشكل عام ، وللعاملين في الحقل الإسلامي بشكل خاص رؤية خصبة لجميع جوانب الأزمة التي يعاني منها الواقع الإسلامي .. وليبصروا ما يدور بعقل النخبة ، أو من يسمون بالقيادة الفكرية ، من طرائق للعلاج .

ونعود إلى التذكير بأن لامجال للتخوف على القضية الإسلامية من الحوار وبيان العلل والأمراض التي يعاني منها الجيل المسلم بحجة أن ذلك يسهل على الأعداء مهمتهم في حربهم للإسلام والمسلمين ، وإنما التخوف من إلغاء الحوار واستبقاء الأمراض التي تمكن للعدو منا على كل حال ... ولو أخذ المسلمون هذا في اعتبارهم تاريخياً لتعطلت كل حسبة ، وانطفأت كل فاعلية ، وغابت كل رقابة ، ولانقلب العمل الإسلامي إلى لون من الكهانة وضرب من التعصب يساهم في الابقاء على الأخطاء ، وحماية الانحراف .. والله تعالى يقول : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ... ﴾ (التوبة : ٧١) ■

[التحرير]

بالمعروف ، ولا تنهى عن المنكر ، بل فقدت حسَّها وميزانها ، فرات المعـروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، بل بات فيها من يامر بالمنكر وينهى عن المعروف ، وغشيتها فتنة تذر الحليم حيران .

امتنا وصفها الله بالوسطية حين قال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة : ١٤٣) وهي الآن قد تركت المنهج الوسط والموقع الوسط لتميل إلى اليمين او اليسار ، وتجنح إلى الشرق او الغرب ، فتركت ﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصِّـديقين والشـهداء والصـالحين ، إلى طـريق المغضوب عليهم والضالين ، واتبعت سننهم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع .

وصفها الله بالوحدة حين قال : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء : ٩٢) ، وهي الآن لم تعد أمة واحدة ـ كما يحب الله ـ بل أمماً شتى كما اراد الاستعمار ، أمماً يعادي بعضها بعضاً ، بل يقاتل بعضها بعضاً .

والخـلاصـة : ان امتنا نسيت الله فانساها ذاتها ، وصدق الله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ (الحشر : ١٩) .

والحق انه لا معنى لوجود هذه الأمة بغير الإسلام ، ولا انتصار لها بغير الإسلام ، ولا وحدة لها بغير الإسلام ، ولا عزَّة لها بغير الإسلام . ورضي الله عن امير المؤمنين عمر الذي قال : « نحن كنّا اذل قوم فاعزّنا الله بالإسلام ، فمهما نطلب العز بغيره اذلّنا الله » !

أمّتنـا في ضـــوء معايير التقدم المادي

وإذا نظرنا إلى امتنا في ضوء معايير التقدم المادي المعاصر ، وجدناها وراء وراء !

إنها لاتزال عالة على الأمم الأخرى في قوام حياتها الاقتصادية والعسكرية ، إنها لا تنتج الكفاية من القوت الذي به قيام المعيشة ، ولا من السلاح الذي به حماية السيادة .

إن المسلمين في الأعصـر الأخيـرة : « رضوا بالزرع ، وتبعوا اذناب البقر » كما وصفهم الحديث النبوي ، ومع هذا لم يعطهم زرعهم من الثمـر ، ولا بقـرهم من اللبن ، ما يغنيهم عن الاستيراد من غيرهم .

أمَّـة معطلة الطاقـات

إن مصيبة الأمم الإسلامية ان طاقاتها ـ برغم كثرتها وضخامتها وتنوعها ـ معطلة ! ولا أعني بتعطيلها الشلل الكلي بل الشلل الجزئي ، اعني انها لا تعمل بكامل طاقاتها ، لتعويض ما فاتها في عهود النوم والغفلة ، وللحاق بركب التقدم العالمي ، وهو ما يحتم عليها مضاعفة الجهد ، وتكثيف العطاء ، ولكن امتنـا لا تعمـل بنصف طـاقتهـا ، ولا بربعها ، ولا بخمسهـا ، ولا بعشرهـا ، فارخص شيء عندها هو الوقت ، واثقل شيء عليها هو العمل ، واقل الثروات قيمة عندها هو الإنسان !

طاقاتنا العقلية معطلـــة

إن طاقاتنا العقلية معطلة ! لأننا نقلد ولا نجتهـد ، نحاكي ولا نبـدع ، ننقل ولا نبتكـر ، نحفظ ولا نفكـر . أي : نستخدم تفكير غيرنا ولا نفكـر نحن لأنفسنا ، سواء أكان ذلك الغير أسلافنا من الماضين ، أم غيرنا من الحاضرين .

وليس هـذا في العلوم (التـراثية) وحدها ـ كما يتوهم ـ بـل في العلوم الطبيعية والرياضية ايضاً ، فنحن نحفظ قوانينها ، ولا نحسن الاستفادة منها ؛ وحسبنا أن الغربيين يفكرون ويخترعون لنا ! فهم المكتشفون والمبدعون ، ونحن التراجمة !

وكفانا عاراً أن عشرين دولة عربية تعلم العلوم بلغات أجنبية ، معترفة بعجزها عن تعليمها بالعـربية ، وأن إسرائيل ـ دولة المليونين أو الثلاثة ـ تعلم العلوم بالعبرية !

حتى العلوم الإنسانية التي تتلون بتلون كل أمة وعقائدها وقيمها وثقافتها واختلاف نظرتها إلى الكون ومُكَوِّنِهِ ، وإلى الإنسان وحقيقته ، وإلى الحياة ومصيرها ، وإلى المعرفة ومصادرها ، هذه العلوم الإنسانية نقلناها عن الغرب نقلًا حرفياً كلٌ حسب المدرسة التي أخذ عنها ، وإن كانت كلها فروعاً من شجرة واحدة ، هي شجرة المادية الملعونة في التوراة والإنجيل والقرآن .

ونُظُمنا التعليمية السائدة تساعد على إنشاء هذه العقلية المقلدة ، وقد رأينا أقوى أمة في عالمنا (أمريكا) ترى نفسها على حافة الخطر ، بسبب قصور التعليم فيها عما تنشـده لأبنائهـا ، وتتنادى بوجوب درء الخطر الذي يواجهها في مسيرتها التعليمية ، ولم يُعْمِهَا صعودها إلى القمر أن ترى ضعف مستوى أبنائها علـى الأرض(*) . ونحن نـرى ونلمس ضعف المستوى التعليمي في مجتمعاتنا إلى حد مخجل ولكننا صامتون ، أو

وقفة مع الأمّة الإسلاميّة

مشغولون ، أو مجاملون .

إن نظمنا التعليمية تخرِّج موظفين ولا تخرِّج مثقفين ؛ حتى القراءة لا نحب أن نقرأ ، لأن القراءة تتطلب منا جهداً وتفكيراً حتى نفهم ونتابع ، ولكن الكسل عندنا أحلى من العسل !

لقد قال « موشى ديان » يوماً لقومه من اليهود ـ وقد لاموه على بعض تصريحات تكشف عن أطماعهم وتطلعاتهم ، وقد خشوا أن يقراها العرب ، ويكشفوا خططهم ـ قال لهم : « اطمئنوا فإن العرب لا يقرؤون » !

والعجب من أمة اول آية نزلت في كتابها : ﴿ اقْرَأْ ﴾ لا تحسن ان تقرأ ، وإذا قرأت لا تحسن أن تفهم ، وإذا فهمت لا تحسن أن تعمل ، وإذا عملت لا تحسن أن تستمر !

إن الله تعالى شاء أن يجعل معجزة الإسلام معجزة عقلية ادبية ولم يجعلها معجزة حسية ، كما في رسالات سبقت ، إعلاء لشأن العقل في هذا الدين ، وهذا الكتاب ، الذي نزل خطاباً لأولي ﴿النُّهىٰ﴾ وأولي ﴿الألباب﴾ لا للبله ولا للحمقى .

إن الله تعالى قد علَّل انتصار المسلمين على أعدائهم من المشركين واليهود بأن هؤلاء ﴿ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أو ﴿ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ فكيف إذا بات المسلمون اليوم وهم أحق الناس بهذا الوصف ﴿ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ و ﴿ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ لانهم لم يفقهوا آيات الله المشهودة في كتابه الصامت : الكون ؛ ولا آياته المقروءة في كتابه الناطق : القرآن ؛ وقد أنزلها وفصلها ﴿ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ و ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ !!

لقد ابتدعنا في دين الله ، والابتداع في الدين ضلالة ، وجمدنا في شؤون الدنيا ، والجمود في الدنيا جهالة ! وكان الأجدر بنا أن نعكس الوضع فنتبع في امر الدين ، ونبتدع في أمر الدنيا ، فروح الدين الاقتداء والاتباع ، وروح الدنيا الابتكار والابتداع !

طاقاتنا العملية معطلة

وطاقاتنا العملية معطلة ، مع ان الله خلقنا لنعمل ، بل خلقنا ليبلونا ايّنا ﴿ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ، وهذا تعبير له إيحاؤه ودلالته ، فليس المراد تمييز سيىء العمل من حسن العمل ، بل المفترض ان يكون عمل الجميع حسناً ، ولكن ايهم احسن وارجح ؟

والمسلم مطالب بالعمل إلى آخر رمق في الحياة ، حتى لو قامت الساعة وفي يده فسيلة ، فإن استطاع الّا تقوم حتى يغرسها ، فليغرسها ، كما امره رسول الله ﷺ .

والعمل في الإسلام عبادة وجهاد سواء اكان عملاً للدين أم للدنيا ، إذا صحت فيه النية ، والتزمت حدود الله تعالى .

ولكن امتنا ـ للأسف ـ اقل الأمم عطاءً وعملاً ، واكثرها كلاماً وجدلاً ، نحن نتكلم كثيراً ونعمل قليلاً ، وكثيراً ما نعمل غير المهم وندع المهم ، بل قد نعمل غير النافع ، وندع النافع .

ونحن ندور حول انفسنا كالثور في الطاحون ، او كالذي حكوه عن « جحا » وساقيته (زعموا أن جحا صنع ساقية تاخذ الماء من النهر ، ثم ترده إلى النهر ، فلما سُئل في ذلك ، قال : يكفيني نعيرها !) .

ولقد اشتركت في عدة مؤتمرات إسلامية عالمية ، وصدرت عن هذه المؤتمرات توصيات مبصرة ، ولكنها ـ إلّا في القليل النادر ـ لم تر النور ، ولم تبرز إلى حيز التطبيق ، وظلت حبراً على ورق ـ كما يقال ـ ترىٰ لماذا ؟.. ألاننا تعودنا حسن الكلام ولم نتعود حسن العمل ؟

ام لاننا نتكلم ونتوقع من غيرنا ان يعمل ؟

ام لاننا نقرر ونقدر ، ثم لا نتابع ماذا حدث فيما قررناه ؟

لا اقلل من اهمية الكلمة الصادقة المعبرة وتاثيرها ، فإن معجزة الإسلام الأولى ـ القرآن ـ إنما هي كلام ، واحاديث الرسول الكريم كلام .

ولكن لا ينبغي ان يطغى الكلام على العمل ، ولعل هذا بعض السر في نزول القرآن الكريم منجماً في ثلاث وعشرين سنة ؛ ليتيح الفرصة للمؤمنين ان يحولوا كلمات الله المنزلة إلى عمل صالح ، وإلى حياة نابضة ناطقة ، حتى وصفت عائشة الرسول ﷺ بكلمتها الشهيرة المعبرة : « كان خُلُقُه القرآن » !

ومن كلمات المعاصرين الحية وصف الصحابة رضي الله عنهم بأن الواحد منهم كان قرآناً يسعى على قدمين !

إن الكلام لا بد منه ، وإن الحرب اولها كلام ـ كما قال الشاعر ـ ولكن الكلام يذم إذا كان اكثر من العمل ، ويذم اكثر إذا كان بلا عمل ، ويذم اكثر واكثر إذا كان مناقضاً للعمل ، وفي هذا جاء وعيد الله يدوي وينذر : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ

■ أرخص شيء عند الأمة المسلمة اليوم الوقت .. وأثقل شيء عليها هو العمل .. وأقل الثروات قيمة هو الإنسان . ■

■ كفانا عاراً أن عشرين دولة عربية تعلِّم العلوم بلغات أجنبية معترفة بعجزها عن تعليمها بالعربية ■

مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف : ٢ ـ ٣) .

طاقاتنا الاقتصادية معطلة

طاقاتنا الاقتصادية معطلة ، فنحن نعيش في اهم بلاد الله موقعاً ، واطيبها بقعة ، واخصبها ارضاً ، واحفلها بالمعادن المذخورة في باطنها ، والثروات المنشورة في ظاهرها ، ولكننا لم نستغل ثرواتنا ، ولم نزرع ارضنا ، ولم نصنِّع المعادن والمواد (الخام) المستخرجة من ارضنا .. وما نزرعه من ارضنا ـ وهو قليل من كثير ـ لا نزال نزرعه ـ في غالب الأمر ـ بطريقة اجدادنا ! وكثيراً ما نجور على الأرض الحية الخضراء فنحيلها إلى مبان ومنشآت ، ونعجز عن تحويل الأرض البور إلى ارض مزروعة ، وهو ما سماه الفقه الإسلامي (إحياء الموات) اي إننا نميت الأرض الحية ولا نحيي الأرض الميتة !

اصبح الطابع الغالب علينا : اننا نستهلك ولا ننتج ، ونستورد ولا نصنع ، وقد ننتج ما لا نحتاج إليه ، ونهمل إنتاج ما نحن في اشد الحاجة إليه . ونفتخر باقتناء افخر السيارات العالمية ، ونحن لا نحسن صناعة دراجة !

فلا غرو ان يهلك الملايين منا جوعاً وبلادنا زراعية ، ما دمنا عاجزين عن حفر بئر في الأرض ، منتظرين المطر من السماء ، وما دمنا نهتم بمظاهر الرفاهية لا بمصادر الإنتاج ، كالذين حكى الله عنهم من اصحاب القرى الظالمة التي دمرها على اهلها : ﴿ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴾ (الحج : ٤٥) ، وكان اولى بهم أن يهتموا بالآبار ومصادر المياه قبل تشييد القصور !

ولا غرو أن يصبح العالم الإسلامي كله في دائرة (البلاد النامية) وكلمة (النامية) تعبير مؤدب لـ (المتخلفة) التي تركب الجمال والحمير ، وغيرها يركب سفن الفضاء ، وإذا ركبت السيارات والطائرات فهي ليست من صنعها ... اليس من المؤسف المحزن ان نظل إلى اليوم عالة على غيرنا ، فلا نزرع من الحبوب ما يكفي غذاءنا ، ولا نقيم من الصناعات ما يحمي ذمارنا ؟

لقد راينا عدداً من بلاد المسلمين في افريقيا يسقط الناس فيه هلكى تحت مطارق المجاعة والجفاف حيث لا يجدون ما يمسك الرمق ، او يطفىء الحُرَق ، وكان في الإمكان ـ لو فكروا في الأمر من قبل وخطَّطوا له ـ ان تُحفر آبار ، وتدق انابيب تستخرج بها المياه من جوف الأرض ، فإذا لم ينزل الغيث من السماء وجدوا فيما يستنبط من الأرض عوضاً .

وراينا مسلمين آخرين ـ لوفرة ما تنتجه بلادهم ـ يتخلصون من الثمار بدفنها في الأرض ، لانهم لا يستطيعون تصنيعها ، ولا يستطيعون حفظها ، ولا يستطيعون نقلها !

اليس هذا من العجز الذي استعاذ منه النبي ﷺ حين قال : « اللهم إني اعوذ بك من العجز والكسل » [البخاري وابو داود وغيرهما من حديث انس] .

ونهى عنه فقال : « استعن بالله ولا تعجز » [مسلم من حديث ابي هريرة] .

وقال : « إن الله يلوم على العجز ، ولكن عليك بالكيس » [ابو داود] .

وإذا كان كل بلد عاجزاً إذا عمل وحده ، افلا تتكون من مجموع هذه البلاد قوة ؟ ثم اين التكامل والتعاون بين البلاد الإسلامية ؟

طاقاتنا العددية معطلة

وطاقاتنا العددية معطلة ، فنحن ـ وإن كنا الف مليون مسلم ـ تَفَرَّقْنا طرائق قدداً .

عمينا عن نور الله ، فتقسمتنا ظلمات الطواغيت .

واعرضنا عن صراط الله الواحد فتفرقت بنا السبل المتعددة ، فمالت ببعضنا إلى اليمين ، وانحرفت بآخرين إلى اليسار ، وانحاز جماعة إلى الشرق ، وآخرون إلى الغرب ، ونسينا تحذير الله لنا : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ (الأنعام : ١٥٣) . تفرقنا ، والتفرق يضعف الكثرة ، كما ان الاتحاد يقوي القلة .

لم نتكامل ، ولم نتعاون ، ولم نتلاحم ، في عصر يتكلم بلغة الكتل الكبيرة ، ولا تستطيع القلة فيه ان تعيش وحدها ، ولهذا راينا الدول المتقدمة تقيم فيما بين بعضها وبعض الأحلاف العسكرية ، والأسواق الاقتصادية ، إلى جوار التكتلات السياسية .

اما نحن فقد انقسمنا قومياً بين عرب وعجم ، وفكرياً بين تقدميين ورجعيين ، وسياسياً بين موالين للغرب وموالين للشرق ... إلى غير ذلك من انواع التمزق والانقسام .

كان المفروض ان نستفيد من طاقاتنا العددية ، وقد قال جمال الدين الأفغاني يوماً للهنود : « لو كانت ملايينكم ذباباً يطن في آذان الإنجليز لخرقتم آذانهم » !

ولكننا لم ننتفع بهذه القوة البشرية الضخمة ، لاننا جعلنا الكثرة كارثة ، وهي في الأصل نعمة ، الا ترى القرآن يقول : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ ﴾ (الأعراف : ٨٦) .

اصبح اكبر همِّ الكثيرين منا من زاعمي الإصلاح ـ لا زعمائه ـ ان نقلل عددنا ونحدد نسلنا ! وفي الأرض امم ضخمة لم تشك من كثرة سكانها كما نشكو ، بل اجتهدت ان توظف الكثرة في خدمة الإنتاج .

طاقاتنا الروحية معطلة

وقبل ذلك كله وبعده ، طاقاتنا الروحية معطلة ، فقد اعلينا الطين والحما المسنون فينا على نفخة الروح التي هي سر تكريم الله لأبينا من قبل ، ولنا من بعد : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (الحجر : ٢٩) .

هبت رياح المعصية فاطفات شموع الخشية من قلوبنا ، وطال علينا الأمد فقست قلوبنا من بعد ، كما قست قلوب اهل الكتاب من قبل : ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ (البقرة : ٧٤) .

ولم تساعد مناهجنا التعليمية واجهزتنا

وقفة مع الأمّة الإسلاميّة

التوجيهية على تكوين (المعاني الربانية) في انفسنا ، وصدق ما قاله المفكر الشاعر المسلم محمد إقبال ، حين قال عن (المدرسة الحديثة) : « إنها قد تفتح اعين الجيل الجديد على حقائق ومعارف ، ولكنها لا تعلِّم عينَهُ الدموع ، ولا قلبه الخشوع » ! اساسنا فهم الدين ـ الذي هو روح وجودنا ، وسر بقائنا وتمزقنا ـ حتى شغلنا بالشكل عن الجوهر ، وبالقالب عن القلب ، مع ان اهم ما جاء به ديننا هو تطهير القلوب ، وتزكية الانفس ، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (الشمس : ٩ ـ ١٠) .

فإذا تغيرت هذه الانفس ، تغير المجتمع ، وتحول مجرى التاريخ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (الرعد : ١١) .

صحيح اننا نحتفل بالأعياد والمواسم الدينية ، ونعطل الدوائر الرسمية ، في اكثر بلاد الإسلام ـ ايام الجمع والأعياد ـ ونطبع المصاحف والكتب الدينية ... إلخ . ولكن هذا لا يعني اننا اعطينا للدين حقه ، ووقفنا عند حدوده ؛ فنحن نحتفل به ونتمرد عليه ، كالذي يقبل يد العالم ولا يسمع نصحه ! واخشى ان يسلكنا ذلك في زمرة ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ (الاعراف : ٥١) .

واسوا ما يصيب حياة أمَّة ان يصبح الدين فيها لهواً ، ويصبح اللهو فيها ديناً !

وكيف لا ، وقد اصبحنا نزين جدراننا بآيات القرآن ولا نزين حياتنا بالعمل بالقرآن ؛ نقرؤه على الأموات ، ولا نحكّمهُ في الأحياء ! نجعل البركة في مجرد حمله او تلاوته ، وإنما البركة الحقيقية في اتباعه وتحكيمه ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الانعام : ١٥٥) .

اجترانا على الله تعالى ، فعطّلنا شريعته ، وجمّدنا احكامه ، وتطاولنا على علمه وحكمته ، حتى كاننا اعلم بالخلق وبمصالحهم منه ، ﴿ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ (البقرة : ١٤٠) ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك : ١٤) .

وطالما قلت ، وساظل اقول : إن مفتاح شخصية هذه الأمة ومفجر طاقاتها هو الإيمان : إيمان الإسلام ، الذي جعل هذه الأمة من قبل خير امة أُخرجت للناس ، وحقق لها النصر على اعظم الامبراطوريات في الأرض ، على الرغم من قلة عددها ، وضعف عدتها .

وبهذا الإيمان انتصرت بعد على هجمات التتار الزاحفين من الشرق والصليبيين الزاحفين من الغرب ، وبه تستطيع اليوم الانتصار على ورثة هؤلاء وهؤلاء .

استغل اليهود طاقاتهم الروحية ودوافعهم الدينية ، فايقظوا بها امتهم من سبات وجمعوا بها طوائفهم من شتات ، واحيوا بها لغتهم من موات ، حتى واجهونا ومعهم التوراة ، وليس معنا القرآن ! تجمعوا على اليهودية وتفرقنا عن الإسلام ! تشبثوا بتعاليم التلمود ، وسخرنا نحن من البخاري ومسلم ! قال زعماؤهم باعتزاز : هكذا علمنا انبياؤنا . واعتز زعماؤنا بـ « ماركس » و « لينين » !

نحن نملك اعظم عقيدة ، واكمل رسالة ، ولدينا الكتاب الإلهي الوحيد المحفوظ من التحريف والتبديل ، ولكننا في غمرة ساهون ، وعن مصادر قوتنا غافلون .

نحن كثرة ، ولكن ـ كما وصفنا الحديث النبوي ـ « كثرة كغثاء السيل » [احمد وابو داود عن ثوبان] .

وسر ذلك يرجع إلى خراب الباطن من قوة الإيمان الذي يصغِّر لدى المؤمن الدنيا ، ويحبب إليه الموت في سبيل الله ، وهو ما سماه الحديث (الوهن) وفسره بانه « حب الدنيا وكراهية الموت » [احمد وابو داود عن ثوبان] .

ولا عجب ان يُهزم الف مليون من « غثاء السيل » امام ثلاثة ملايين من اليهود !

مـن المســؤول ؟

ذلك هو حال امتنا من الشتات والضياع والغيبة عن الوجود ، فمن المسؤول عنه ؟

ونحن لا نريد تحديد المسؤولية هنا عن ضياع أمتنا وتعطيل طاقاتها ، لنحاكم المسؤولين عنه محاكمة ثورية او شعبية ، فمهمتنا مهمة الدعاة ، لا مهمة القضاة ؛ وما نريد إلّا ان نعرف من اين أُتينا ، حتى نسدَّ مواقع الخلل ، ونعالج مواضع الداء ، ونتقي مكامن الخطر .

■ من العلماء من قصر في واجب البلاغ المبين ، ومنهم من مشى في ركاب السلطان وجعل العلم خادماً للسياسة . ■

■ الحكام في الغالب أشبه بشعوبهم وهم إفراز مجتمعهم ، حتى الحكام الذين يُفْرَضُون على شعوبهم إنما يستمر حكمهم بممالأتها لهم أو على الأقل بسكوتها عنهم . ■

مسـؤولية الحكـام

هل تقع المسؤولية على الحكام وأصحاب السلطان ؟

إن الأكثرية تميل إلى تحميل الحكام وزر ما نحن فيه ، وذلك لجملة أسباب :

● الأول : أن الناس عادة يحبون أن يبرئوا أنفسهم ويحملوا المسؤولية لغيرهم ولهذا تحب الشعوب أن تحمل عبء تبعتها على عاتق حكامها .

● الثاني : أن شعوبنا ـ نحن المسلمين خاصة ـ عانت من حكامها الكثير ، فهي تنفس عن نفسها حين تحملهم إثم ما أصابها .

● الثالث : أن المسؤولية بقدر المكنة والسلطة ، والحكام قد مكنوا وسلطوا ، ولكنهم لم يكونوا عند حسن الظن بهم ، لم يكونوا كما قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (الحج : ٤١) .

ولا ريب أن الحكام يحملون قسطاً كبيراً ـ وربما القسط الأكبر ـ مما نحن فيه ؛ ولكن من المؤكد أيضاً أن الحكام في الغالب أشبه بشعوبهم ، وهم إفراز مجتمعاتهم ، حتى الحكام الذين يُفرضون على شعوبهم ، إنما يستمر حكمهم بممالأتها لهم ، أو على الأقل سكوتها عنهم ، وفي القول المأثور : « كما تكونوا يولّ عليكم »[1] .

مسـؤولية العلمـاء

أم تقع المسؤولية على العلماء ، فهم ورثة الأنبياء ، ودعاة الحق ، وهداة الخلق الذين أخذ الله عليهم الميثاق ليبيننّ دين الله للناس ولا يكتمونه ؟!

بيد أن من العلماء من قصر في واجب البيان والبلاغ ، ومنهم من مشى في ركاب السلطان ، وجعل العلم خادماً للسياسة ، وجعل من نفسه جهازاً لتفريخ (الفتوى حسب الطلب) .

والحقيقة أن علماء اليوم لم يعودوا وحدهم في الميدان كما كانوا في العصور الماضية ، فقد غدا الذين يملكون الكلمة المقروءة والمسموعة والمرئية في أجهزة الإعلام أشد تأثيراً في الجماهير من أصحاب المنابر ، وإن كان لكلمة الدين من القوة ما ليس لغيرها .

كما أن مشكلة علماء اليوم أنهم أصبحوا موظفين لدى الحكام ، فهم الذين يملكون توليتهم وعزلهم ، وليسوا كعلماء السلف الذين اشتغلوا بالحِرَفِ والتجارة وغيرها ليكفوا أنفسهم بأنفسهم .

ولقد سئل أحد الولاة عن سر قوة الإمام الحسن البصري رحمه الله وشموخه ، فقال الوالي بصراحة : احتجنا إلى دينه واستغنى عن دنيانا !

فماذا يكون الحـال إذا احتاج العلماء إلى ما عند الحكام من دنيا ، واستغنى الحكام عما عند العلماء من دين ؟!

على أن من العلماء من أدى الأمانة ، وبلّغ الرسالة ، ولقي في سبيلها من العذاب ما لقي ، بل منهم من قدم رقبته في سبيل الله !

مسـؤولية الجماهـير

أم تقع المسؤولية على الشعب ؛ على الجماهير ؟

الواقع أن المسؤولية مشتركة ، تحمل الأطراف كلها منها نصيباً ، على قدر ما لديها من إمكانات ، فمسؤولية العالم أكبر من مسؤولية الجاهل ، ومسؤولية ذي السلطة أكبر من مسؤولية من لا سلطة له ، ومسؤولية ذي المال أكبر من مسؤولية من لا مال عنده ، وإن كان الكل مسؤولاً .

والنبي ﷺ يحمل المسؤولية للجميع ، كُلّ في موقعه « كلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول عن رعيته » .

والإسلام لا يعرف طبقة خاصة يعتبرهم وحدهم (رجال الدين) المسؤولين عنه ، بل كل مسلم رجلٌ لدينه ، والأمة كلها مسؤولة بالتضامن عن فرائض الله وأحكام شريعته ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ... ﴾ (التوبة : ٧١) .

ولقد ذكرت مرة أن أحد المستمعين قال لأحد الدعاة بعد محاضرة ألقاها :

« قد مضى لكم ثلاثون سنة وأنتم تتكلمون ، فماذا صنعتم ؟ » وكان جواب الداعية مفحماً حين قال : « وأنتم مضى لكم ثلاثون سنة وأنتم تسمعون فماذا صنعتم ؟! » .

وهذا حق ، فإن على المستمع ـ كما على المتكلم ـ مسؤولية تحويل الكلام إلى عمل ، والأفكار إلى وقائع ، وإن اختلفت درجة المسؤولية .

مسؤولية الحركة الإسلامية

وهنا قد تشير الأصابع إلى الحركة الإسلامية الحديثة ، تحملها مسؤولية ما تعانيه الأمة المسلمة من التيه والتمزق والضياع ، وكان الظن بها أن تقود مسيرتها إلى بر السلامة ، وأن تتحقق على يديها الأحلام ، وتزول الآلام ، بعد أن وثقت بها الجماهير الغفيرة ، والتف حولها عشرات الألوف من رهبان الليل وفرسان النهار ، وبعد أن مضى عليها من الزمن ما يكفي لنضجها وبلوغها رشدها .

وهنـا لا بد من وقفة للمحاسبة مع الحركة الإسلامية ، نرجئها لعدد قـادم ، إن شاء الله .

(*) انظر : التقرير الذي أصدره مكتب التربية العربي لدول الخليج تحت عنوان : « أمة معرضة للخطر » ترجمة وعرض الدكتور يوسف عبد المعطي .

(١) رواه الديلمي في « مسند الفردوس ، عن أبي بكرة بسند ضعيف ، والبيهقي في «الشُعَب» بإسناد منقطع ، والطبراني بمعناه عن الحسن أنه سمع رجلاً يدعو على الحجاج ، فقال له : لا تفعل ، إنكم من أنفسكم أُتيتم ، إنّا نخاف إن مات الحَجَّاج أو عزل أن يتولى عليكم القردة والخنازير !! فقد روي : « أن أعمالكم عمالكم ـ أي : ولاتكم ـ وكما تكونوا يولّ عليكم » انظر : كشف الخفاء ومزيل الإلباس : ١٦٦/٢ حديث رقم ١٩٩٧ .

حديقة الأمة

من نور كتاب الله

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (آل عمران : ١٧٣ - ١٧٤)

لم تنصفونا !!

قال عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي ، على المنبر : ألا تنصفوننا يا معشر الرعية ؟ تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ولم تسيروا في أنفسكم ولا فينا بسيرة رعية أبي بكر وعمر ، أسأل الله أن يعين كلاً على حال . . .

[البيان والتبيين]

الحسن البصري رحمه الله

أبو سعيد ، الحسن بن يسار ، ولد عام ٢١ للهجرة ، وتوفي عام (١١٠) للهجرة ، وهو تابعي كبير ، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه ، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النسّاك ، ولد بالمدينة ، وشبّ في كنف علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، واستكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية ؛ سكن البصرة ، وعظمت هيبته في القلوب ، فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم ، لا يخاف في الحق لومة لائم . . . قال الغزالي رحمه الله : كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء ، وأقربهم هدياً من الصحابة ، وله من الحجاج بن يوسف مواقف ، وقد سلم من أذاه ، ولما ولي عمر بن عبد العزيز رحمه الله الخلافة ، كتب إليه : « إني قد ابتُليتُ بهذا الأمر ، فانظر لي أعواناً يعينونني عليه » فأجابه الحسن : أما أبناء الدنيا فلا تريدهم ، وأما أبناء الآخرة فلا يريدونك ، فاستعن بالله . . .

[الأعلام للزركلي]

أدب الرجل مع زوجه

حُسن العشرة ، ولطافةُ الكلمة ، وإظهار المودة ، والبسط في الخلوة ، والتغافل عن الزّلة ، وقلة المجادلة ، وبذل المؤونة بلا بخل ، وإكرام أهلها ، ودوام الوعد الجميل ، وشدة الغيرة عليها . . .

أدب المرأة مع زوجها

دوام الحياء منه ، وقلة المماراة له ، وحسن الاستماع لكلامه ، والحفظ له في غيبته ، وترك الخيانة في ماله ، وإظهار القناعة ، واستعمال الشفقة ، ودوام الزينة ، وإكرام أهله وقرابته ، ورؤية حاله بالفضل ، وقبول فعله بالشكر ، وإظهار الحب له عند القرب منه ، وإبداء السرور عند الرؤية له . . .

[إحياء علوم الدين]

كفى بترك العلم إضاعة ..

قال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه : أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه . فقال له : كفى بترك العلم إضاعة .

وقال بعض الحكماء : من صاحب العلماء وُقِّر ، ومن جالس السفهاء حُقِّر .

وقال بعض العلماء : من أحب العلم أحاطت به فضائله .

وسئل بعض العلماء : أيما أفضل : المال أم العلم ؟ فقال : الجواب عن هذا ، أيما أفضل المال أم العقل ؟

وقال صالح بن عبد القدوس :

لا خَير فيمن كان خيرُ ثنائه ... في النّاس قولُهُمُ غنيٌّ واجدُ

[أدب الدنيا والدين]

والله لا أشربها أبداً

عن ابن سيرين قال : كان أبو مِحْجَن الثقفي لا يزال يجلد في الخمر ، فلما أكثر عليهم سجنوه وأوثقوه ، فلما كان يوم القادسية ، فكأنه رأى أن المشركين قد أصابوا المسلمين ، فأرسل إلى امرأة سعد : إن أبا محجن يقول لك : إن خليتِ سبيله ، وحملتِه على هذا الفرس ، ودفعتِ إليه سلاحاً ليكوننَّ أول من يرجع إليك إلَّا أن يقتل . وأنشأ يقول :

كفى حزناً أن تلتقي الخيل بالقنا
وأُتـركَ مشـدوداً عليَّ وثـاقيـا
إذا قمتُ عنَّاني الحديدُ وغُلِّقت
مصاريعُ من دوني تصمُّ المناديا

فحلت قيوده ، وحُمل على فرس كان في الدار ، وأعطي سلاحاً ، ثم خرج يركض حتى لحق القوم ، فجعل لا يزال يحمل على رجل فيقتله ويدق صلبه ، فنظر إليه سعد فجعل يتعجب ويقول من ذاك الفارس ؟

قال : فلم يلبثوا إلَّا يسيراً حتى هزمهم الله . ورجع أبو محجن وردّ السلاح وجعل رجليه في القيود كما كان . فجاء سعد ، فقالت له امرأته : كيف كان قتالكم ؟ فجعل يخبرها ويقول : لقينا ولقينا حتى بعث الله رجلًا على فرس أبلق ، لولا أني تركت أبا محجن في القيود لقلت : إنها بعض شمائل أبي محجن . فقالت : والله إنه لأبو محجن ، كان من أمره كذا وكذا ، فقصت عليه قصته . . .

فدعا به ، فحل قيوده وقال : لا نجلدك على الخمر أبداً ؛ قال أبو محجن : وأنا والله لا أشربها أبداً ، كنت آنف أن أدعها من أجل جلدكم . . . وفي رواية : قد كنت أشربها إذ يقام عليَّ الحد وأطهر منها ، فأما إذ بهرجتني ، فوالله لا أشربها أبداً . . .

وكان أبو محجن أسلم حين أسلمت ثقيف ، وسمع من النبي ﷺ ؛ واسمه : مالك . وقيل : عبد الله بن حبيب . وقيل اسمه كنيته .

[كتاب التوابين للمقدسي]

وأدنـاني مـن رحمـة الله

قيل للإسكندر : ما بال تعظيمك لمؤدبك أكثر من تعظيمك لأبيك ؟

قال : لأن أبي سبب حياتي الفانية ، ومؤدبي سبب حياتي الباقية .

ودخل محمد بن زياد مؤدب الواثق على الواثق ، فأظهر إكرامه ، وأكثر إعظامه ، فقيل له : من هذا يا أمير المؤمنين ؟

قال : هذا أول من فتق لساني بذكر الله ، وأدناني من رحمة الله . . .

[زهـر الآداب]

إلَّا حـرَّم الله عليه الجنَّـة

روى البخاري في «صحيحه» من حديث مَعْقِل بن يَسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما من عبدٍ يَسترعيه الله رعية فلم يُحِطْها بنصحه ، لم يجد رائحة الجنة » و « ما من والٍ يلي رعية من المسلمين فيموتُ وهو غاشٌ لهم إلَّا حرم الله عليه الجنـة » .

وروى مسلم في « صحيحه » :

« ما من عبد يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلَّا حرم الله عليه الجنة » .

معنى الحكمـة

. . . وأما الحكمة ففيها أقوال كثيرة مضطربة ، قد اقتصر كل من قائليها على بعض صفات ، وقد صفا لنا منها ، أن الحكمة عبارة عن : العلم المتصف بالأحكام المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى ، المصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق والعمل به ، والصد عن اتباع الهوى والباطل ، والحكيم من له من ذلك .

وقال أبو بكر بن دريد : كل كلمة وعظتك وزجرتك ، أو دعتك إلى مكرمة ، أو نهتك عن قبيح فهي حكمة وحكم ؛ ومنها قول النبي ﷺ : « إن من الشعر لحكمة » وفي بعض الروايات « حكماً » والله أعلم .

[مسلم بشرح النووي]

□ هذه البطاقات عبارة عن أفكار وتصريحات وأقوال ذات مساحات محددة يلتقطها بعض الإخوة من القراء بما يتمتعون به من حواس ذكيَّة . ومن ثَمَّ يقدمونها من خلال هذه الصفحة ..

وهي محتجزة لتقديم كل نافع ومفيد من هذه العصارات المكثفة ، التي يُشار فيها إلى مكمن خطر .. أو يُكشف فيها قناع عن وجه عدو للأمة ومقوِّماتها .. أو يبصِّر برؤية ويسدد طريقاً ويقوِّم منهجاً . تحت عنوان خير الكلام ما قلَّ ودل .□

حضـــارة الغـــرب !

□□ انا من الذين يعيشون نوعاً من الوجل والخوف على ما وصلت إليه حضارتنا الغربية المادية .. إننا نعيش ازمة ضمير ووجدان خانقة . وإنني من المعتقدين أنَّ حضارتنا الغربية بمفهومها القديم والتقليدي هي الآن في حالة احتضار واننا نعيش الآن نوعاً من موجة التحول الذي لا نعلم ماذا سينتج عنه .. نحن الآن في أواخر هذا القرن الميلادي ، نُشاهد حضارة تنازع وتوشك على الموت وستموت بلا شك وهي تموت .. ولا بد من ان ينشا عنها حضارة جديدة . اما إذا تساءلنا عن السبب فهناك أسباب متعددة منها بالأخص :

ان الغرب قد فقد المرتكزات الروحية الثقافية الدينية التي كان يرتكز عليها ، فلم يعد هناك شيء يركن إليه .. فالديانة النصرانية فقدت مقوماتها ، والتوق إلى الروحانيات انتهى واضمحل من النفوس ، فاصبح في الغرب نوع من الفراغ ونوع من الضياع الشامل تكتوي بـه الآن الأجيال الشابة ، واكبر برهان على ذلك أنَّ هناك إقبالاً شديداً بين شباب الغرب على دراسة ما نسميه عندنا في الجامعات (بتاريخ الديانات) .

نحن نعيش الآن في نفق مظلم ولا نزال ننتظر النور الذي سيهدينا .. □□

بروفيسور سيمون جارجي

رئيس مركز الدراسات الشرقية ـ جامعة جنيف

القارىء : آدم عبد الرحمن ـ الخرطوم

[الشـرق الأوسـط]

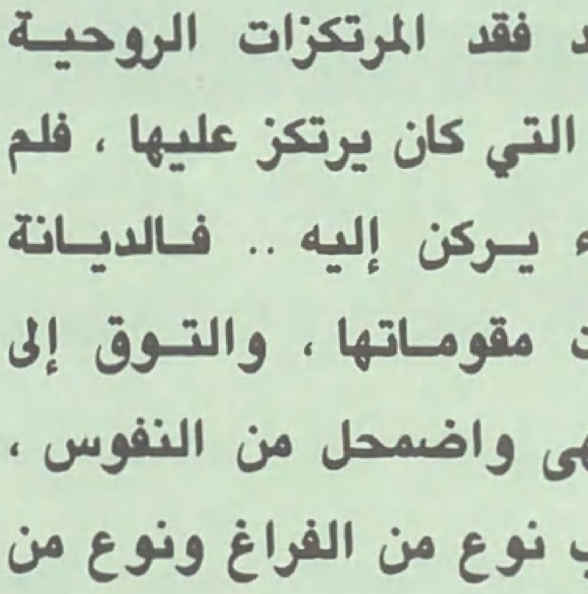

■ بروفيسور سـيمون ●

نقل فكرة الجهـــاد

□□ انتقدت صحيفة (نين) اليوغسلافية طلب مسلمي يوغسلافيا بناء مساجد لإقامة الصلوات فيها ، وطالبت بعدم إيفاد الطلبة المسلمين لدراسة العلوم الشرعية إلى البلدان العربية والإسلامية حتى لا ينقلوا عند عودتهم فكرة الجهاد .. وقالت الصحيفة على لسان احد أساتذة القانون الدولي : إن السبب الرئيس لنشر الإسلام في بداية الفتح الإسلامي هو الحصول على الغنائم ، وإن الشريعة الإسلامية تدعو المسلمين للسيطرة على العالم !!! □□

عن ملحق «الاتحاد» الديني (الهدى) أبوظبي

القـــارىء : عبود جاسم ـ مكة

بين المستعمـرة ومنطقة النفـوذ !

□□ الفرق بين « المستعمرة القديمة » وبين « منطقة النفوذ » الحديثة ، ان المستعمرة كانت غير مسؤولة عما يتعرض له شعبها من استبداد واستغلال ، فهذا من فعل الأجنبي والمستعمر الغاشم .. اما منطقة النفوذ فهي مسؤولة امام نفسها وامام العالم عما يقع من فساد وتخبط وفوضى ، وهي المسؤولة عما تتعرض له من استغلال وابتزاز ، لان لها حكومة وطنية من اهل البلاد .. وإن كانت السلطة الفعلية في يد الدولة الكبرى صاحبة النفوذ . □□

[العـــربي الكويتيـــة]

القارىء : محمود الدسوقي ـ أبوظبي

صــــراع الأضـــداد

□□ في ميدان التجسس العالمي فريقان يعتبران الأقوى والأوسع انتشاراً : وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية « السي . آي . إيه » والهيئة السوفييتية لأمن الدولة « كيه . جي . بي » وتقوم هذه الأخيرة بـالعمليات التي تقوم بها الـ « سي . آي . إيه » بالإضافة إلى عمليات أخرى : فهي تنفذ القوانين الداخلية في الاتحاد السوفييتي ، وتحمي الدولة من عمليات التجسس ، وتعتبر مسؤولة عن حل « الشفرة » التي تقوم بها في أمريكا وكالة الأمن القومي . وبالإضافة إلى ذلك تقوم بتشغيل فرق من حرس السواحل ودوريات حدود خاصة ليس لها مثيل في الولايات المتحدة الأمريكية .

أما عدد العاملين في الـ « كيه . جي . بي » فتسعون ألف ضابط ، و (١٥٠) ألف موظف وفني ، و (٢٥٠) ألف رجل من قوات الحدود ، أي حوالي نصف مليون فرد مقابل (٢٨) ألف موظف يعملون في الـ « سي . آي . إيه » . □□

عن مجلة [المجلة] العدد (٢٣٤)

القارىء : عبد البديع يوسف ـ أبو ظبي

الثمانينيات .. انحسار الفكر الشيوعي

□□ إن انحسار الفكر الشيوعي حادث مهم ، يجب أن يتوقف عنده علماء المسلمين ومفكروهم ودعاتهم ليدرسوا هذه الظاهرة دراسة موضوعية من منظور إسلامي ، ليفتحوا آفاقاً جديدة لهؤلاء الذين كفروا بالماركسية اللينينية ، وليتعرفوا على الإسلام الحنيف بقيمه ومبادئه الخالدة ، التي عاشت (١٤) قرناً تحمل العدل والسلام والرفاهية للبشر وستبقى إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ، بينما تآكلت النظرية الشيوعية خلال أقل من قرن واحد من الزمان ..

إن العالم لم يكن من قبل أشد حيرة وتخبطاً مما هو عليه الآن ، بحثاً عن عقيدة تنتشل روحه وآدميته من هوة الظلمات المادية التي يتردى فيها ، وليس غير الإسلام ديناً يصلح على مستوى الكون ، كما يقول المفكر الفرنسي « جاك بيرك » في كتابه الأخير : « الإسلام على مستوى الكون » .

إنها دعوة مخلصة لكي تنهض الأمة الإسلامية بواجب التبليغ ونشر الرسالة . □□

[الحـرس الـوطني]

القارىء : خالد محمود ـ مصر ـ الإسماعيلية

بقلم : حنان لحام

النقد الموضوعي منهج قرآني

■■ كنت اتابع ما يكتبه الأساتذة الأفاضل في زاوية : قضية للمناقشة : أين الخلل ؟ وانا اشعر بانتعاش كبير .. فما أعظم دبيب الحياة الفكرية حيث تتنفس في عالمنا الذي طال رقاده .. ولقد كانت مقالات الأساتذة - جزاهم الله خيراً - بمثابة انوار كاشفة أضاءت لنا بعض جوانب الطريق .. وأشعرتنا بضرورة الوقوف للتامل والتبصر قبل متابعة اندفاعنا المتحمس الذي قادنا للتوغل في الظلمات .. ورغم اننا رددنا طويلاً شعار : العلم نور .. لكننا حتى الآن حين نصطدم بشيء نلعن الحواجز والعوائق ولا نلوم انفسنا لأننا لا نملك النور الذي يجعلنا نتفادى الاصطدام ■■

رسالة استنكار لبيان موضع الخطأ

وتابعت جولتي الممتعة مع العدد التاسع والأربعين من المجلة .. فإذا بي أقف أمام الرسالة المخلصة التي وجهها (مسلم أمين) من مصر إلى المجلة (صفحة ٨٢) يستنكر فيها مناقشة أين الخلل ؟ ويتساءل : [**أين القدوة لكم في هذا العمل ؟ هل فعل ذلك رسولنا وقدوتنا محمد ﷺ ؟**] إلى أن يقول : [**... فأناشدكم الله في دينكم ألَّا تعلنوا عن أي فكرة أو أي تحليل لأسباب الخلل حتى لا نكشف للعدو عن النقط القاتلة فينا إن كانت لا تزال خافية عليه**] .

وهنـــا شعرت بان هذه الرسالة المخلصة قد كشفت عن موضع خلل في نفوس المهتمين بعودة الحياة الإسلامية إلينا .. وهو شعورهم بخطورة النقد الذاتي وانه يخدم اعداء الإسلام .. ولعل بعضهم يعتبر الدخول فيه خيانة للمسلمين وعمالـة لأعدائهم . وإنني لأجد لهم بعض العذر .. فقد طال بنا العهد ونحن نتغذى بالكتب التي تمدح المسلمين وتمجد آثارهم .. وكم طربنا من هذا النغم الفكري الذي ينسب كل فضيلة إلى أجدادنا وكل نقيصة إلى أعدائنا .. فكيف نقبل هذه النغمة الجديدة التي تقلق راحتنا وتطرد أحلام الماضي السعيد من أجفاننا ..؟!

ومن العجيب أن يبقى المسلم حتى الآن جاهلاً بما يقوم به عدوه من دراسات نفسية واجتماعية للشعوب جعلته قادراً على استغلالها وتعويق نموها باستغلال عيوبها وأمراضها الفكرية والاجتماعية ودون أن يكلف نفسه مشقة المجابهة العنيفة المباشرة ..!! حقاً إن أكبر مأساة نعيشها في هذا العصر هي أننا نحن الذين نجهل عيوبنا وأمراضنا وليس عدونا .. المشكلة اننا نحن آخر من يعلم .. وبالتالي آخر من يتحرك .

وعجبت من التساؤل [**أين القدوة لكم في هذا العمل ؟**] ..!! ومن المؤلم حقاً أن القرآن معلق في بيوتنا .. متلوٌّ في إذاعاتنا .. لكن أين التدبر ..؟!

نمـــاذج من النقـــد الموضوعي

ولذا شعرت بحاجة إلى تذكير القارىء الكريم ببعض الآيات التي يسمعها أو يتلوها صباحاً ومساءً .. إنها آيات تكشف عن أخطاء

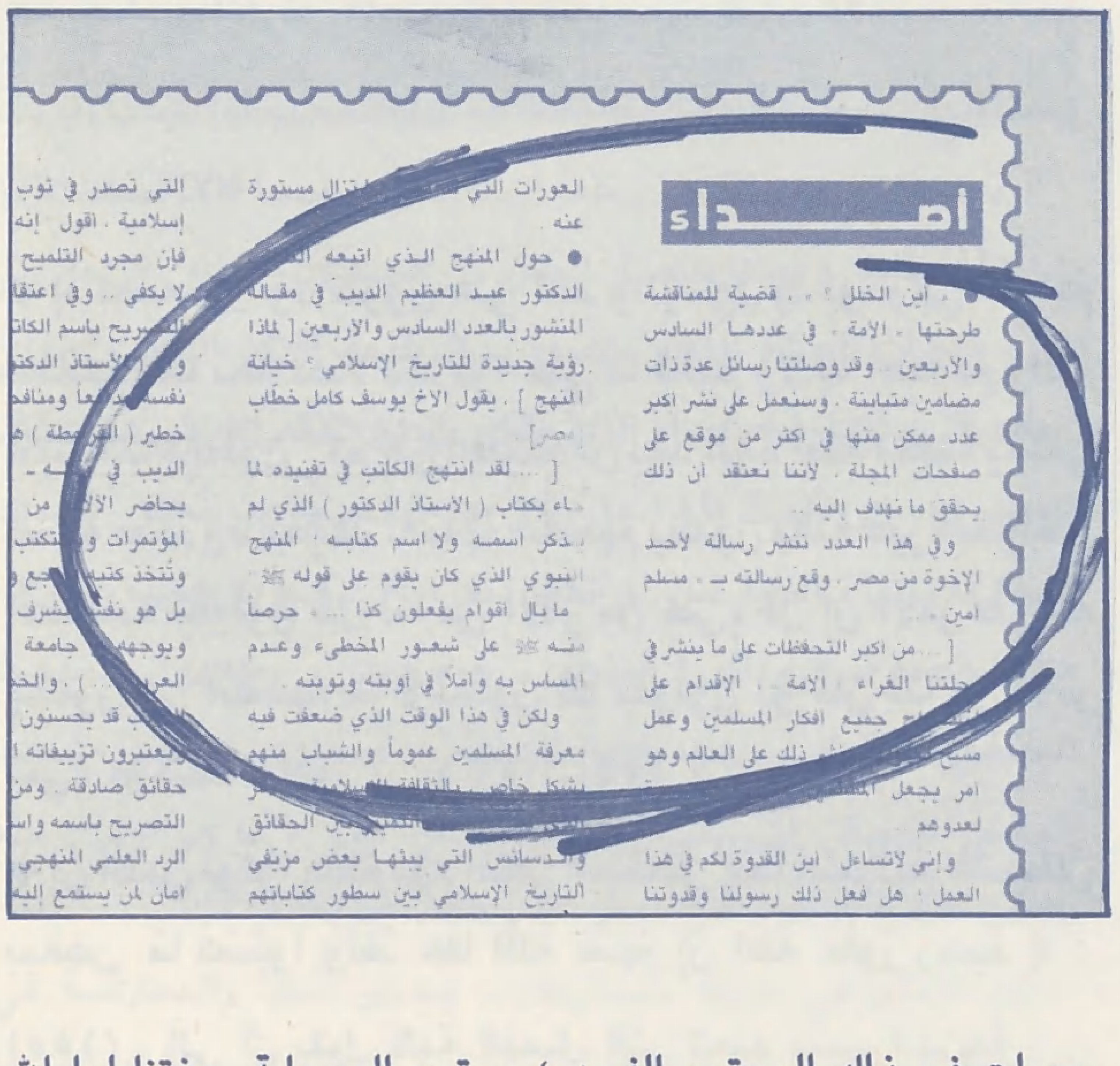

أصداء

• « أين الخلل ؟ » . قضية للمناقشة طرحتها « الأمة » في عددها السادس والأربعين . وقد وصلتنا رسائل عدة ذات مضامين متباينة . وسنعمل على نشر أكبر عدد ممكن منها في أكثر من موقع على صفحات المجلة . لأننا نعتقد أن ذلك يحقق ما نهدف إليه ..

وفي هذا العدد ننشر رسالة لأحد الإخوة من مصر . وقع رسالته بـ « مسلم أمين » .

[... من أكبر التحفظات على ما ينشر في مجلتنا الغراء « الأمة » . الإقدام على ... جميع أفكار المسلمين وعمل ... ذلك على العالم وهو أمر يجعل ... لعدوهم .

وإني لأتساءل أين القدوة لكم في هذا العمل ؟ هل فعل ذلك رسولنا وقدوتنا ...

العورات التي ... لا تزال مستورة عنه .

• حول المنهج الذي اتبعه ... الدكتور عبد العظيم الديب في مقالة المنشور بالعدد السادس والأربعين [لماذا رؤية جديدة للتاريخ الإسلامي ؟ خيانة المنهج] . يقول الاخ يوسف كامل خطاب [مصر]

[... لقد انتهج الكاتب في تفنيده لما ... بكتاب (الأستاذ الدكتور) الذي لم ... ذكر اسمه ولا اسم كتابه ، المنهج النبوي الذي كان يقوم على قوله ﷺ « ما بال أقوام يفعلون كذا ... » حرصاً ... على شعور المخطىء وعدم المساس به وأملاً في أوبته وتوبته .

ولكن في هذا الوقت الذي ضعفت فيه معرفة المسلمين عموماً والشباب منهم بشكل خاص بالثقافة الإسلامية ... الحقائق والدسائس التي يبثها بعض مزيفي التاريخ الإسلامي بين سطور كتاباتهم

التي تصدر في ثوب ... إسلامية . أقول إنه ... فإن مجرد التلميح ... لا يكفي .. وفي اعتقا... التصريح باسم الكات... و... الأستاذ الدكت... نفسه ... ومنافح... خطير (القرامطة) ه... الديب في ... يحاضر الأ... من المؤتمرات و... وتتخذ كتب... بل هو نفس... ويوجهه... جامعة العرب...) . والخ... قد يحسنون ويعتبرون تزييفاته ... حقائق صادقة . ومن... التصريح باسمه واس... الرد العلمي المنهجي ... امان لمن يستمع إليه...

حصلت في ذاك المجتمع الفريد ؛ مجتمع الصحابة .. فتناولها الله سبحانه بالتحليل والتسديد .. وأنزل فيها آيات تتلى إلى يوم الدين ويسمعها المؤمنون والكافرون المعاصرون للأحداث .. وكل من جاء من بعدهم ..

النقــــد الموضـــــوعي

منهج قرآني

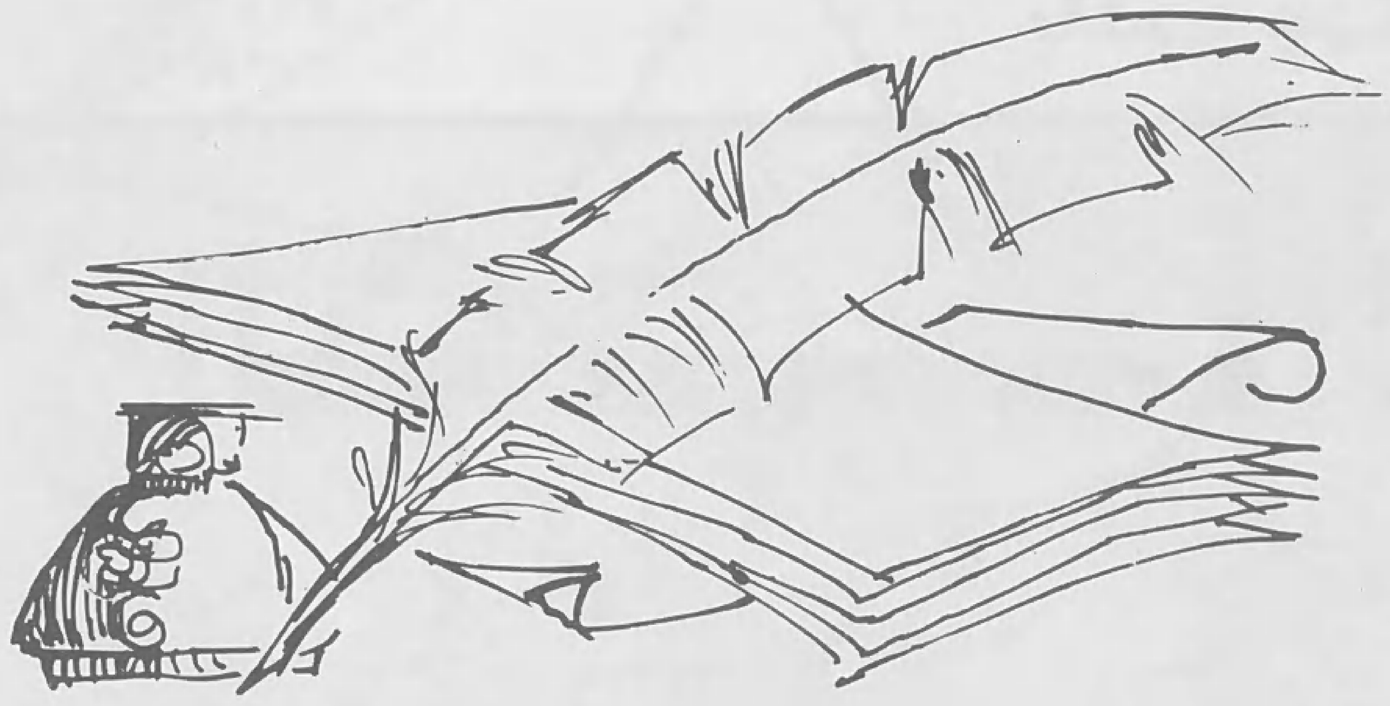

[أ] في غـــزوة أُحـــد

ها هي سورة آل عمران تتحدث عن غزوة أحد . فتعرض الأخطاء التي ارتكبت في الصف المسلم .. بل تكشف عن خبايا النفوس وتُعرِّضها للضوء أمام الجميع :

﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ : (١٢٢) .

ويستنكر الزعزعة والتراجع الذي حصل في الصفوف حين سرت الإشاعة بأن محمداً ﷺ قد مات :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ : (١٤٤) .

ثم يعرض صورة لما حدث في المعركة وكيف انقلبت الدائرة فيها :

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ : (١٥٢) .

يقول عبد الله بن مسعود : ما كنت أظن أن منا من يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية .

﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ... (١٥٣ ـ ١٥٤) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ :

(١٥٥) . إلى أن يقول كلمة الفصل التي تحدد سبب الهزيمة :

﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ : (١٦٥) . فالمصيبة جاءت من عند أنفسكم .. لا من عند عدوكم .. والقرآن الكريم لا يرد الأمر إلى حيلة **خالد بن الوليد** (الذي كان على فرقة من المشركين وقام بمناورته من خلف رماة المسلمين) بل إلى أخطاء المسلمين ، ويعلن هذه الحقيقة على الجميع ؛ إذ ليس من المهم أن يتوقف كيد الأعداء بل المهم فعلاً أن يكشف المسلمون أخطاءهم ويصححوها . وهذا ما جعل صاحب الظلال ـ رحمه الله ـ يقف مع الآيات وقفة طويلة ويقول : [**لقد دفعوا الثمن غالياً ، وتلقوا الدرس عالياً**] .

[ب] في حـــنين

وفي حنين حدثت مشاعر عند المسلمين جعلتهم يفقدون بعض حذرهم وتوترهم ولجوئهم إلى الله .. فكادوا يخسرون الموقف وجاءت الآيات تكشف عن ذلك :

﴿ ... وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾ (التوبة : ٢٥) .

[ج] انفصال القـــول عـــن العمـــل

وفي سورة الصف يحذرهم من انفصال القول عن العمل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ : (الصف : ٢ و ٣) .

وفي سورة النساء يتحدث عن أخطاء كثيرة منها :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً . أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً ﴾ : (٧٧ و ٧٨) ، ومنهـا :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾ : (٩٤) .

[د] قضيـــة الإفـك

وفي سورة النور تناول إشاعة الإفك (التي هزَّت المجتمع المسلم في ذلك الوقت) بالتحليل ، وشنَّ حملة على المؤمنين وحَمَّلهم التبعة .. علماً بأن المنافقين هم الذين حرَّكوا الفتنة وقد أشارت إليهم الآيات وإلى ما يعده الله لهم من عذاب عظيم ﴿ **وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ لكن باقي الآيات كانت تندد بالضعف والخلل في نفوس المسلمين الذين ساقتهم الغفلة إلى مساعدة العدو في ترويج الإشاعة :

﴿ **إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ** ﴾ : (١٥) .

[هـ] قضيَّـــة الأعمىٰ

ولو مضيت أستقصي منهج القرآن في نقد أتباعه وعلاج أخطائهم لاستوفيت معظم القرآن .. فإن القرآن لم يسكت عن غلطة أحد مهما كان مقرباً .. بل إن الآيات كانت تنزل لتعاتب رسول الله ﷺ على بعض المواقف التي صدرت منه .. وقصـة إعراضه عن ابن أم مكتوم ـ وهو الأعمى لا يرىٰ إعراض رسول الله ﷺ ـ معروفة ، وقد نزلت فيها آيات شديدة الوقع :

﴿ **عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ . أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ . وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ . أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ . أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ . فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ . وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ . وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ . وَهُوَ يَخْشَىٰ . فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ . كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ . فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ . فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ...** ﴾ .

وكما يقول صاحب الظلال رحمه الله [وللمرة الوحيدة في القرآن كله يقال للرسول الحبيب القريب ﴿ **كلَّا** ﴾ وهي كلمة ردع وزجر في الخطاب . ذلك أنه الأمر العظيم الذي يقوم عليه هذا الدين] .

[و] رجـل من الأنصـار سـرق

وتحدث سرقة في عهد رسول الله ﷺ ويكون السارق من الأنصار ـ وقيل : إنه منافق ـ فلما أحس أن أمره سينكشف ألقى الدرع التي سرقها في بيت يهودي ، وأرسل قومه يدافعون عنه عند رسول الله ﷺ ويطلبون من النبي أن يعلن براءة صاحبهم على الناس . فتنزل آيات من سورة النساء :

﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً . وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً . وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً** ﴾ : (١٠٥ ـ ١٠٧) . يقول صاحب الظلال :

[ولقد كان هناك أكثر من سبب للإغضاء عن الحادث ؛ أو عدم التشديد فيه والتنديد به وكشفه هكذا لجميع الأبصار ؛ بل فضحه بين الناس على هذا النحو العنيف المكشوف .. كان هناك أكثر من سبب ؛ لو كانت الاعتبارات الأرضية هي التي تتحكم وتحكم ، ولو كانت موازين البشر ومقاييسهم هي التي يرجع إليها هذا المنهج . كان هناك سبب واضح عريض .. إن هذا المتهم يهودي من يهود التي لا تدع سهماً مسموماً تملكه إلَّا أطلقته في حرب الإسلام وأهله ... يهود التي لا تعرف حقاً ولا عدلاً ولا نصفة ، ولا تقيم اعتباراً لقيمة واحدة من قيم الأخلاق في التعامل مع المسلمين على الإطلاق . وكان هنالك سبب آخر ؛ وهو أن الأمر في الأنصار الذين آووا ونصروا ... والذين قد يُوجِد هذا الحادث بين بعض بيوتهم ما يوجد من الضغائن .. بينما اتجاه الاتهام إلى يهودي يبعد شبح الشقاق .. وكان هنالك سبب ثالث ؛ هو عدم إعطاء اليهود سهماً جديداً يوجهونه إلى الأنصار وهو أن بعضهم يسرق بعضاً ثم يتهمون اليهود .. وهم لا يدعون هذه الفرصة تفلت للتشهير بها والتغرير .. ولكن الأمر كان أكبر من هذا كله .. كان أكبر من كل هذه الاعتبارات الصغيـرة في حساب الإسلام .. كان أمر تربية هذه الجماعة الجديدة لتنهض بتكاليفها في خلافة الأرض وفي قيادة البشرية . وهي لا تقوم بالخلافة في الأرض ولا تنهض بقيادة البشرية حتى يتضح لها منهج فريد متفوق على كل ما تعرف البشرية ، وحتى يثبت هذا المنهج في حياتها الواقعية ، وحتى يمحص كيانها تمحيصاً شديداً وتنفض عنه كل خبيئة من ضعف البشر ومن رواسب الجاهلية .. وحتى يقام فيها ميزان العدل لتحكم به بين الناس مجرداً من جميع الاعتبارات الأرضية ...] .

متى نبلغ مرحلـة النضـج ؟

وبعــد .. فإن الإنسان كلما ازداد نمواً ونضجاً كلما استطاع أن يُواجه أخطاءه .. بينما يتنصل الطفل من المسؤولية ويلقي التبعة على غيره .. **وإن العالم اليوم أصبح يدرك قيمة النقد الذاتي** .. وفي الوقت الذي يقول فيه زعماء الدول الكبرىٰ : (**النقد الذاتي هو خبزنا اليومي**) .. ويتحدث فيه المؤرخون عن الحضارات ويحللون أسباب انهيارها بأنها داخلية قبل أن تكون خارجية .. فـ« **توينبي** » يقول : **إن الحضارة هي التي تنتحر** .. و « **ويلز** » **يشبهها بالشجرة المنخورة تتهاوىٰ عند أول عاصفة** .. وسط هذا النمو المطرد العالمي لا يمكن أن يبقى المسلم متقوقعاً على ذاته في ركن مظلم يرفض الخروج إلى النور حتى لا تتكشف مرقعاته ..!!

إن العالم في حركة متسارعة .. يسخر النقد والمعارضة في تصحيح مساره .. ونحن واقفون متهيبون .. فإن لم نتدارك أنفسنا بالنقد الذاتي فاتنا الركب وخسرنا دنيانا .. بل وأفسدنا آخرتنا .. فإن نقد الذات هو التوبة .. ومن لا يقدر على الاعتراف بخطئه لا يقدر على التوبة .. ومن لا يقدر على التوبة حرم من الآخرة .

عندما أعلن المسلمون الجهاد في البرازيل

■ مصير ثائر افريقي في امريكا الجنوبية عام ١٧٧٢م . للرسام والشاعر البريطاني الشهير « وليم بليك » ■

■ كان المرضى والثوار يلقون في البحر أحياء ■

بقلم الدكتور :

أنس الشيخ علي

■■ لا يزال الكثير من صفحات التاريخ الإسلامي في الأمريكتين مطوياً رغم أن العديد من الأبحاث والدراسات تجري الآن في الولايات المتحدة حول تاريخ المسلمين الأفارقة الذين اقْتُلِعُوا من أوطانهم وحقولهم ـ وحتى من أحضان أمهاتهم ـ ليباعوا في سوق النِّخَاسة الأمريكية ، ويلاقوا صنوف العذاب والإرهاب ؛ وربما كان كتاب « الجذور » « لأليكس هيلي » ـ الذي صدر عام (١٩٧٦م) ، وتوالت طبعاته نتيجة الرواج الشديد الذي لاقاه ، وأخرج على شكل مسلسل تلفزيوني ـ يعبر أصدق تعبير عن رحلة العذاب والألم الطويلة ، ابتداء من لحظة الاختطاف ، مروراً بالأقفاص الخشبية التي كان يحجز فيها الأفارقة قرب السواحل قبل شحنهم بالسفن ، ثم الرحلة الشاقة الرهيبة عبر الأطلسي حيث يوضعون في قعر السفينة ويربطون بالسلاسل ، ومن ثمّ ينقل الناجون من الرحلة إلى سوق النخاسة الأمريكية من « سيد » إلى آخر ، ومن مدينة إلى أخرىٰ ، ومن ولاية إلى ثانية ، كل ما فيها غريب عليهم ، وكل من فيها يتفنَّن في تعريضهم لصنوف العذاب ؛ وتشير المصادر الكثيرة إلى أن أعداداً كبيرة منهم ماتوا بسبب الأوضاع السيئة التي أحاطت بنقلهم ، ولإصابتهم بالكوليرا أو الحمى الصفراء ، وكان المرضىٰ منهم يلقون في البحر . ■■

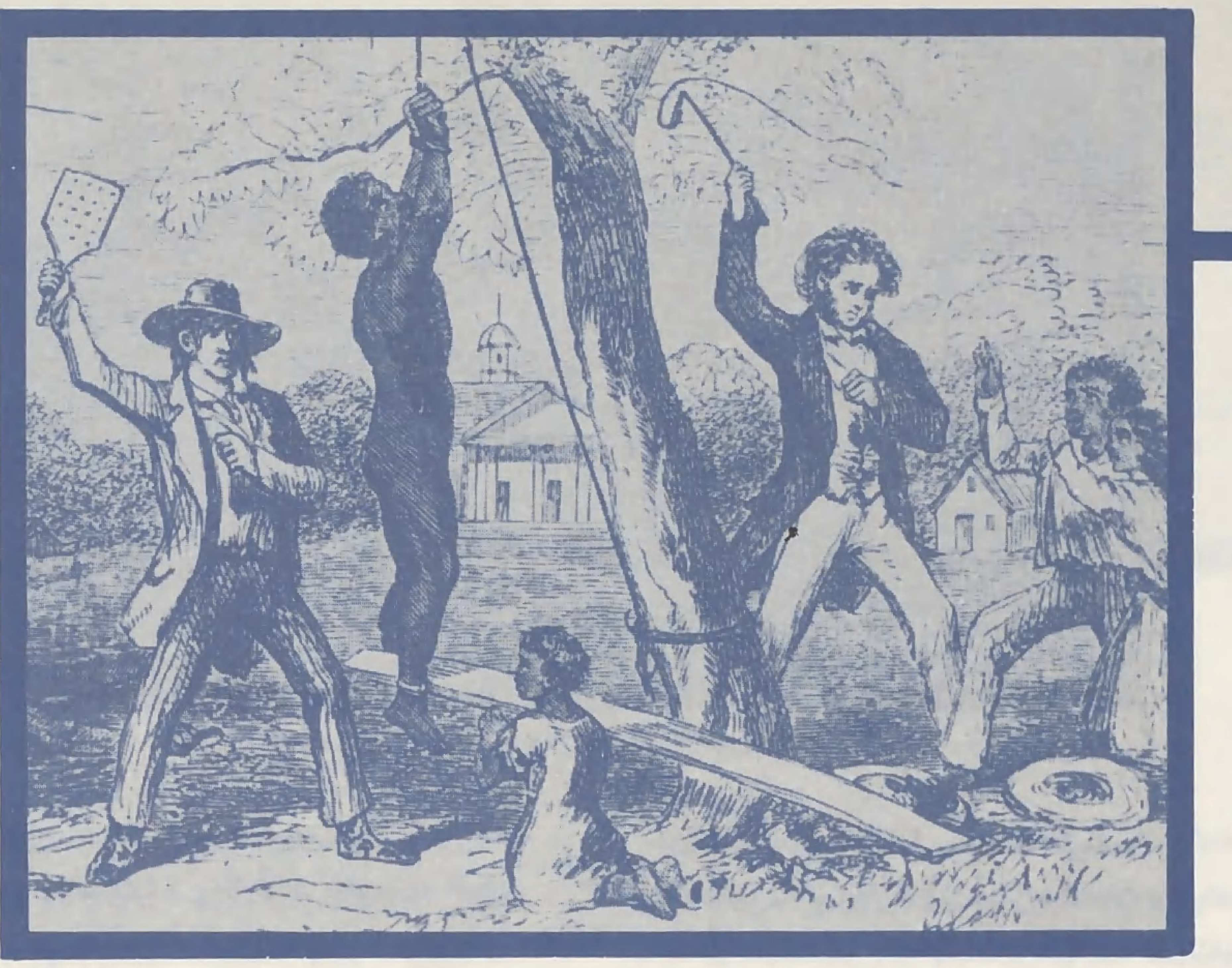

■ أحد الثوار يعذب أمام أفراد عائلته ■

وتشعر الدوائر النصرانية الكنسية اليوم بالقلق نتيجة التحول السريع والكبير إلى الإسلام من قبل الأمريكيين السود ، هذا التحول الذي تُعزى أهم أسبابه إلى اكتشاف هؤلاء السود جذورهم الإسلامية ، فبدؤوا محاولات جادة وفعلية للعودة إلى هذه الأصول والتمسك بها ، بعد أن أشعرتهم هذه الجذور بالعزة والكرامة والانتماء الصحيح والأصيل الذي كانوا قد فقدوه وافتقدوه لسنين طويلة .

وهناك فترة من تاريخ هؤلاء الأفارقة المسلمين في البرازيل لم تنل حقها من الدراسة والاهتمام رغم أهميتها الخاصة ودلالاتها الواسعة العميقة التي ترتبط بواقع الدين الإسلامي الحنيف ، ومشاعر الصبر والقوة والكرامة والانتماء التي يمنحها هذا الدين العظيم لأبنائه ، صبراً بوجه الشدائد والآلام والقهر ، وقوةً بوجه الظالم والمعتدي والغاصب ، وكرامةَ نفس تجاه كل محاولات الإذلال والإكراه ، وانتماءً عميقاً ومتيناً إلى الأخوة والرابطة الإسلامية التي ينهار أمامها كل شعور فردي أو قومي أو عرقي ؛ وبسبب هذا الانتماء استطاعت أقلية مسلمة مؤمنة بربها ، وعلى بعد آلاف الأميال عن أوطانها أن تقارع الظلم والعدوان بكل شجاعة وإقدام وتنظيم ، واستحقت بذلك تقدير وإعجاب الأعداء ، لقد نجحت تلك الأقلية رغم التضحيات الكبيرة التي قدمتها بتغيير مسار التاريخ ، وساهمت في وضع نهاية للعبودية وتجارة العبيد في البرازيل .

نُقل الكثير من المسلمين السود من أبناء أفريقيا الغربية إلى البرازيل في القرن السادس عشر بواسطة المستعمرين البرتغاليين ليكونوا عبيداً يعملون في مزارع ومصانع السكر ، وفي أعمال شاقة ومتدنية أخرى ؛ ورغم أنهم وزعوا في أرجاء البرازيل إلّا أن غالبيتهم العظمى كانت موجودة في مدينة « باهيا » الشهيرة والمناطق المحيطة بها ، كما كانوا الجالية الكبرى الثانية في مدينة « ريو » جنوبي « باهيا » .

ويعود أصل الأفارقة المسلمين الذين نقلوا إلى البرازيل إلى القبائل الإسلامية في غربي افريقيا واهمها « اليوربا » و « الهَوْسا » . وكان هؤلاء ـ خاصة الذين وصلوا منهم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ـ يتمتعون بتفوق فكري وحضاري ملحوظ ليس على السكان المحليين فقط بل على البرتغاليين والاوروبيين في تلك المستعمرة البرتغالية[1] ؛ فقد كانت لبلاد هؤلاء الأفارقة الذين جاؤوا من ممالك « **ورنو** » و « **سوكوتو** » و « **كانو** » أشكال متطورة ومتقدمة من التنظيمات السياسية ، كما كان لهم أدب ديني واضح المعالم ، وفن أصيل يفوق إلى حد كبير ذلك الفن البرتغالي الذي كان يحاول فقط ان يقلد الفن العربي الأصيل في الأندلس . فمنذ القرن الخامس عشر الميلادي تطورت حضارات متقدمة في غربي أفريقيا نتيجة علاقاتها الوطيدة واتصالاتها المستمرة مع شرقي أفريقيا حيث استفادت كثيراً من حضارات وادي النيل وشرقي البحر الأبيض المتوسط ، ومن ثمَّ عن طريق الحضارة الإسلامية التي جاءت من شمالي أفريقيا . **وبذا اضحى العديد من مدن غربي افريقيا مراكز ثقافية وفكرية مهمة في القرن السادس عشر ، حيث يشير المؤرخون إلى ان جامعة (تمبكتو) كانت تعطي حلقات دراسية في الجراحة والآداب والشريعة الإسلامية ؛ ويذكر ان الارباح التي كانت تاتي من تجارة بيع الكتب في (تمبكتو) كانت تفوق اضعافاً ارباح اية تجارة اخرى**[2] .

وهكذا كان المسلمون الذين جُلبوا من غربي أفريقيا على درجة من الثقافة ، متقنين للقراءة والكتابة ، وكان « أسيادهم » أميين أو شبه أميين في أحسن الأحوال ، وكانوا عاجزين حتى عن كتابة أسمائهم ، ناهيك عن حساب أمورهم المالية[3] . وقد كتب المؤرخ البرازيلي « **نينا رودريكز** » عن ذلك قائلاً :

[لم يكن الذين وصلوا إلى البرازيل من السود غير متحضرين ، بل كانوا ابناء قبائل مقاتلة ومتحضرة إلى درجة كبيرة ، وكانوا يتقنون القراءة والكتابة ، ويملكهم اسياد اقل منهم تحضراً ، إضافة إلى ذلك كانت لديهم تلك الروح الإسلامية التي اثبت التاريخ ان لها المقدرة على تحريك امور عظيمة ؛ لهذا لم يكن من السهل قيادهم او تطويعهم وجعلهم مجرد ادوات بسيطة للحراثة][4] .

ومنذ البداية أبدى هؤلاء مقاومة عنيفة للعبودية ، وقاموا بحركات وانتفاضات عديدة ضد تجار الرقيق وضد معتقليهم سواء على ظهر السفن التي نقلتهم إلى الغرب ، أو بعد وصولهم إلى الأراضي البرازيلية ، ولم تتوقف هذه الثورات حتى أُلغيت العبودية في البرازيل في نهاية القرن التاسع عشر . وربما كانت أول انتفاضة لها تاريخ معروف في البرازيل تلك التي قامت على أيدي أفراد قبيلة « **الهوسا** » المسلمة في حزيران (يونيه) ١٦٠٧م ؛ حيث كتب حاكم منطقة « **باهيا** » آنذاك « **كوندي دي بونتا** » إلى الملك في « **لشبونة** » يخبره بهذه الانتفاضة مشيراً إلى أن الذين قاموا بها ينتمون إلى أشد قبيلة مقاتلة في غربي أفريقيا[5] . كما قامت انتفاضات وثورات عديدة ومحاولات للهرب بعد تلك المحاولة وطوال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ولكن الانتفاضات التي وقعت بالتتابع في الفترة القصيرة نسبياً ما بين ١٨٠٧ ـ ١٨٣٥م اتخذت طابعاً مختلفاً جداً من حيث تنظيمها والعناصر المشاركة فيها .

فمع بداية القرن التاسع عشر بدأ المسلمون من ابناء قبيلة « الهوسا » بتنظيم صفوفهم وبالتخطيط الدقيق لانتفاضة مقبلة ، واججت روح الحماس والعزم فيهم الأنباء التي كانت تتوارد باستمرار مع المستعبدين المسلمين الجدد من غربي أفريقيا عن حركة الجهاد التي أشعلتها القبائل المسلمة في المنطقة كلها والتي بلغت أوجها بين ١٨٠٤ ـ ١٨٤٠م وكان « **الهوسا** » قد عملوا ـ وعلى مر السنين ـ سواء في « **باهيا** » نفسها ، أو في مناطق أخرى من البرازيل على الدعوة إلى الإسلام وتحويل العديد من الأفارقة المُسْتَعْبَدين إلى دينهم ، وتعليمهم القراءة والكتابة ، ومن ثم كان السعي إلى العمل والتنظيم السري لإعداد خطة لتخليص انفسهم من نير العبودية والعودة إلى أفريقيا ، وكانت هذه هي البداية التي أدّت إلى سلسلة من الثورات والانتفاضات أخذت بالتدريج طابعاً أبعد من مجرد محاولات الهرب والعودة إلى القارة الأم . ويذكر العديد من المؤرخين أنَّ أحد أهم العوامل التي ساعدت على هذه الانتفاضات هو التفوق والتميز الفكري والثقافي الذي كان يتمتع به أفراد قبيلتي « **اليوربا** » و « **الهوسا** » الذي أشرنا إليه . ولهذا السبب ـ يقول فراير ـ لم يكن من المتوقع أن « **يطيع او ان يخضع** » **هؤلاء** « **لاسيادهم** » الذين هم دونهم ثقافة ومقدرة ، ولهذا السبب أيضاً لم يتمكن التنصير الإجباري ومحاولة تغيير أسمائهم إلى أسماء غربية نصرانية « **ان يطفىء الحميّة المحمدية التي كانت تضطرم فيهم** »[6] وأكد مؤرخ آخر أن هذه الحماسة كانت متقدة حتى في نفوس القلة منهم « الذين تم تعميدهم »[7] والذين قبلوا التنصّر تحت ظروف إجبارية قاهرة ؛ وحيث إن هؤلاء كانوا يتكلمون لغات متشابهة ، ويجمعهم دين وممارسات مشتركة فإنهم استطاعوا أن يكونوا وحدة متراصة فعالة جداً .

عندما أعلن المسلمون

الجهاد في البرازيل

■ إحدى المعارك بين الثوار الأفارقة وقوات السلطة ■

إن أهمية سلسلة الثورات التي وقعت في « باهيا » وضواحيها التي وصفها العديد من المؤرخين بالحروب الدينية وبالجهاد : بسبب طبيعتها وتنظيماتها الدينية الغالبة[٨] ـ تنبع من الموقع الاستراتيجي والخطير الذي كانت « باهيا » تتمتع به في تلك الفترة : فقد استمرت « باهيا » خلال القرنين الأولين للاستعمار البرتغالي المركز الذي يدير منه المستعمرون شؤون البلاد كلها ، وبعد انتقال الحكومة إلى « ريو » عام ١٧٦٣م بقيت « باهيا » تؤدي دوراً رئيساً وأساسياً في سياسة المستعمرة ، ثم في سياسة الامبراطورية بعد الاستقلال عام ١٨٢٢م .

بدأ مسلسل الانتفاضات والثورات الإسلامية التي قام بها أبناء « الهوسا » و « اليوربا » في البرازيل في القرن التاسع عشر يوم ٢٨ يونيو (حزيران) ١٨٠٧م ، وكان « الهوسا » يهيئون منذ فترة الأسلحة ، حيث جمعوا الأقواس والسهام ، وعدداً من السيوف الثقيلة القصيرة ، إضافة إلى المسدسات والبنادق ، وتم الاتفاق في اجتماع سري على أن يلتقي الذين يعملون داخل المدينة مع أولئك الذين يعملون خارجها في حقول السكر عند الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم ، وكانت الخطة تهدف إلى إضرام الحريق في دائرة الجمارك في المرفأ ، ومن ثمَّ السيطرة على القوارب الموجودة في الميناء واستخدامها للعودة إلى أفريقيا . وعين لكل منطقة ضابط اتصال مهمته مراقبة الأمور في منطقته وإيصال الأخبار والتعليمات ومساعدة كل ذي حاجة .

كان هذا هو هدف المحاولة الأولى ، ولكن الأحداث التي تعاقبت غيرت من المفاهيم وطوّرت الخطط والأهداف التي بلغت ذروتها عام ١٨٣٥م . وقد قُدِّر أن تكتشف السلطات المحاولة الأولى قبل تنفيذها بستة أيَّام ، واتخذ الحاكم إجراءات أمنية عاجلة ، وبدأت مراقبة الأفارقة المسلمين وتحركات قادتهم ؛ وفي اليوم المحدد قامت الشرطة بتطويق البيوت التي اجتمع فيها الثوار المسلمون وأغلقت أبواب المدينة واعتقلت الموجودين في الداخل كلهم ، وحكم على قائد الحركة واسمه « انطونيو » ومساعده « بلشزار » بالموت شنقاً بعد أن وجد لديهما (٤٠٠) سهم وقوس وبعض المسدسات والبنادق وطبل واحد ، **كما صدرت أحكام أخرى بالسجن على أعداد منهم ؛ وأصدر الحاكم أمراً منع فيه الأفارقة المسلمين من التجول خارج مراكز عملهم أو بيوتهم بعد الساعة التاسعة مساء دون موافقة « أسيادهم » الخطية ، وإلَّا كانت عقوبتهم الجلد مائة جلدة في الساحة العامة للمدينة ،** لكن الإرهاب والقمع لم يفلحا في القضاء على هذا التنظيم ، بل إنه أدَّى إلى تلاحم أمتن وأقوى بين أفراد قبيلتي « الهوسا » و « اليوربا » رغم عداوتهم التقليدية السابقة في أفريقيا ؛ وفي هذه المرة لم تتمكن السلطات من اكتشاف التنظيم ، ولم يكن هدف الثورة مجرد الهرب فقط ـ كما اتُّفِقَ في المرة السابقة ـ بل مقارعة الظلم والقهر والتصدي له : **وفي ٢٦ ديسمبر (كانون الأول) ١٨٠٨م هرب عدد من المسلمين المستَرَقِّين الذين يعملون في مزارع السكر المحيطة بـ « باهيا » ، ثم انضمت إليهم أعداد أخرى من المناطق المجاورة ، وفي يوم ٤ يناير (كانون الثاني) ١٨٠٩م اعتصم الجميع في منطقة تبعد حوالي (٣٠) ميلًا خارج مدينة « باهيا » ، وعندما هاجمتهم قوات الشرطة أبدوا مقاومة بطولية ورفضوا تسليم أنفسهم ، فأصدر الحاكم أمراً بدك مواقعهم وإطلاق القذائف عليهم بوحشية وبصورة عشوائية ، فقتل عدد كبير منهم وأسر ثمانية وتسعون حكم على غالبيتهم بالإعدام ، ثم ربط البقية بالسلاسل وسخروا لنقل الأوساخ والقاذورات لردم بعض المناطق المنخفضة في المدينة ؛ وعندما قامت انتفاضة أخرى في (كانون الثاني) يناير ١٨٠٩م وثالثة في (شباط) فبراير ١٨١٠م صدر أمر من الأمير « ريجنْت جويو » بأن يجلد أولئك الذين اشتركوا في الانتفاضتين أمام الناس ثم يباعوا ويُبعدوا عن المنطقة .**

وصبر هؤلاء على العبودية والقهر أربع سنوات ثم انتفضوا مرة أخرى في ٢٨ فبراير (شباط) ١٨١٤م ، ويعتبر المؤرخون هذه المحاولة من أخطر الانتفاضات التي تمت حتى ذلك الوقت ؛ ففي الساعة الرابعة صباحاً قام المسلمون الذين يعملون في مزارع السكر حول « باهيا » وكان عددهم حوالي (٦٠٠) فرد ، أعادوا تنظيم صفوفهم بدقة ، بالهجوم على المستعمرات المحيطة بـ « باهيا » ، **وأشعلوا النيران فيها ، ثم انضم إليهم أعداد من الأفارقة من منطقة « إيتابون »** القريبة ؛ وقامت السلطات بحشد جموع ضخمة من المشاة والخيالة ، فطوَّقت الثوار واشتبكت معهم في قتال استمر حتى الساعة السادسة مساء قتلت فيه أعداد كبيرة من الطرفين . وبعد أن أخمدت الثورة تم شنق أربعة من زعمائها في الساحة العامة وَجَلْدُ ثلاثة وعشرين آخرين ، كما حكم على عدد منهم بالسجن حيث توفي بعضهم ، وأرسل عدد آخر للعمل في الأشغال الشاقة في « **أنغولا** » و « **موزمبيق** » .

ورغم القمع الشديد والعقوبات القاسية والمراقبة المستمرة استطاع هؤلاء المجاهدون المسلمون الأفارقة في « **باهيا** » تنظيم أنفسهم مجدداً والقيام بعدة انتفاضات أخرى شارك فيها ـ إضافة إلى « **الهوسا** » ـ أعداد كبيرة من « **اليوربا** » ووقعت انتفاضات في شهري كانون الثاني (يناير) وشباط (فبراير) ١٨١٦م وكذلك في عامي ١٨٢٢م و ١٨٢٦م .

وفي انتفاضة ١٨٢٦م هرب عديد من الأفارقة المسلمين إلى الأحراش المجاورة لـ « **باهيا** » حيث أقاموا ما كان يطلق عليه (**كويلومبو**) أي قرية صغيرة ، وأعدوا خطة دفاعية محكمة للغاية ، وعندما هاجمتهم القوات ردّوها على أعقابها بعد أن كبدوها خسائر كبيرة وتحولوا من موقف الدفاع إلى الهجوم ، واحتلوا بعض المواقع مثل منطقة « **استرادا دو كابولا** » إلى أن تم تجميع أعداد كبيرة من القوات من المناطق المجاورة قامت بتذبيحهم[٩] .

ومن الجدير بالذكر أن امرأة مسلمة من « **اليوربا** » كانت تدعى « **زفرينا** » هي التي قادت المحاولة وأبدت مقاومة شديدة حيث يؤكد المؤرخ البرازيلي « **آرثر راموز** » أنها لم تستسلم حتى قطعت كلتا يديها[١٠] .

وقامت انتفاضة أخرى عام ١٨٢٧م في معامل السكر في « فكتوريا » ، رافقتها انتفاضات فرعية في مناطق قريبة من مدينة « باهيا » ، وقد تطلب قمعها أياماً عديدة ؛ وفي الحادي عشر من آذار (مارس) عام ١٨٢٨م قام عدد كبير من « اليوربا » بالهرب ، واختفوا في الأحراش حيث قاموا صبيحة اليوم التالي باحتلال معمل للأسماك ، وتراجعت قوات الشرطة أمام مقاومتهم البطولية بعد أن تكبدت خسائر كبيرة ، وعلى إثر ذلك استدعيت قوات الخيالة التي هاجمتهم بضراوة وذبحت غالبيتهم ؛ وكان الأوروبيون وبقية السكان يعيشون حالة رعب شديد وقلق بعد هذه المحاولات المتكررة والمستمرة ، وقاموا بالكتابة إلى الحاكم يطالبون بزيادة الحراس وأفراد الشرطة والدوريات ، ويتعهدون بالمساهمة في تحمل النفقات ؛ ووقعت انتفاضة أخرى عام ١٨٣٠م في قلب مدينة

■ نُقِلَ الكثير من المسلمين السود من أبناء أفريقيا الغربية إلى البرازيل في القرن السادس عشر بواسطة المستعمرين البرتغال ليكونوا عبيداً يعملون في مصانع ومزارع السكر .

« باهيا » **حيث قام عشرون أفريقياً مسلماً بالهجوم على أحد المخازن التجارية** وأخذوا اثني عشر سيفاً وأسلحة أخرى ، وانطلقوا إلى حيث يجري تجميع الرقيق الجدد في الميناء ، وقاموا بإطلاق سراح مائة منهم ، وبعد أن انضم إليهم آخرون من الحقول المجاورة قاموا بمهاجمة موقع الشرطة ، وكانوا على وشك احتلاله ـ بعد أن تكبدت الشرطة أعداداً كبيرة من القتلى ـ عندما وصلت قوات الخيالة والجيش وأعملت فيهم تقتيلاً[١١] .

وربما كانت انتفاضة عام ١٨٣٥م التي يطلق عليها المؤرخون « **ثورة ماليز** » ، أي ثورة المسلمين ، أقوى وأخطر هذه الثورات وأدقها تنظيماً وتخطيطاً وأكثرها طموحاً حيث كانت تهدف للسيطرة التامة على مدينة « **باهيا** » التي كانت في ذلك الوقت ـ كما يشير بيرسون ـ مركز « قائد أتباع محمد الأفارقة في البرازيل »[١٢] ، أي مركز الإمام الذي لم تكن تعرفه السلطات ؛ وأشارت المصادر البرازيلية إلى أن توقيت ساعة الصفر كان ذكياً جداً ، فقد كان من المفروض أن تبدأ الثورة فجر يوم الأحد المصادف ٢٥ كانون الثاني (يناير) ، وهو يوم عيد ديني وطني يجتمع فيه معظم أهل المدينة النصارى في كنيسة « **بونفم** » الواقعة في ضواحي « **باهيا** » ، وبذلك يستطيع الأفارقة المسلمون مغادرة بيوتهم أو بيوت « أسيادهم » دون إثارة الانتباه ، كما كان العديد منهم يخرج عادة في ذلك الوقت لجلب المياه من الآبار العامة وسط المدينة ؛ وزّعت الأدوار بدقة وكانت تتضمن إشعال بعض الحرائق في أبنية الحكومة لتشتيت جهود رجال الشرطة ، ولإخراج القوات من ثكناتها وإجبارها على القتال في مواقع حددها الثوار مسبقاً ؛ وكان الثوار ينوون جعل مدينة « **باهيا** » قاعدة انطلاق لهم بعد السيطرة عليها ، ولكن السلطات علمت مصادفة بالمحاولة في الساعة التاسعة مساءً من ليلة التنفيذ ، أي قبل ساعات قلائل من التحرك ، حين قامت إحدى نساء الرقيق بإبلاغ أحد جيرانها أنها سمعت بأن أعداداً من المسلمين الرقيق قد بدؤوا يتوافدون على « باهيا » بصورة سرية ، وطلبت منه اتخاذ الحيطة والحذر ، ولكن هذا الشخص قام فوراً بإبلاغ الحاكم ومدير الشرطة ، حيث اتخذت على الفور إجراءات أمنية مشددة ، وقامت القوات بمداهمة البيوت واعتقال الأفارقة المسلمين الرقيق والأحرار ، وعندما حاولت الدخول إلى أحد البيوت في « **باهيا** » قرب منتصف الليل اندفع منه ستون ثائراً مسلماً متسلحين بالسيوف والبنادق فدب الرعب في صفوف قوات الشرطة ، خاصة بعد أن أصيب قائدهم الملازم « **لازارو** » بجروح مميتة ، ويذكر المؤرخ البرازيلي « **فيرجر** » أنه عندما جرح أحد هؤلاء الثوار وسقط على الأرض قام الأهالي وبعض رجال الشرطة بضربه بالعصي حتى مات[١٣] . ووجدوا بحوزته كيساً جلدياً صغيراً مربوطاً حول رقبته وفي داخله أوراق مكتوبة بلغة « **غريبة** »[١٤] ، وأثناء ذلك اندفع الثوار المسلمون فهاجموا حراس القصر وحراس الكلية اليسوعية ، وحاولوا إطلاق سراح المساجين من زملائهم إلَّا أن السلطة كانت قد اتخذت احتياطاً للأمر ، كما حاولوا احتلال مركز الشرطة ، وكان مديره قد قرر التراجع إلى منطقة « **بوم** » لأنها أكثر حصانة ويسهل الدفاع عنها ، وكانت تحركات الثوار عشوائية لا تستند إلى الخطة السابقة التي رسمت بدقة ، والتي كانت تعتمد على وصول رفاقهم ، ليس فقط من داخل « **باهيا** » بل من الحقول والمدن والقرى المجاورة للمساهمة في الثورة ؛ وعندما هاجم الثوار موقع الشرطة الجديد الحصين رُدُّوا على أعقابهم ، كما هاجمتهم من الخلف قوات الخيالة التي قتلت معظم الأشخاص الستين الذين كانوا موجودين في ذلك البيت استعداداً لساعة الصفر ؛ وفي الأيام التي أعقبت المحاولة قامت السلطة بتفتيش دقيق للمدينة والمناطق المجاورة بحثاً عن الأسلحة والرجال وقادة الثورة ، حيث تم العثور على كمية كبيرة من الأوراق شبيهة بتلك التي وجدت مع أول قتيل من الثوار ، واكتشفت فيما بعد أنها آيات من القرآن الكريم وبعض الكتابات باللغة العربية التي كان الثوار يستخدمونها في عملية الإعداد والتخطيط للثورة وفي المراسلات بينهم[١٥] . وكتب مدير الشرطة آنذاك دكتور « **فرانسيسكو مارتينيز** » الذي قاد عملية القضاء على الثورة إلى الحاكم ما يلي :

لقد اتخذت الإجراءات المناسبة لتفتيش البيوت كافة التي يوجد بها عبيد دون استثناء ، وسوف أقدم تقريراً مفصلاً إلى سيادتكم قريباً ؛ إني أؤكد لسيادتكم أن التمرد قد قرر منذ فترة طويلة جداً وبسرية بالغة ، واستناداً إلى مخطط شديد الدقة لا يمكن توقعه ... لقد اكتشفنا أنهم جميعاً يحسنون القراءة والكتابة ، ويستخدمون لغة تشبه اللغة التي يستخدمها أبناء قبيلة « الهوسا » الذين هم على علاقة قوية جداً مع « اليوربا » ، ويوجد بينهم أناس على درجة كبيرة من الثقافة يقومون بالتدريس لزملائهم وتنظيم التمرد ؛ كما يوجد بين المتآمرين (عبيد أحرار) لهم بعض المهن . لقد وجدنا بحوزتهم العديد من الكتب التي يدّعون أنها أجزاء من القرآن ، ومن المؤكد أن الدين قد لعب دوراً أساسياً في هذه المحاولة[١٦] .

وقد عثرت الشرطة أيضاً على أوراق باللغة العربية كانت تتضمن دعوة إلى المسلمين الأفارقة وقعها شخص أطلق على نفسه « **الملا أبو بكر** » يدعوهم فيها إلى الوحدة والثورة ، ويؤكد لهم أن النصر حليفهم إذا تضامنوا ؛ وعثرت أيضاً على رسائل متبادلة بين بعض أطراف الثورة ، ومنها : رسالة مرسلة من شخص وقع اسمه « **علي** » إلى شخص يدعى « **أدا** » يحدد له موعداً للقاء والتحرك معاً للانضمام إلى الثورة ؛ وقامت الشرطة على إثر ذلك ببذل جهود مكثفة لمعرفة وتحديد واعتقال « **معلمي مدارس القرآن** » لأنها شعرت أنهم مصدر التنظيم والخطر الحقيقي[١٧] .

وكان بين هؤلاء المعلمين أفارقة مسلمون طلقاء وأرقاء أكدت المصادر أنهم كانوا على درجة عالية من الذكاء ، ويتحلون بقيم أخلاقية أسمى بكثير من « **أسيادهم** »[١٨] :

وكما قاتل أجدادهم وآباؤهم المسلمون الوثنيين في أفريقيا دفاعاً عن دينهم وعقيدتهم السمحاء ورفضوا الخضوع والخنوع ، قاتلوا في البرازيل وتصدَّوْا بكل بطولة وعزيمة للنصارى الغربيين الذين أفقدوهم حريتهم وحاولوا إذلالهم والقضاء على عقيدتهم ، معتبرين أن نصارى البرازيل لا يختلفون بشيء عن وثنيي أفريقيا[١٩] .

وهكذا اعتقلت السلطة معظم هؤلاء المعلمين المسلمين ، إضافة إلى كل من كان يبدو أنه يتمتع باحترام الأفارقة المسلمين ؛ وقد اعتقل رجل مسن يدعى « **ليكوتان** » وهو من الذين يطلق عليهم « **الوفا** » أي عالم دين : وحكم عليه بألف جلدة ، لأنه شوهد في اليوم التالي للثورة مغموماً والدموع تنسكب من عينيه ، كما عرف أن الأفارقة قاطبة كانوا يلجؤون إليه للنصح والإرشاد ولاستشارته في طرق الحصول على حريتهم[٢٠] ، كما حكم على الأفريقي المسلم « **لويز** » الذي لم يثبت اشتراكه في الثورة بخمسمائة جلدة لأنه كان يتمتع باحترام شديد ، ولوجود بعض الأوراق التي كتبت عليها آيات من القرآن الكريم في حوزته[٢١] . وحكم على آخر يدعى « **فرانسيسكو** »

عندما أعلن المسلمون الجهاد في البرازيل

■ الأقفاص الخشبية التي كان يحجز فيها الأفارقة قبل شحنهم إلى الأمريكتين ■

بخمسمائة جلدة لأن «سيده» لاحظ تغيبه ليلة الثورة[٢٢]. كما ألقي القبض على مسلمين آخرين لمجرد حيازتهم طبولاً أفريقية، أو جلابيب بيضاء وطاقيات راس، منع جلبها من أفريقيا!

إن هذه الثورة، وتنظيمها الدقيق المحكم، وكذلك ابعادها الدينية واهدافها القت الرعب الشديد في نفوس السكان المحليين والأوروبيين على السواء عبر عنه القنصل البريطاني في «باهيا» عندما كتب إلى دوق «ويلينكتون» يقول:

إن السكان البيض في حالة رعب وترقب شديدين، وهم يعتقدون ان العبيد الذين يعملون في حقول السكر سوف يثورون على اسيادهم[٢٣].

وكذلك عبر عنه الأمر الذي أصدره **مدير شرطة «باهيا»** إلى مديري المناطق الفرعية الأخرى، والذي جاء فيه ما يلي:

عليكم ان تقوموا فوراً بإرسال المفتشين إلى بيوت ومخازن الأفريقيين كلها، وان تجروا تفتيشاً دقيقاً جداً بحثاً عن الرجال والسلاح والوثائق.

يجب ان تاخذوا بعين الاعتبار ان هؤلاء الأشخاص لا يتمتعون بحقوق المواطنين او الأجانب، وعلى ان اي احتمال لأية حركة مشابهة يجب ان يقضى عليه الآن بشكل حاسم. وكذلك عليكم ان تستدعوا المواطنين، وحسب تقديركم، وتجبروهم على التعاون معكم - إذا لم تحركهم وطنيتهم او رغبتهم في المحافظة على حياتهم - فإنه من الضروري ابتداء من اليوم تشكيل دوريات من المواطنين وزيادة يقظة وحذر قوات الشرطة[٢٤].

وعلى إثر هذه الثورة ايضاً قرر الحاكم أن يبذل جهده لوقف جلب الرقيق إلى «باهيا» **بعد ان شعر بخطورة الأمر بسبب خصائص هؤلاء الأبطال وإصرارهم المستمر على رفض الذل والخضوع والتنازل عن دينهم.**

واكتشفت الشرطة ايضاً ان هؤلاء المسلمين الأفارقة كانوا مقسمين ضمن تنظيمات صغيرة او ما تسميه المصادر البرازيلية «نوادي»، حيث كانوا يجتمعون للدراسة وقراءة القرآن الكريم، ومناقشة امورهم واوضاعهم، ومساعدة بعضهم بعضاً، وانه كان يبعد عن هذه التنظيمات كل الذين يشك بولائهم وبتمسكهم بتعاليم الإسلام. كما اكتشف المحققون وجود تنظيم مالي دقيق كان هؤلاء الأفارقة يقومون بموجبه بدفع كمية من المال بين فترة واخرى، حيث يجري استثمار هذه الأموال واستخدامها لمساعدة من يحتاج منهم، وكذلك في تقديم جزء من المبلغ الذي قد يحتاجه أحدهم لشراء حريته. وكان ما أزعج السلطات كثيراً ان الأفارقة الذين ينالون حريتهم ويحصلون على اعمال تدر عليهم الأرباح كانوا يبقون على ارتباطهم السابق بالمجموعة ويمدونها بكل اسباب العون ووسائل الدعم.

وقامت السلطة بعد أيام من الثورة بإعدام اربعة من معلمي مدارس القرآن الكريم السرية وهم: **«بلشيور دي سلفا كونها»، و«كاسبر دي سلفا كونها»، و«جورج واكروز باريوسا»** - وكلهم كانوا قد حصلوا على حريتهم - إضافة إلى **«لويز سانيم»**.

وتوالت بعد ذلك ولفترة طويلة أحكام الإعدام التي بلغت ثمانية عشر حكماً؛ وفي يوم ١٤ حزيران (يونيه)، وعندما لم تجد السلطة جلاداً ينفذ حكم الشنق بحق خمسة من الثوار قامت برميهم بالرصاص؛ ويعلق المؤرخ البرازيلي **«رودريكز»** على هذه الحادثة قائلاً:

إن القدر شاء ان يعدم هؤلاء الأبطال بطريقة تليق بهم، فلما لم تستطع السلطة إيجاد جلاد يقوم بإعدامهم تم رميهم بالرصاص مثل الجنود[٢٥].

وفي النتيجة صدرت أحكام متفاوتة بحق (٢٨٦) رجلاً و(٢٤) امراة، وكانت الأحكام تتراوح بين الإعدام وإرسالهم للعمل في السفن الشراعية والأشغال الشاقة الأخرى والسجن والجلد. وتراوحت أحكام الجلد بين (٥٠٠ - ١٢٠٠) جلدة كانت تنفذ بمعدل (٥٠) جلدة في اليوم، ورغم تحذير الأطباء بأن العديد منهم - خاصة المسنين - لا يحتملون الجلد فقد نفذت السلطة الأحكام بحقهم مما أدى إلى موت العديد منهم تحت السياط[٢٦].

كان بين قادة هذه الثورة امراة تدعى **«لويزا ماهن»**، يعتقد بعض المؤرخين انها كانت أميرة في بلادها قبل أن تختطف بالعنف من أهلها وتشحن إلى البرازيل[٢٧]. وكان بيتها مركزاً للقاء قادة الثورة، ولكن لم يعرف شيءٌ عن مصيرها بعد الثورة، ويؤكد **«راموز»** أنها بقيت رمزاً لجراة المراة الأفريقية المسلمة وبطولتها[٢٨]. وكان بين قادة الثورة عالم دين اسمه **«ايليزبا دي كارمو»** كانت له شعبية كبيرة بين الأفارقة، وكان يدعو دائماً إلى الإسلام وإلى التغيير الثوري[٢٩]. ويؤكد **«نينا رودريكز»** أن السلطات لم تتمكن - رغم كل الوسائل التي لجأت إليها - من معرفة وتحديد زعيم الثورة الذي وقع على البيان الموجه إلى المسلمين يدعوهم فيها إلى الثورة باسم **«الملا ابو بكر»** والذي كانت الشرطة تطلق عليه **«ليمانوا»** اي الإمام. ولكن «رودريكز» اكتشف بعد ذلك عندما كان يجري تحقيقاته حول الموضوع بين (١٨٩٠ - ١٩٠٥م) أن الإمام **«ابا بكر»** كان اسمه البرازيلي «تومي» وأن حماس الثوار وتماسكهم حال دون اكتشافه وابقاه بعيداً عن متناول الشرطة[٣٠]. ويؤكد «راموز» أيضاً على هذا التلاحم مشيراً إلى الشجاعة والصبر اللذين تمسك بهما هؤلاء الأبطال أثناء التحقيق معهم، فقد كانوا شديدي الولاء أحدهم للآخر، ولم يُدلِ أيٌّ منهم باعتراف يدين فيه زملاءه أو محرضيه على الثورة، ويذكر بصورة خاصة «هنريكو» من قبيلة **«اليوربا»** الذي كان مصاباً إصابات شديدة في ظهره ويده، ولكنه كان يبذل جهده وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة لينطق ببعض الكلمات يؤكد فيها أن لا علاقة له أو معرفة بأي شخص[٣١].

ويعود «**رودريكز**» أثناء تقييمه لثورة (١٨٣٥) والانتفاضات التي سبقتها فيقول:

كانت قوة التنظيم الديني وتعاليم الإسلام وتاثيره واضحة في هذه التمردات جميعاً. فهنا، كما في حالات تاريخية سابقة، ابعد الحماس والإيمان الديني هؤلاء السود عن التفسخ الخلقي الذي هو نتيجة محتمة لتحطم الإرادة الحرة بسبب العبودية. وكان المستوى الخلقي الرفيع الذي تحلى به المتمردون في مواجهة الموت والأخطار هو مفتاح هذه التمردات جميعاً ومنطلقها الذي يجب ان لا يعزى إلى الياس الذي يولده الاستعباد (حيث شارك في تلك الثورات الأرقاء والمحررون) ولا إلى مشاعر التضامن الاجتماعي، حيث إن غير المتدينين وغير المسلمين لم يشتركوا فيها، كما لا يمكن ان يعزى الأمر إلى رابطة الدم لأن بعض العبيد اتخذوا مواقف معادية وقتلوا، بل إن الإسلام وتمسك هؤلاء بدينهم كان المحرك الرئيس لكل هذه الانتفاضات[٣٢].

وهذا الراي الذي يقول به «**رودريكز**» يدعمه بالعديد من الوثائق والأدلة واوراق التحقيق[٣٣]، وهو يدحض بعض الآراء الأخرى التي حاولت أن تقلل من

■ لقد كانت الثورات الإسلامية التي قامت في مناطق مختلفة خاصة في « باهيـا » من أهم العوامل التي أدَّت إلى إلغاء العبودية في البرازيل .

تأثير دور العامل الإسلامي ، وتعزو الأمر إلى أسباب اجتماعية - اقتصادية . ورغم أنها لا تملك إلَّا أن تعترف بالدور الإسلامي فإنها تشير إلى أن هذا الدور كان قيادياً فقط ، وأن أفارقة غير مسلمين شاركوا في هذه الثورات أيضاً[٣٤] . والمؤرخ البرازيلي « **راموز** » يرى الأمر أيضاً من وجهة نظر « **رودريكز** » فيقول :

نجمت هذه الانتفاضات من أسباب مختلفة تماماً عن تلك الانتفاضات التي قامت بها في مقاطعات أخرى ... لقد كان هؤلاء العبيد من الـزنوج المحمديين (المسلمين) الذين يطلق عليهم في البرازيل « ماليز » ، وقادوا جهاداً مقدساً حقيقياً في « باهيا » وهذه الانتفاضات كانت إلى حد كبير استمراراً للجهاد الذي قام به المسلمون الزنوج في افريقيا ؛ وقد رفض هؤلاء المقاتلون الأشداء الذين اقتُلعوا من مناطقهم أن يصبحوا عبيداً طيِّعين في العالم الجديد ، ولم تكن ردة فعلهم شعوراً بالألم لحظهم العاثر ، بل كان كفاحهم نتيجة مباشرة لتراثهم الحضاري الذي يرتبط بالحروب الدينية والتي نشرت الإسلام في أفريقية ... لقد كان هنالك شعور عام بالثورة في اي مكـان يوجـد فيه « الهوسا » في « باهيا » .. لقد كان العامل الرئيس دينياً .. وكانت روح الجهاد هي التي حركت الثوار الزنوج ... لقد كانت السلطات التي تولت قمع هذه الانتفاضات غير مدركة تماماً لأبعادها الدينية ، فقد كان هؤلاء يجتمعون في المعابد الإسلامية حيث وصلت الدعوة ذروتها في منتصف القرن التاسع عشر[٣٥] .

أما المنصِّر اليسوعي القس « **إيتيني** » الذي قام بالاطلاع على الوثائق الخاصة بالتحقيق مع الثوار المسلمين ، فهو يؤكد أيضاً أن الثورة كانت جهاداً دينياً مقدساً ، إلَّا أنه - وفي محاولة لتشويهها - يرى أن جذورها تمتد إلى « مشاعر الحقد والكراهية العنصرية **التي يحملها الأفارقة السود ضد البيض وضد النصارى** »[٣٦] .

ورغم كل العقوبـات التي صدرت بحق هؤلاء المسلمين الثوار فقد توصلت السلطة إلى قناعة تامة بأنهم لا يزالون قادرين على تنظيم ثورات أخرى ، ولهذا - وزيادة في الحيطة والحذر - أصدرت أمراً بأن توضع سلسلة حديدية يتدلى منها صليب حديدي حول رقبة كل أفريقي مسلم بعد انتهاء مدة الحكم عليه بالجلد أو السجن ، وتربط السلاسل برجليه ويؤمر « **سيده** » بعدم نزعها إلَّا إذا تم بيعه خارج منطقة « **باهيا** »[٣٧] .

لقد كانت هذه الانتفاضات والثورات الدينية التي قامت في مناطق مختلفة ، خاصة في « **باهيا** » **هي أحد** أهم العوامل التي أدَّت إلى إلغاء العبودية في البرازيل . لقد أبدى الأفارقة المسلمون - ومنذ البداية - مقاومة شديدة للعبودية عبروا عنها بطرق مختلفة ، منها : الهرب الفردي أو الجماعي ، ومحاولة إقامة القرى المحصنة في الأدغال والدفاع عنها ، ولكن الثورات المنظمة ، وأهمها وأخطرها : **ثورة المسلمين عام (١٨٣٥م) : هي التي هزت السلطات الاستعمارية العنصرية حيث دوى صداها في أرجاء البرازيل ، وبذلك حفزت وشجعت العمل على إلغاء العبودية هناك والذي كان يسير ببطءٍ شديد .**

المـــــراجع

(١٥) تشير بعض المصادر إلى أن السلطات العنصرية البرتغالية استعانت ببعض التجار المارونيين اللبنانيين لقراءة هذه الوثائق . انظر :

15. R. K. Kent, 'African Revolt. in Bahia: 24-25 January 1835', **Journal of Social History,** III, 1970, 134-356, (p. 352).

(٢٨) من الجدير بالذكر أن لويزا ماهن هي والدة الشاعر البرازيلي الشهير لويز كاما الذي ولد عام ١٨٣٠م ، وكان أحد أبرز القادة الأفارقة في البرازيل وله أكثر من عمل من أجل إلغاء العبودية هناك . انظر Ramos, p. 50

(٣٣) يشير كل من

33. (Psecatello, p. 101), (Pierson, p. 45)

34. Ann M. Pescatello, '**Préto** Power, Brazilian Style: Modes of Re-Actions to Slavery in the Nineteenth Century', in **Old Roots in New Lands,** op. cit., 76-106, (pp. 81-82); and Kent, pp. 355-356.

(٣٤) إلى أن الوثائق المودعة في أرشيف الوثائق في مدينة « باهيا » تتضمن التحقيقات التي أجرتها الشرطة ، إضافة إلى الأوراق والكتب كافة المكتوبة باللغة العربية والتي وجدت بحوزة الثوار .

في محاولة واضحة للتقليل من دور الشعور الديني في هذه الثورات يشير بيسكاتيلو (ص٨٦) إلى أن اشتراك النساء في هذه الثورات لا يتماشى و « المكانة الدنيا التي تحتلها المرأة المسلمة في المجتمع الإسلامي » !!

1. Gilberto Freyre, **The Masters and the Slaves: A study in the Development of Brazilian Civilization,** translated from the Portuguese by Samuel Putnam (London, 1963), pp. 298-299; and Donald Pierson, **Negroes in Brazil: A Study of Race Contact at Bahia** (Chicago, 1944, p. 39.
2. R. Ethel Dennis, **The Black People of America: Illustrated History,** edited by Victor B. Liberman (New York, 1970) p, 29.
3. Freyre, p. 298.
4. Quoted in Pierre Verger, **Trade Relations Between the Bight of Benin and Bahia from the 17th to 19th Century,** translated by Evelyn Crawford (Ibdan, Nigeria, 1976), p. 287. All references to and quotations from Nina Rodrigues are from this book.
5. Arthur Ramos, **The Negro in Brazil,** translated from the Portuguese by Richard Pattee (Washington, 1951), p. 40.
6. Freyre, p. 315.
7. Mary C. Karasch, The African Heritage of Rio De Janeiro' in Ann M. Pescatello, editor, **Old Roots in New Lands: Historical and Anthropological Perespectives on Black Experiences in the Americas** (Westport, 1977), 36-76, (p. 65).
8. Verger, P. 286, 308; and Ramos, p. 44.
9. Rodrigues, p. 293.
10. Ramos, p. 47.
11. Verger, p. 294.
12. Pierson, pp. 43-44.
13. Verer, p. 296.
14. **Ibid.**
16. Verger, p. 299.
17. Verger, p. 300.
18. **Ibid.**
19. **Ibid.**
20. Verger, p. 301.
21. Verger, p. 300
22. Verger, p. 301.
23. Verger, p. 302.
24. Verger, p. 297.
25. Verger, p. 305.
26. Verger, p. 306.
27. Ramos, p. 50.
28.
29. Ramos, p. 29.
30. Verger, p. 307.
31. Ramos, p. 51.
32. Quoted in Verger, p. 308.
35. Ramos, pp. 44-45.
36. Abbe Etienne, 'La Secte Musulmane des Malês du Brésil at leur révolte en 1835', **Anthrops: Revue Internationale d'Ethnologie et de Linguistique,** IV, 1909, pp. 99-105, 405-416, (p. 406).
37. Verger, p. 307.

خرافة الأسرة أم خرافة الفكرة ؟!

■■ اللعب على التقاليد البشرية المنبثقة عن الفطرة، والموغلة في شرايين الناس، والمتعشقة مع معطياتهم الحضارية، قديم ..

مئات من الكهنة والدجالين والمرتزقة والفلاسفة والمفكرين مارسوا هذه اللعبة، تارة باسم الدين، وتارة باسم حقوق الإنسان، وتارة ثالثة باسم الحقيقة الفلسفية أو الضرورة الفكرية .. وتارة رابعة باسم التطور أو التقدم أو حتميات التأريخ، أو ما شئنا من تسميات.

وكانت دوافع اللعب المضاد لحاجات الإنسان الأساسية مختلفة، لكنها لم تكن تخرج عن حدود الرغبة في الكسب على حساب الحقائق والأصول والتقاليد .. كسب المال حيناً، وكسب الأنصار حيناً آخر، والتألّه في الأرض باسم الإدّعاء العلمي والمعرفة المطلقة حيناً ثالثاً.

يستوي في ذلك كاهن يبتزُّ أموال الناس من خلال الأوثان التي يضعها، أو خطيب مهرّج يبتز عواطف الناس من خلال الدعاوىٰ التي يطرحها، أو فيلسوف مفكر يبتزّ عقول الناس من خلال العقائد والفلسفات التي يكتبها ■■

بقلم :

الدكتور عماد الدين خليل

أمــور تثير الاشمئزاز !

إن « ماركس » و « أنغلز » يطرحان مثلاً، في « المنشور الشيوعي » المعروف، هذه المقولة بمواجهة واحدة من أشد التقاليد البشرية أصالة، وديمومة، وامتداداً، وأكثرها توغلاً في نظمهم ومؤسساتهم الحضارية، وأعمقها ارتباطاً بفكرتهم وتكوينهم، تلك هي الأسرة.

يقول المنشــور :

« **إن الأسرة البورجوازية سوف تختفي بشكل طبيعي باختفاء رأس المال .. أما التهريج البورجوازي عن الأسرة وأهميتها في التربية، وعن أهمية العلاقة بين الولد وأبويه، فهو مما يثير الاشمئزاز. إن تقدم الصناعة الحديثة سوف يقطع كلّ الصلات العائلية بين أفراد الطبقة العاملة** ».

ويومها صدق كثير من المخدوعين ببريق المنشور ودعاواه الثورية الانقلابية الشاملة .. هذه الخرافة .. وعرف « **ماركس** » و « **أنغلز** » كيف يربطان بين حاجة النّاس إلى التغيير في مجتمع يفتك فيه الظلم والانحلال وبين خرافات كهذه تسعى لتدمير قيم ومؤسسات تعلو على الوقائع التأريخية المحدد..ة، والممارسات المحدودة في الزمن والمكان، وتمتد لكي تفرض

وجودها في كلّ تجربة تاريخية ، وتكون في كل زمان ومكان لأنها تنبثق عن فطرة الإنسان الأصيلة وتكوينه الذي يميزه عن سائر الخلائق ، وهما أمران لازمان للإنسان ما دام يحملُ هذه الصفة ، ملتصقان بوجوده التصاق القلب بالشغاف .

المستحيـــــــل

ويكفي أن ننظر إلى التجارب الشيوعية نفسها ، على اختلاف وجهاتها ومساراتها ، معتدلة ومتطرفة ، أصيلة ومحرَّفة ، كما يحلو لهم أن يتهموا بعضهم بعضاً ، يكفي أن ننظر إليها جميعاً لكي نراها بعد محاولات متواصلة مجهدة لتنفيذ المقولة التي طرحها « **المنشور الشيوعي** » ، تفشل فشلاً ذريعاً ، وتعلن بلسان المقال حيناً ، وبلسان الحال في معظم الأحيان أنَّ تنفيذ هذه المسألة دونها المستحيل ، والمستحيل هو تغيير التكوين الآدمي نفسه وإعادة تركيبه وفق صيغ ومعادلات أخرىٰ قد تنتج أيّ شيء إلَّا أن يكون هذا الشيء إنساناً !!

التشكُّك بجدية المقولة

« **اختفاء الأسرة باختفاء رأس المال** » .. وها إن رأس المال قد اختفى في العديد من الدول ، أو كاد ، ولكنّ الأسرة ازدادت قوَّة ورسوخاً ، ومضت بتقاليدها الأصيلة لكي تعلو على كل المتغيرات فلا تتأثر بفعل أو ردّ فعل فيما يمكن أن يزيلها من الوجود .

« **أهميـــة الأسرة في التربية وفي العلاقة بين الولد وأبويه مسألة تثير الاشمئزاز** » .. هكذا يقول المنشور ، ولكن الواقع حتى في الدول الشيوعية التي تبنّت المنشور ، يقول ما يخالف هذا ، ويؤكد بشكل متزايد أهمية الأسرة في التربية باعتبارها حجر الزاوية ، وأهمية العلاقة بين الولد وأبويه باعتبارها ضرورة للتحقق بالحد الأدنى من السويّة النفسية ، وأنه ليس ثمة مؤسسة تغني عن الأسرة في إعداد جيل سويّ متوازن ، غير منحرف ولا جانح ، قدير على مواصلة أعباء الحياة بالصيغ التي تليق بالإنسان وتمكنه من مواصلة نموّه الحضاري .

ومجَّرد نظرة سريعة على ثقل الأسرة كواقعة اجتماعية ، وضرورات العلاقة التربوية بين الولد وأبويه تجعل المرء يشمئز من مقولة الرجلين صاحبي المنشور ، ويتشكك في جدّيتهما وقدرتهما على طرح الحقائق الثابتة التي لا تتعرض للشك والاهتزاز .

المنظـــور الضـيِّق

وغير الأسرة ، كثير من الممارسات الأصيلة المنبثقة عن الإنسان ذاته وليس عن الطبقة التي ينتمي إليها ، أو العِرق الذي ينحدر منه ، أو البيئة التي يدرج فيها .

وقد وقع الرجلان في الخطأ ، وجرّا وراءهما « طوابير » طويلة من العبّاد والمعجبين حين تصوروا أن هذه الممارسة أو تلك ، كالأسرة أو الدين أو غيرهما ، إنما هما انعكاس طبقي يزولان بزوال الطبقة التي شكلتهما ودفعت بهما إلى الوجود .

ولو أنهما تحررا قليلاً من أسر المنظور الطبقي الضيق ، ونظرا إلى الإنسان على مدى إنسانيته التي تتجاوز المحدود ، لما تورطا في مقولة كهذه لا تعدو أن تكون واحدة من الخرافات التي تمرس الكهنة والدجالون في صياغتها على مدىٰ التاريخ .

إنها خرافة الفكرة الخاطئة وليست ـ بحال ـ خرافة الأسرة الموغلة في الزمن رغم تبدل الأوضاع وتغير الأحوال .

شـــاهد من أهلهـــا

يقول المفكر والأديب المجري المعروف « **آرثر كوستلر** » ، متحدثاً عن إحدىٰ خبراته أيَّام كان منتمياً للحزب الشيوعي الألماني في الثلاثينيات : « **كانت فتاة ضئيلة الجسم ، قبيحة الوجه لم يحدث أن التقيت بها من قبل ، إلَّا أن إهمالها المتعمد لهندامها ، وطريقتها العنيفة في ولوج الغرفة ، أنبأتني على الفور أنها إحدىٰ الشيوعيّات . كانت من النوع الذي كثر وجوده في الحزب الشيوعي الألماني في ذلك الحين ، الفتاة البورجوازية التي لم تلق النجاح في مجتمعها فتحولت بمشيئتها إلى الطبقة العاملة** »[1] .

فها هنا نلتقي بامرأة تتحول « **بمشيئتها** » من طبقة إلى أخرىٰ فتتجاوز بسلوكها المنظور الحتميات الطبقية للنظرية التي انتمت إليها ، تخترق هذه الحتميات ، بالإرادة الحرّة ، ويكون الدافع النفسي (**وهو هنا يتمثل بمحاولة التعويض عن القبح**

خرافة الأسرة أم خرافة الفكرة؟!

■ يكفي أن ننظر إلى التجارب الشيوعية نفسها على اختلاف وجهاتها ومساراتها لكي نراها بعد محاولات مجهدة لتنفيذ المقولة التي طرحها المنشور الشيوعي تفشل فشلاً ذريعاً وأن تنفيذها دونه المستحيل . ■

■ الواقع في الدول الشيوعية يؤكد بشكل متزايد أهمية الأسرة في التربية باعتبارها حجر الزاوية وأهمية العلاقة بين الولد وأبيه للتحقق بالحد الأدنى من السويَّة النفسية . ■

الجسدي) أقوى من الدافع الطبقي الذي تقول به النظرية .

ونحن جميعاً نعرف أن هذه ليست حالة فريدة ، أو استثنائية ، ولكنّها تيّار عريض ضم المئات والألوف من المنتمين للشيوعية ، وقد شهده كلّ واحد منا في بلده ، يوم أتيح لهؤلاء أن يتحركوا على هواهم وأن يكسبوا الأتباع والمريدين .

وها هنا نلتقي أيضاً بصيغة من صيغ الالتفاف على الطبيعة الأنثوية للمرأة متمثلة بالإهمال المتعمد للهندام ، وبالطريقة العنيفة في الحركة ، فيما يذكرنا ببطلة رواية الأديب الإنكليزي « **جورج أرويل** » : [١٩٨٤م] حيث تتعرض المرأة لسلسلة من الضغوط والتعليمات المضادة لطبيعتها من أجل مسخ أنوثتها وتحويلها إلى شيء آخر تماماً ... نلتقي بهذه الصيغة كأنموذج آخر للممارسات الشيوعية المبكرة التي سلّمت باستنتاجات « **ماركس** » و « **أنغلز** » عن المرأة ، والعائلة ، واعتقدت - خطأ - أن بمقدور الشيوعية أن تحقق المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة ، وأن تستأصل واحداً من أخطر التقاليد وأطولها عمراً : العائلة ؛ حيث تتحول المرأة إلى زوجة ، وأم وربة بيت .

سقوط النبوءة

ترى - مرة أخرى - هل قدرت التجربة على تحقيق النبوءة التي طرحها « **البيان الشيوعي** » في منتصف القرن الماضي ؟

إن « **كوستلر** » يحدثنا في مكان آخر من مذكراته عن تجربته الشيوعية ، يحدثنا كيف منيت النبوءة بالسقوط ، وكيف أن المنظِّرين حاولوا تبرير السقوط بأساليبهم الخاصة التي تعرف كيف تلعب على حتميات النظرية الماركسية وهي تتراجع أمام الحتميات الأصيلة في الواقع البشري : تميُّز المرأة ، وظاهرة العائلة كمؤسسة اجتماعية .

« **كان الدافع الجنسي - يقول** كوستلر - **مقرراً أو معترفاً به ؛ إلَّا اننا كنا في حيرة بشانه ، كان الاقتصار على زوجة واحدة ؛ بل كان نظام الأسرة كله عندنا اثراً من آثار النظام البورجوازي ينبغي نبذه لأنه لا ينمي إلَّا الفردية والنفاق والاتجاه إلى اعتزال الصراع الطبقي ، بينما الزواج البورجوازي لم يكن في نظرنا إلَّا شكلاً من أشكال البغاء يحظى برضا المجتمع وموافقته** . إلَّا أن السفاح والاتصال الجنسي العابر كان يعتبر أيضاً شيئاً غير مقبول ، وكان هذا النوع الأخير قد شاع وانتشر داخل الحزب سواء في روسيا أو خارجها ، إلى أن أعلن « **لينين** » تصريحه الشهير الذي يهاجم فيه نظرية (كأس الماء) **تلك النظرية التي تزعم أن العملية الجنسية ليست أكثر خطراً وأثراً من عملية إطفاء العطش بكأس الماء**[٢] .

من هذا نرى أن الفضيلة البورجوازية كانت تعتبر شيئاً سيّئاً ، كما أن السفاح والاتصال الجنسي العابر كان سيّئاً كذلك .

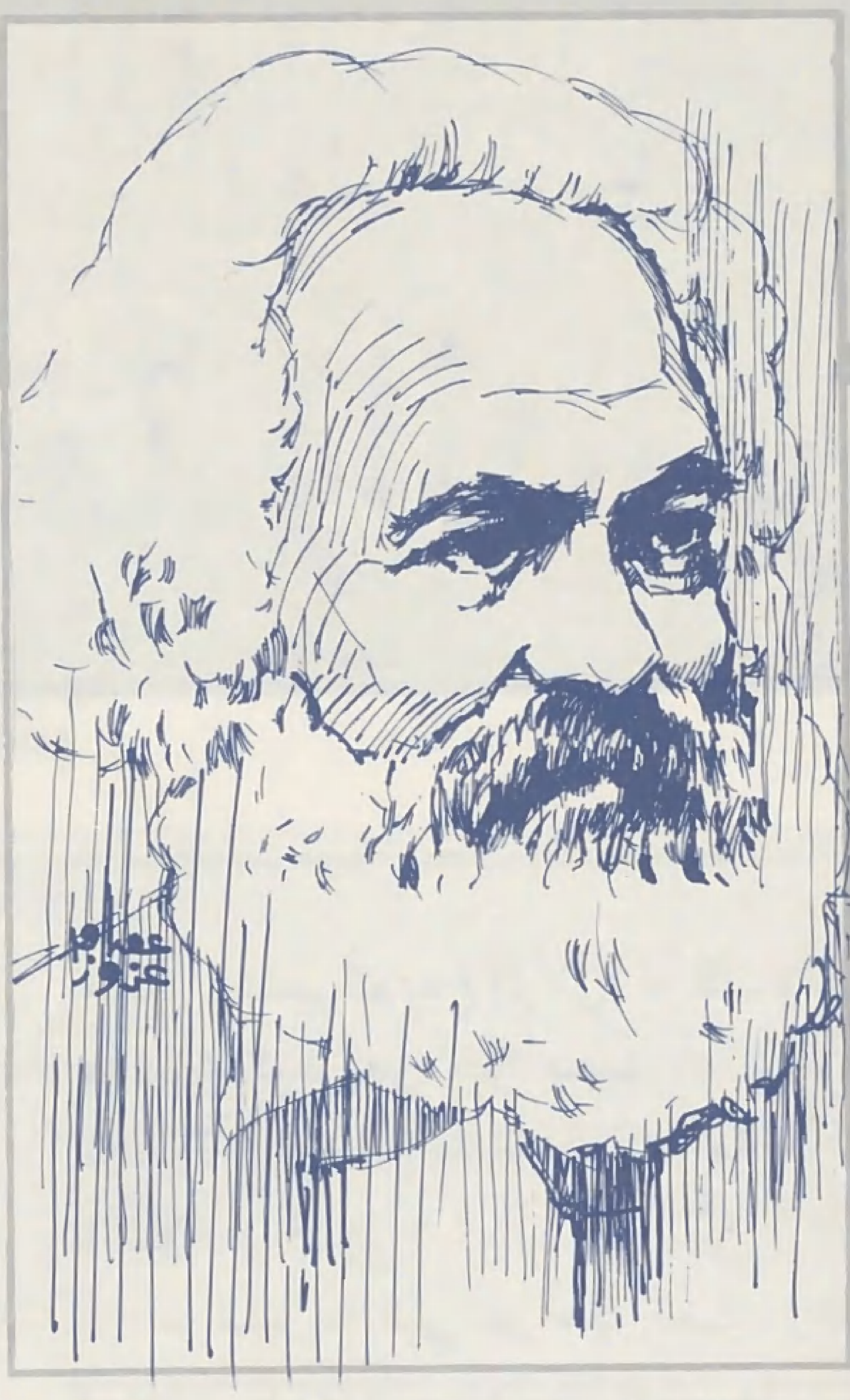

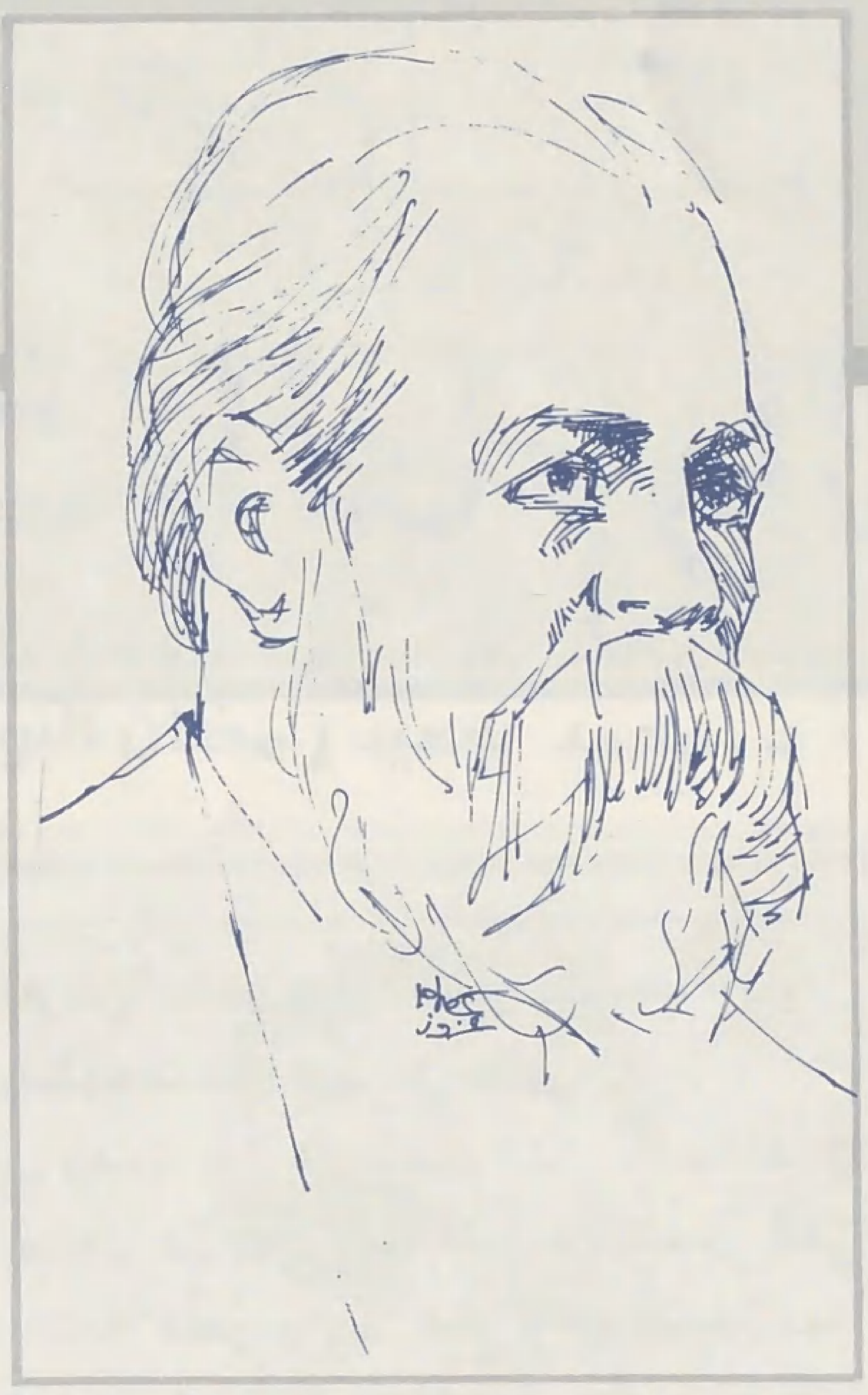

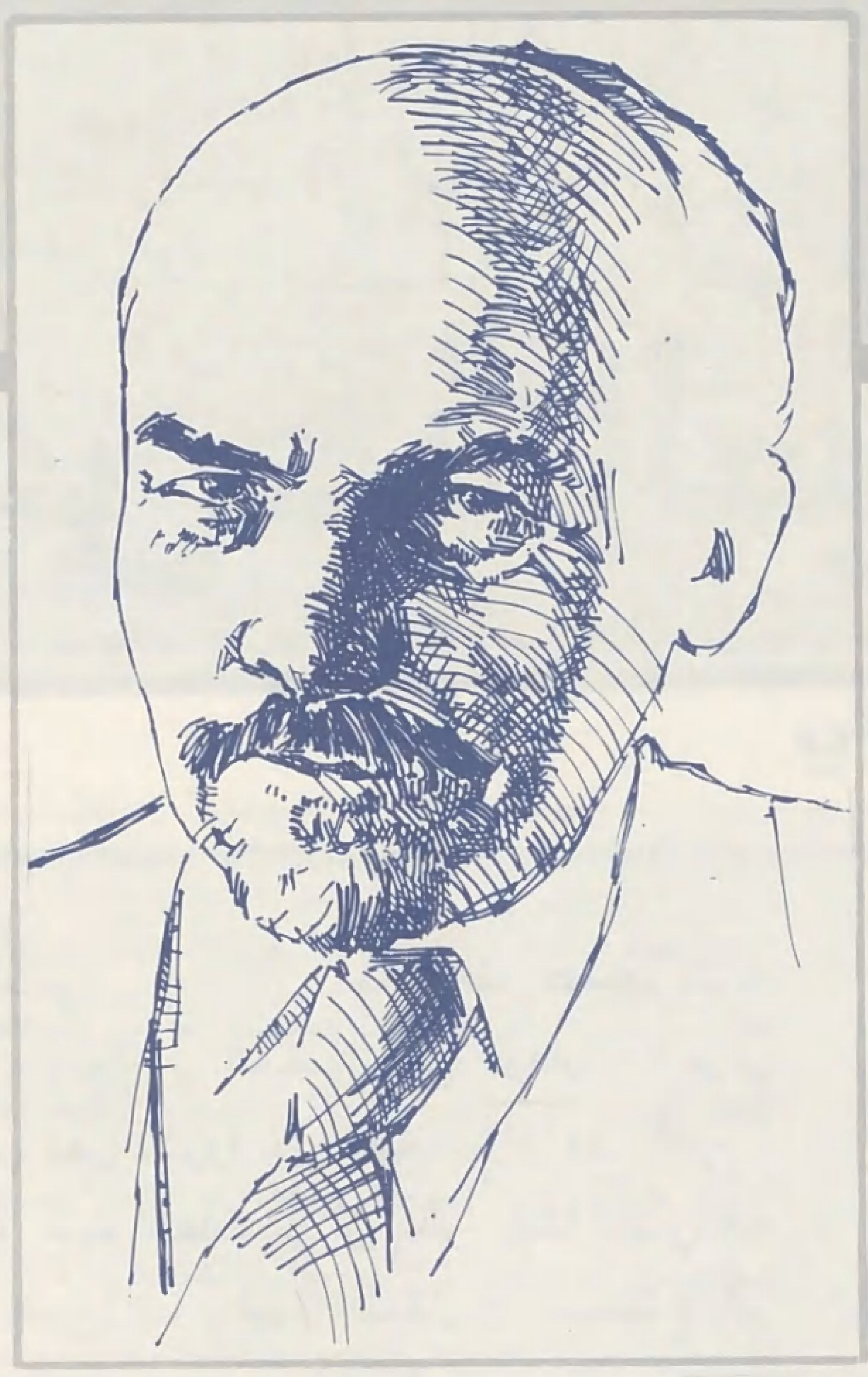

■ * مـاركس * ... واقع الأسـرة حتى في الدول الشيوعية كذّب ادعاءهما * انجلـز * ■

■ لينـين :
هاجم نظرية كأس الماء التي تزعم أن العملية الجنسية ليست أكثر خطراً من إطفاء العطش بكأس ماء .

أما الموقف الصائب الذي ينبغي أن نتخذه نحو هذا الدافع الجنسي فهو الفضيلة العمالية التي تتلخص في أن الإنسان ينبغي له أن يتزوج ويخلص لزوجته وينجب أبناء عماليين .

التكتيـك على الحقـائق

« فإذا تسـاءلت : **اليست هذه هي الفضيلـة البـورجـوازيـة التـي استنكرناها من قبل ؟**

قيــل لك : إن هذا التساؤل يدل على أنك لا تزال تفكر بالطريقة الآلية لا بالطريقة المنطقية الجدلية ، **إذ ما هو الفرق بين البندقية في يد رجل الشرطة والبندقية في يد عضو الطبقة العاملة الثورية ؟**

إن الفرق بين البندقية في يد رجل الشرطة والبندقية في يد عضو الطبقة العاملة الثورية ، **هو أن رجل الشرطة من أعوان الطبقة الحاكمة ، وبندقيته أداة للعدوان ، بينما هذه البندقية نفسها في يد عضو الطبقة العاملة الثـورية أداة لتـحـرير الجماهير المضطهدة** ... وهذا القول يصدق عن الفرق بين ما يسمـونه (**الفضيلـة**) البـورجـوازيـة وبين (**الفضيلـة**) العمالية .... إن نظام الزواج الذي يعتبر في المجتمع الرأسمالي مظهراً من مظاهـر الفسـاد والتحلل ، يتحـول (منطقياً) إلى عكس ذلك في المجتمع العمالي السليم ، **فهل فهمت ايها الرفيق ام تحب أن اعيد جوابي بطريقة (محكمة) أكثر من هذه ؟** »[3] .

العلم الإلـٰـهي والظنـــون البشــرية

ويجد المرء نفسه مضطراً للمقارنة بين النظريات الوضعية التي تقوم على الأهـواء والظنون فتـرتطم بـالـواقـع والتـأريخ والإنسـان ، وبين العقيدة الإسلامية القائمة على العلم الإلٰهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذي يعرف كيف يتطابق بإعجاز مع الواقع والتاريخ والإنسان فلا يكون ثمة تراجع أو ارتطام .

ذلك بعض ما قـالته المـاركسية ـ اللينينية عن الأنثىٰ والعائلة وتنظيم الدافع الجنسي ، أما ما قاله الإسلام فلا يكاد يجهله أحد .

فمن الذي يرتضي استبدال الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير ؟ من ؟!

---

(١) من كتاب (الصنم الذي هوىٰ) لكوستلر ورفاقه ، ترجمة فؤاد حموده : ٤٤ .

(٢) كان الدكتور « ولهم رايخ » ، وهو رجل ماركسي من أتباع « فرويد » ، ومؤسس معهد (السياسة الجنسية) قد أصدر تحت تأثير « مالينوفسكي » كتاباً سماه (وظيفة الشهوة الجنسية) شرح فيه النظرية التي تزعم أن الفشل الجنسي يسبب تعطيل الوعي السياسي لدى الطبقة العاملة ، وأن هذه الطبقة لن تتمكن من تحقيق إمكاناتها الثورية ورسالتها التاريخية إلّا بإطلاق الحافز الجنسي دون حدود أو قيود .

وهو كلام يبدو الآن ـ يقول كوستلر ـ أكثر اعوجاجاً وسخفاً مما كان يبدو لنا في ذلك الحين (المرجع السابق :٥٣) وهذه النظرية التي يطرحها الدكتور الماركسي الفرويدي ، والتي تمثل امتداداً ميكانيكياً لمقولة « ماركس » و « أنغلز » في (المنشور) يجيء « لينين » الزعيم الماركسي لكي يقلبها راساً على عقب ، وهو بصدد مهاجمة نظرية (كأس الماء) .. فتأمّل !!

(٣) المرجع السابق : ٥٧ ـ ٥٨ .

نزّهوا حرّية الرأي

عن هذا العبث بالعلم واللغة والدين

أقـول : منذ أن أخرج **طه حسين** كتابه هذا ، ونجح في الحصول على الرهان ، لا يزال بعض ممن جاؤوا على أعقابه ، إلى هذا اليوم ، يسيل منهم اللعاب على أن ينالوا رهاناً كالذي ناله **طه حسين** !.. دأبهم التفكير في اصطناع أي زيف آخر يمس جوهر الإسلام ، عسى أن يثور من حوله ضجيج مماثل ، ويمتد منه الجدل والصراع .. فيلتمع لهم بين الناس صيتٌ أيّاً كان نوعه ومهما كان مصدره :

واحد من هؤلاء ، أخرج منذ أمد طويل كتاباً يتناول دراسات قرآنية ، حشاها زيفاً وافتئاتاً على الله ورسوله !.. ولما نشره وخرج على الناس ، راح يصيخ السمع ويحملق النظر .. ينتظر الردود والتعقيبات التي ستثور في وجهه وتتناوله بالتسخيف والتزييف ، ليتّخذ منها سلّماً إلى الشهرة التي ينتظرها ، والمكانة التي يطمع أن يتبوأها .

ولكن بداهة الزيف الذي اصطنعه وتبنّاه ، أغنت كل ذي عقل واع وثقافة راشدة ، عن أي تعقيب أو بيان يكشف عُواره وينبه إلى مكمن الزغل الذي فيه ... فلم يلق عمله الذي تعب في حبكه وإخراجه إلّا امتهاناً له وإعراضاً عنه .

وإني لأذكر أن هذا الرجل قدّم نسخة من كتابه هذا - آنذاك - إلى أديب من كبار أدبائنا الإسلاميين ، له قدم راسخة في العلم والأدب ؛ وسأله ألّا يتحرج من كتابة أي ردّ أو تعقيب عليه ، إن هو رأى في كتابه ما يقتضي ذلك .. ولكن الأديب ما إن استعرضه ورأى تفاهة الزيف الذي فيه ، حتى أعرض عنه وقذفه في إحدى زوايا الإهمال .

وأخذ المؤلف ينتظر الرد ويرقب الساعة التي يجد اسمه فيها يتكرر في ثنايا مقال هام لواحد من أبرز كتّاب هذا العصر وأدبائه .. ولكن انتظاره طال دون جدوى .

فعاد يتصل بالأديب الكبير مثنى وثلاث .. ويستعجله في كتابة الرد ، وقال له أخيراً وهو يصطنع الغيرة على العلم : **إن أمانة العلم تفرض عليكم بيان الحق وتسجيله ، وإن استوجب ذلك الردّ على كتابي** !..

وعندئذ قال له أديبنا الكبير - أمدَّ الله في عمره - **كن على يقين أنني لن أدنِّس قلمي بكتابة سطر واحد عنك وعن كتابك مهما سعيت إلى ذلك وحاولت** !..

صاحب الحاجة أرعن

ولكن يبدو أن هذه الكلمة - على شدتها - لم تقطع دابر الأمل عند هذا الرجل وأمثاله .. ولا عجب ، فصاحب الحاجة - كما يقولون - أرعن لا يروم إلّا قضاءها . وهو على استعداد لأن يركب في سبيلها الصعب والذلول .

وعلى الرغم من أن صحوة إسلامية عارمة أخذت تجتاح الزغل والأوهام من أفكار معظم الشباب المسلمين في مجتمعاتنا الإسلامية على اختلافها ، وراحت تكنس بقايا الشبهات والريب التي كانت إلى الأمس القريب تطوف بكثير من الرؤوس ، فإن هذا الرجل وأمثاله لا يزالون يطمعون في غير مطمع ، ولا تزال أحلام رؤوسهم تهيّج لعاب أفواههم !..

الإسلام دين !!

لقد خرج واحد من هؤلاء على الناس ، منذ بضعة أشهر ، بكتاب يقول فيه : **إنَّ محمداً عليه الصلاة والسلام إنما كان نبياً رسولاً « فلم يكن رئيس دولة ولا قائد أمة لا بالمعنى القديم ولا الحديث »** ولم تكن سلطته أكثر من سلطة نبوة ورسالة .. على أن هذه السلطة أيضاً كانت محصورة في مرحلة حياته فقط ، فلم تتجاوزها إلى ما بعد .. ومن ثم فإن الإسلام الذي بعث به دين فقط ، وليس ديناً ودولة كما يقولون !..

ويقول فيه : « **إن عملية الاستخلاف بعد النبي ﷺ ، لم تكن أبداً عملية دينية ... إنها نظام سياسي جديد ، ارتآه الناس لأنفسهم من بعده : فالنبي لم يدع إلى شيءٍ من ذلك ولم يأمر به . بل ليس من حق محمد ﷺ (على حدّ تعبيره) أن يأمر به من بعده ، ما دام نظام النبوة قد انتهى** !.. »

أما الشريعة التي كان عليه الصلاة والسلام يرعاها ويطبقها في حياته ، فقد آل أمرها من بعده إلى مجلس الشورى » .. فالشورى هي التي تقوم مقام شريعة الوحي والنصوص ، فيما بعد !.. » .

وهكذا فقد آل الإسلام بجرّة قلم إلى أُحْدوثة تاريخية بدأت بظهور محمد ﷺ ثم انطوت بوفاته !.. الناس ، كل الناس من بعده ، في حلّ من شريعته واتباع أحكامها ، فقد نُسخت من بعده بسلطة الشورى !..

ولكن ما دليل هذا الرجل على ما يقول ؟

إن له على ذلك أدلّة جاهزة .. أدلة تضحك ، والعجيب أن الرجل ينسى على ما يبدو ، في غمار انهماكه وبحثه ، أن الناس عقلاء .. وليس ضرورياً أن تكون عقولهم مصابة بهوس الرعونة وأن تكون مستعبدة لأسبقية ما ، ابتغاء نيل رهان !..

دليله على أن محمداً كان نبياً رسولاً فقط ، ولم يكن رئيس دولة ولا قائد أمّة ، لا بالمعنى الحديث ولا القديم (على حدّ تعبيره) هو أن الله وهب سليمانَ المُلْك استجابة لدعائه . ولكنه لم يهبه لمحمد عليه الصلاة والسلام . لأنه لم يطلبه ، بل تأبى عليه عندما عرضه عليه المشركون : بل إن الله أمره أن يقول للناس بأنه ليس مَلَكاً عليهم . فقال : ﴿ **قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ** ﴾ !..

ودليل آخر ، هو هذا المقياس الفذّ : « **يجب أن نفرق دائماً بين صيغة : محمد يحكم الناس ، وصيغة محمد يحكم بين الناس** .

الصيغة الأولى : هي التي تصلح لرئيس الدولة ، **أما الصيغة الثانية** : فهي التي تصلح للقاضي والحَكَم . وكل عبارات القرآن الكريم وردت في الصيغة الثانية : **الحكم بين الناس** :

■■ منذ أن أخرج طه حسين كتابه « في الشعر الجاهلي » منفِّذاً وصية أستاذ فرنسي له ، وأعظم فيه الفرية على كتاب الله وتاريخ اللغة العربية ، وقام من جراء ذلك ضجيج كبير وأعقبه جدل طويل بين جنود الحق والباطل ، وكان من نتائج ذلك ـ بالضرورة ـ انتشار اسم المؤلف في الأوساط الثقافية المحافظة والمتحللة ■■

بقلم : د . محمد سعيد رمضان البوطي

ولم تكن أبداً حكم الناس » !!...

تلك هي الأدلة الفريدة من نوعها على أن **محمداً** ﷺ كان رسولاً فقط ، ولم يكن رئيس دولة ولا قائد أمة ، فيما يخطه قلم هذا الكاتب للناس .

مَلَـك ومَلِـك !!

ونقول : ما علاقة كلمة « مَلَك » بفتح اللام مفرد ملائكة ، بكلمة « **مَلِك** » بكسر اللام مفرد ملوك ، حتى تستشهد بقوله تعالى ﴿ **قُل لَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ** ﴾ على أن النبي ﷺ لم يؤت مُلْكاً ولم يكن مَلِكاً ؟

أليس من أوضح الواضحات عند أي تال للقرآن ، ناطق بالعربية ، أن الآية تعني أن رسول الله بشر من الناس وليس مَلَكاً من ملائكة السماء ؟!.. فما علاقة ذلك بالمُلْك الذي هو الهيمنة المادية والسياسية على الأمة والأرض ؟

ونقـول : في أي قاموس من قواميس العربية رأيت أن كلمة « حَكَمَ » بالمعنى الذي تقصد ، وهو إبرام الأمر والفصل فيه ، تتعدّى بنفسها ، حتى يقال : محمد يحكم الناس ؟

من المعروف أن « **حَكَمَ** » هذه تتعدى باللام أو « على » أو « في » ، أو تسلّط على كلمة « **بين** » فيقال : حكم لهم أو عليهم أو فيهم أو بينهم . أما « **حَكَمَهُمْ** » بالمعنى الذي تقول فباطل من الصياغة والقول ، لا علم لأحد من العرب بها ، وإنما هي من افتئاتك على اللغة العربية وأهلها .

على أن مقياسك هذا يَحْرِم حتى ذات الله عز وجل عن حق السلطة والملك . لأنه قال عن نفسه : فالله يحكم بينهم ، ولم يقل يحكمهم !!..

ثم إنَّا نزيد الأمر إيضاحاً فنقول :

من أين لك أن كلمة المُلْك في قوله عز وجل عن سليمان عليه الصلاة والسلام :

﴿ **قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي**

■ طـــه حســـين ■

هل كسب الرهان في كتابه « في الشعر الجاهلي » ؟

لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ تعني مجرد القيادة وبسطة الحكم والسلطان ، حتى يكون تجرد محمد عليه الصلاة والسلام عن الملك تجرداً عن القيادة والحكم ؟

إن هذا التفسير الذي ألصقته بالكلمة ، إنما هو من مخترعاتك وإبتداعاتك التي لا نزاحمك فيها قط .. أما الذي هو معروف عند العلماء وسائر المفسرين من معنى كلمة « **المُلْك** » في هذه الآية فهو الممتلكات والقدرات التي تمتد إلى آفاق لن تمتد إليها قدرات أحد من بعده ، كتسخير الطبيعة والرياح والجن .. وحسبك شاهداً على ذلك قوله على لسان سليمان :

﴿ ... **لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي** ﴾ وإلاّ فقل لنا : كيف يوافقك العقل والمنطق ـ ودعك من اللغة وإجماع المفسرين ـ على أن المراد : هب لي حكماً وإمامة لا ينالهما أحد من بعدي ؟ وهل يمكن استجابة هذا الدعاء إلَّا بأن لا يبقى حاكم أو إمام أو خليفة من بعده على وجه الأرض !..

ولنضرب مع ذلك صفحاً عن هذا كله .. ولكن تعالَ فأخبرنا لماذا يأخذ **محمد النبي الرسول فقط** البيعة من الأنصار على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره كما يروي عبادة بن الصامت في الحديث المتفق عليه ؟.. إذا كان محمد عليه الصلاة والسلام مجردَ رسول مبلغ عن الله ، وليس قائداً ولا إماماً يلزمهم له السمع والطاعة ، فلماذا يلاحقهم بأخذ مثل هذه البيعة ، وقد أبرؤوا ذمتهم تجاه الله بالدخول في دينه والتزام أوامره ، وشهدوا شهادة الإسلام ؟!.. ثم لماذا يلاحق أهل مكة بمثل هذه البيعة يوم الفتح بعد أن دخلوا الإسلام ، وهلَّا اكتفى بإسلامهم عن هذه البيعة ؟

ثم أخبرنا عن تلك الوثيقة التي اكتتبها رسول الله ﷺ وأصحابه ، عندما استقر في المدينة المنورة ، والمكونة مما يقارب سبعين بنداً ، صيغت كأحدث ما تصاغ به دساتير هذا العصر شكلاً ومضموناً ، والتي تبدأ بهذا البند :

● « **المسلمون من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، أمَّة واحدة ، من دون الناس** » .

هل قرأت هذه الوثيقة يوماً ما ؟.. لعلك لم تفعل ، إذن عد فاقرأها ، وقل لنا : بأي صلاحية يُقدم **محمد النبي الرسول فقط** ، على هذا العمل القيادي الذي يبسط سلطانه من خلاله لا على أصحابه المسلمين فقط من الأنصار والمهاجرين ، بل على اليهود الذين يساكنونهم في المدينة أيضاً ، فيلزمهم بميزان عادل دقيق من التعايش الاجتماعي والاقتصادي والعسكري .. ويلوّح لهم ولأهل هذه الوثيقة الدستورية كلهم بالعقاب الذي سينزل بكل خارج منهم على هذه الوثيقة أو مستهين بأحكامها . وحسبك من ذلك هذا البند :

● « **يهود بني عوف أمَّة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، إلَّا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ (أي يهلك) إلَّا نفسه وأهل بيته** » .

محمـد الرسـول ، الذي لا يملك مع النبوة

نزهو احرية الرأي
عن هذا العبث بالعلم واللغة والدين

أية إمامة أو قيادة أو حكم ، بأي صلاحية يبسط لنفسه هذا السلطان على اليهود الذين يساكنونه في المدينة ، وبأي موجب يستجيز لنفسه تنفيذ مقتضيات هذه السلطة ؟ وما علاقة النبوة والرسالة ، بكل هذه الأنظمة والسلطة والأحكام ؟

ثم قل لنا يا هذا : من أين جاء علماء الشريعة الإسلامية بما سموه « **احكام الإمامة والسياسة الشرعية** » وهي تساوي ما لا يقل عن ثلث مجموع أحكام الشريعة الإسلامية ؟ ولماذا يقسم علماء السنة والشريعة وأصول الفقه أفعال رسول الله وتصرفاته إلى الأقسام الثلاثة التالية :

* **أولاً** : ما فعله رسول الله ﷺ أو قاله بوصف كونه مبلغاً عن الله .

* **ثانياً** : ما فعله ﷺ أو قاله بوصف كونه إماماً للمسلمين وحاكماً فيهم .

* **ثالثاً** : ما فعله أو قاله استجابة لنوازعه البشرية وطبيعته الإنسانية .

ومعلوم لكل مطَّلع على الشريعة الإسلامية أن ما يسمى بأحكام السياسة الشرعية ، تمتاز بخصوصيات لا تتصف بها أحكام التبليغ ، من أهمها : أن رسول الله ﷺ يملك **أوجهاً** عديدة من المرونة في تطبيقها والأخذ بها ، بوصف كونه رئيس دولة وقائد أمة ، ويملك هذه الصلاحية من بعده من ينوب عنه من الأئمة والحكام . أما أحكام التبليغ فلا يملك لا رسول الله ﷺ ولا غيره أي تبديل أو تغيير فيها ، وليس لهم إلَّا تنفيذها كما وردت عن الله عز وجل .

فإذا كان **محمد نبياً ورسولاً فقط** ، فهو إذن مبلغ ليس إلَّا .. فمن أين جاء هذا التقسيم وبأي مقتضى يعطي لنفسه صلاحية التبديل والتغيير في واحد من هذه الأقسام ، ويحجب عن نفسه هذه الصلاحية في القسم الثاني ؟

عمليـــة الاستخـــلاف

اما الحديث العجيب الذي يقوله عن الخلافة فهو ما يلي :

لا شأن لما بعث به محمد عليه الصلاة والسلام ، بالخلافة وموضوعها قط !.. ومن ثم فإن « **عملية الاستخلاف ، لم تكن ابداً عملية دينية** » و « **لم يكن هنالك نص ابداً بشأن قيام مؤسسة الخلافة واختيار الخليفة** » .

أجـل ، هكذا يقرر ، وبكل بساطة .. ودون أي تحفظ أو استدراك !.. ولكأنه منقطع كل الانقطاع عن شيء اسمه السنَّة ؛ أو كأنه يدلي بهذا القرار العجيب من أعماق رقادٍ ثقيل !..

« لم يكن هنالك نص أبداً بشأن قيام مؤسسة الخلافة ، وعملية الاستخلاف لم تكن أبداً عملية دينية » !..

إذن فمن هذا الذي حدَّثنا فيما ترويه السنَّة عن شروط الخلفاء ؟ ومن هو الذي قال لنا فيما رواه مسلم وغيره : « الأئمة من قريش » ؟

ومن هو الذي قال لنا فيما رواه أحمد وأبو يعلى وابن شيبة والبزار من رواية علي رضي الله عنه :

« **الا إن الأمراء من قريش ، الا إن الأمراء من قريش ، الا إن الأمراء من قريش ، ما قاموا بثلاث : ما حكموا فعدلوا ، وما عاهدوا فوفوا ، وما استُرحِمُوا فرحموا . فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين** » .

ومن الذي قال فيما يرويه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وأحمد :

« **اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ـ وإنْ عبداً حبشياً ـ فإنَّ من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً . فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين ، تمسكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ** » .

ومن هذا الذي قال فيما يرويه مسلم :

« **إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخرِ منهما** » .

ومن هو القائل فيما يرويه مسلم :

« **من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له . ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية** » .

ترى هل نحن بحاجة إلى سرد كل ما ذكره رسول الله ﷺ عن حكم الخلافة ومبايعة الخليفة وحكم السمع والطاعة له وحكم تعدد الخلفاء في وقت واحد ، وشروط الخليفة ، للرد على هذا اللغو العجيب ، وهل يعقل أن مؤلفاً ينشر آراء خطيرة كهذه يبلغ به الجهل بالسنَّة انه لم يطلع على شيء من هذه الأحاديث وغيرها ؟ ولنفرض أنه لم يطلع عليها أفيعقل أنه لم يمرّ بعينيه على فهرس الأبواب الواردة في أي من مصادر السنَّة الشهيرة المتداولة بين الناس ؟..

لو أن الرجل اكتفى بالاطلاع على واحد من هذه الفهارس ، إذن لرأى باب الإمارة أو الخلافة أو الحكم . ولعلم من هذا العنوان وحده بطلان هذه الدعوى العريضة التي جاء يقتحم بها عقول القراء وأذهانهم ، دون أي تأمل ولا تقدير !..

النَّـص والمصلحـــة

اما عن مآل الشريعة التي بُعث بها محمد ﷺ ، ذاك الذي لم يكن أكثر من نبي رسول ، وأن رسالته انتهت بوفاته ، وبمرور المرحلة التي عاشها محمد ﷺ ، فنقـــول :

أما مآل الشريعة الإسلامية فيما يصوره لنا هذا الكاتب ، فهو الخضوع لما يقرره مجلس الشورى الذي لا بدَّ أن يمسك بمقياس أو ميزان واحد فقط ، ألا وهو ميزان « **المصلحة** » التي يراها ويقدرها هذا المجلس .

نعم ، فلقد انتهى الرجل إلى هذا المآل ، ولكن بعد أن راغ واستدار في أنفاق متعرجة من المناورة والمجاملة لقدسية النصّ والإجماع ، ومن الحديث عن الحدود التي تقف عندها صلاحيات مجلس الشورى .. حتى إذا ظن أن القارىء بدأ يطغى عليه الدُّوار ، وراح يستسلم للتيه الذي زجّه فيه ، أوقفه الكاتب على المستقر الأخير ، وأسلمه للنهاية المفضلة التي لا بديل عنها !..

فما هي تلك النهاية المفضلة ؟

وما هو القرار الأخير عن مصير الشريعة الإسلامية ونصوصها الجاثمة في مصدرَيْ الكتابة والسنَّة ؟

إنه القرار الذي غاب عن علماء الشريعة الإسلامية كلهم ، منذ عصر الصحابة إلى هذا العصر ثم لم يتبينه ويطَّلع عليه إلَّا واحد فقط ، هو سليمان الطوفي (٦٥٦هـ) .

ذاك القرار الذي يقـول : بما أن مدار النصوص على المصالح ، إذن فالمصالح أصل والنصوص فرع ، وإذن فحينما وقع التعارض بين الأصل والفرع يشطب على الفرع ويستغنى عنه بالأصل .

اي فليشطب على النص لأنه فرع ، وليؤخذ بما نحسب انه مصلحة لأنه الأصل !!..

هذا القرار هو المصير الذي لا بدَّ منه ، بنظر المؤلف !..

الكتاب الإسلامي
دليل نهضة.. وشاهد إدانة

جولة في:

المكتبة السليمانية في استانبول

أستطلاع

■■ الكتاب - وعاء الفكر والثقافة والمعرفة ، ونتاج حضارات الأمم والمعبِّر عنها - بهذا المفهوم يعتبر إحدى مميزات الحضارة الإسلامية .. فقبل الإسلام لم يكن في قريش من يحسن القراءة والكتابة سوى بضعة عشر نفراً ، وجاء الإسلام ليفتح للمسلمين آفاقاً لا تحد للعلم والتعلم والمعرفة .. امتدت من مجالس كتَّاب الوحي - ومنهجها الدقيق في التدوين والحفظ - إلى أرض الله الواسعة ، حيث تبنَّى المسلمون ما كان يلائم رسالتهم من نتاج حضارات الأمم الأخرى ، وارتقوا به ، وطوروه واحتضنوه وتمثلوه .. ثم أبدعوا حضارتهم الذاتية ■■

■ مبنى «دائرة العلوم العسكرية»، تشغله حالياً جامعة كبيرة ، ويعتبر من أبرز معالم منطقة السليمانية ■

الكتاب الإسلامي
دليل نهضة .. وشاهد إدانة

جولة في: المكتبة السليمانية في استانبول

استطلاع

التفاعل ... والاقتناء

كان المسلمون قد حملوا كتاب الله - القرآن الكريم - الذي تركزت حوله الدراسات - ابتداءً وأساساً - ثم وجدوا في البلدان التي دخلها الإسلام كتباً كثيرة متنوعة، فلم يحقروها أو يتلفوها - كما فعل الغزاة الهمجيون المدمرون عبر التاريخ - بل اهتموا بها وطوروها وحفظوها، وقادوا أكبر حركة فكرية ونهضة علمية شملت جميع أنحاء العالم، وكانت أساساً لما يزخر به من العلوم والفنون ...

ولعل أهم حدث - بعد تدوين الوحي - في عصور الإسلام الأولى، هو تسجيل جميع الحوادث التي لها علاقة بالرسول ﷺ وبحديثه الشريف، ذلك أن الرغبة في حفظ الحديث ومعرفة رواته - باعتباره المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي - قادت إلى وضع الأسس العلمية المنهجية الدقيقة، وإلى العناية بتأليف الكتاب ..

ونستطيع أن نقول: **إن الكتاب في تلك العصور كان دليل نهضة**، حيث كان المسلمون يعيشون مضمونه ويتزودون منه، ويتفاعلون بمادته، وينشرونه، ويدركون قوته ويقدرون خطره في إثارة حاسة التفكير والتدبر عند الإنسان ..

أما في عصور الانحطاط: فإن الكتاب ينقلب إلى شاهد إدانة، حيث يُكْتَفَى منه بالاقتناء للمباهاة والتقليد، ويصير إنشاء المكتبات في البيوت للشكل والزينة، وربما يكون صاحبها جاهلاً لا يعرف القراءة أو لا يهتم بها ...

وحينما يجمد التفاعل مع الكتاب على هذا النحو، تتغير نظرة الناس إليه، ويرثها الأحفاد عن الأجداد، فلا يقوم كأداة قوة وتفاعل حضاري ووسيلة تطور معرفي، بل يصبح مجرد تحفة، يحرص الوجهاء على اقتنائها لتحنيطها أو حفظها خلف جدران سجون الفكر، أو ما يسمى تجاوزاً بخزائن الكتب، ويقف الكتاب شاهد إدانة بما يصيبه على أيدي أناس عصر الانحطاط ..

المكتبة ورسالة المسجد

وقد ارتبط الكتاب الإسلامي - في مختلف الظروف، من النهضة إلى الانحدار - بالمكتبات؛ كوسيلة لحفظه وعرضه وانتشاره بين الناس، الأمر الذي ساهم - إلى حد كبير - في توسيع نطاق الحضارة الإسلامية وتغذيتها وترقيتها أو حصرها وانحسارها ..

فعندما اتسع أفق المسلمين العقلي وازدهى تقدمهم الحضاري وتنوعت اهتماماتهم الثقافية والعلمية، زاد بالقدر نفسه عدد المكتبات وتنوعت أغراضها، وانتشرت المكتبات العامة المفتحة للناس كافة على اختلاف ثقافاتهم، ومكتبات المساجد والرُبُط والخانقاوات، ومكتبات الدولة التي ينشئها الخليفة أو الحاكم أو الأمير، والمكتبات الأكاديمية الخاصة بالدراسات العالية، ومكتبات المدارس والجامعات، والمكتبات الموجودة بالمستشفيات أو «**البيمارستانات**» .. أما في عصور الانحطاط؛ فقد وجدت الكتب طريقها إلى الخزائن التي تهتم بالشكل ولا يتردد عليها أحد ..

وكانت مكتبات المساجد أول نوع من المكتبات العامة عرفه المسلمون فقد جرت العادة في عصور الإسلام الأولى أن يودِعَ الناس في المساجد عدداً من نسخ القرآن الكريم وبعض الكتب الإسلامية والكتب العلمية النافعة كوقف لفائدة المطالعين من المترددين على المساجد .. فقد كان المسجد مكاناً للدراسة بمختلف مراحلها وبمعظم فروعها، ولا تزال مساجد كثيرة في أنحاء العالم الإسلامي لا تقتصر مكتباتها على الكتب الدينية المتخصصة فحسب، وإنما توجد إلى جانبها كتب في فروع المعرفة المختلفة ..

التخصص والمكتبات الخاصة

وقد يكون من المناسب هنا أن نذكر نوعاً من المكتبات انفردت به - كظاهرة حضارية - عصور النهضة الإسلامية، وهي مكتبات المستشفيات (**استعمل المسلمون لها الكلمة الفارسية «بيمارستان» وتعني بيت للمرضى**) حيث ألحقوا بها مكتبات متخصصة حافلة بثمرات العقول، وذلك لأن المستشفى - في الحقيقة - لم يكن مكاناً للتطبيب والتمريض فحسب، وإنما كان أيضاً مكاناً لتعليم طلاب الطب والتدريب العملي والدراسة النظرية - مثل البيمارستان النوري الذي بناه نور الدين الشهيد في دمشق في القرن السادس الهجري ...

ومن أنواع المكتبات التي انتشرت في المجتمع الإسلامي ما يمكن أن نسميه المكتبات الخاصة، حيث حرص بعض الأغنياء والموسرين وأهل العلم على اقتناء مجموعات كبيرة من الكتب النادرة في أبواب الثقافة المختلفة والاهتمام بها، ومن هؤلاء الذين توفروا على جمع الكتب القيمة واشتهروا بمكتباتهم الخاصة: الفيلسوف

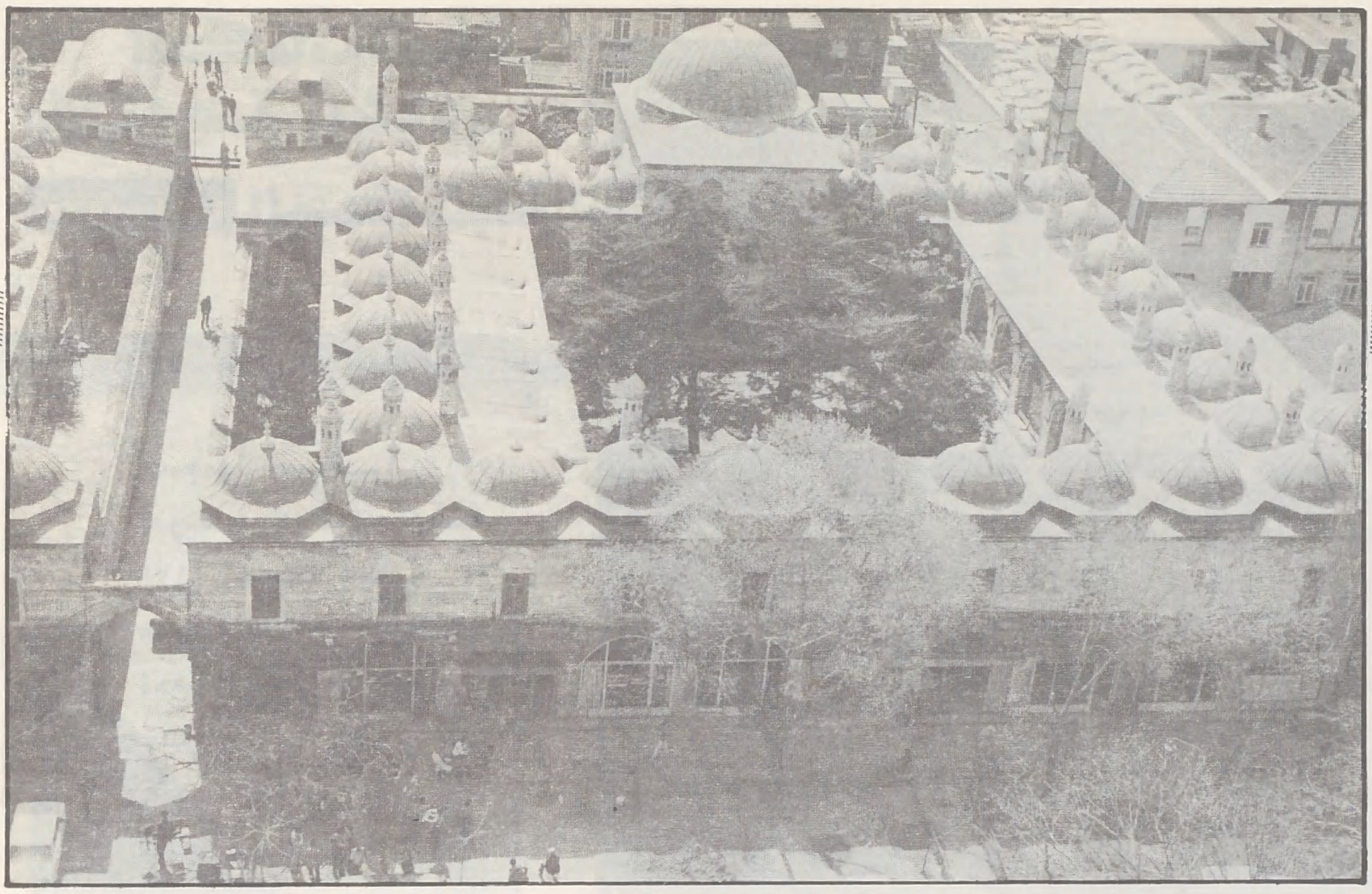

■ منظر عام لمكتبة السليمانية وملحقاتها على مساحة (٥٠٠٠) متر مربع ، أضيف إليها مؤخراً البناء الخاص بمتحف الآثار الإسلامية ـ وتعلوها القباب السليمانية المميزة . ■

الكندي ، وابن العميد الذي كان يشرف على شؤون مكتبته الخاصة **المؤرخ الشهير ابن مسكويه** ، ويتعهدها بعنايته ويغذيها بعلمه وأدبه ، ويزوِّدها بالكتب النافعة ويستنسخ بعضها .. ويروي **ابن مسكويه** ـ عن مدى اهتمام ابن العميد بكتبه وحرصه عليها ـ في وصفه لحادث إغارة العسكر الخراسانية (جند آل سامان) على « الريِّ » ـ مدينة ابن العميد ـ فيقول :

[... **ورجع الخراسانية إلى معسكرهم ، فلما أصبحوا باكروا الحرب ، ودخلوا المدينة من ناحية « أجران » ، وفيها دار ابن العميد ...**

واشتغلوا بنهب داره وخزائنه ، إلى أن أتى الليل وانصرفوا ، وكان إليَّ خزانة كتبه فَسَلِمَتْ ولم يُتعرض لها ، فلما انصرف إلى منزله لم يجد فيه ما يجلس عليه ... واشتغل قلبه بدفاتره ـ ولم يكن أعز عليه منها ـ وكانت كثيرة فيها كل علم وكل نوع من أنواع الحكم والآداب .. فلما رآني سألني عنها ، فقلت هي بحالها لم تمسها يد ، فسرِّيَ عنه ، وقال : أشهد أنك ميمون النقيبة ، أما سائر الخزائن فيوجد عنها عوض ، وهذه الخزانة هي التي لا عوض عنها ...] .

ولا يفوتنا أن نذكر أن حركة الكتاب الإسلامي في العالم على اختلاف دوافعها قد تأثرت كثيراً بعوامل تاريخية ، فكثيراً ما كان موقع عاصمة الدولة واستقرارها يشكلان قوة جذب للكتاب حيث أقيمت من أجله المكتبات الشهيرة في العالم الإسلامي ، بينما شهدت فترات تاريخية معينة كيف رحل الكتابُ الإسلامي إلى أوروبا .. وعلى العموم فإن مسار هذه الحركة وظروفها ودوافعها لا بد أن تكون موضع دراسة تاريخية تحليلية وتسجيلية جادة ..

جامعة المكتبات

ونتوقف عند واحدة من المكتبات التاريخية في العالم الإسلامي « **المكتبة السليمانية** » ـ في استانبول (بتركيا) ـ التي تشكِّل مزيجاً من نوعين من أنواع المكتبات ، هما : مكتبات الخلفاء والسلاطين والحكام والأمراء ، والمكتبات الخاصة ..

أنشأها **سليمان القانوني** (٩٥٧هـ ـ ١٥٥٠م) ـ عاشر سلاطين الدولة العثمانية ـ الذي اشتهر بهذا الاسم بسبب القوانين الكثيرة التي أصدرها في مجال العلاقات الخارجية والأنظمة الداخلية ، وفي مقدمتها نظام التعليم ومعاملة العلماء ..

أما عن الرجل الذي صمم المبنى وأقامه فهو **المهندس المعماري الشهير سنان** ـ الذي يعتبر من رواد فن العمارة الإسلامية ـ ويسميه بعضهم « **مايكل أنجلو الأتراك** » ، كان من أبناء الأسرى الذين التحقوا بفرقة الانكشارية على عهد السلطان سليم الأول ، وشارك في حملات « **بلغراد** » و « **رودس** » كمحارب ، ثم اشترك في حصار « **فيينا** » بوصفه رئيساً لفرقة المهندسين ، ثم أقام فترة غير قصيرة في بغداد ، عُين بعدها عميداً للمهندسين المعماريين ... وضع تصميمات معمارية ـ إلى جانب تصميمات المكتبة السليمانية والمنطقة المحيطة بها ـ للعديد من المنشآت في أنحاء الدولة ـ على عهد **السلطان سليم الأول** ومن بعده صاحب السليمانية ـ هي : (٨١) **جامعاً كبيراً** ، (٥٢)

جولة في: المكتبة السليمانية في استانبول

استطلاع

مسجداً صغيراً، (٥٥) مدرسة، (٧) معاهد قرآنية، (١٧) مطعماً عاماً، (٣) مستشفيات، (٧) كتاتيب لحفظ القرآن الكريم، (٧) جسور، (٣٣) قصراً، (١٨) خاناً، (٥) متاحف، (١٣) حمَّاماً شعبياً ..

أما منطقة السليمانية فتضم مسجدها الكبير الذي تفوَّق في بنائه وتصميمه على « أيا صوفيا » ـ رائعة العمارة البيزنطية ـ حيث يمتاز بسعته وارتفاعه وتفرده بالمآذن الأربع، كما تضم سوق وحمام السليمانية ـ من ناحية الشمال ـ ومباني دائرة الأوقاف ومقر الإفتاء ومدارس الصبيان ـ من جهة الغرب ـ وإلى جوارها المدارس السليمانية، وهي عبارة عن قاعات للدراسة ومساكن لإيواء الطلبة وإعاشتهم، ومخازن المواد التموينية .. أما إلى الجنوب، فيقع مستشفى السليمانية (**دار التوليد حالياً**) ويقوم مبنى عريق، يحمل هذا الاسم بالخط العربي الثلث : « **دائرة الأمور العسكرية** »، وهو حالياً عبارة عن جامعة كبيرة .. تأتي إلى جانبها من ناحية الشرق : **المكتبة السليمانية** ..

ويتبع المكتبة السليمانية الرئيسة المنسوبة إلى السلطان عدد من المكتبات

■ الرواق المؤدي إلى قسم الفهارس، تزين جدرانه اللوحات الخطيَّة الرائعة ■

■ قسم الفهارس يضم قوائم للكتب المخطوطة والمطبوعة، يبلغ عددها (٩٨٩٥٥)، معظمها باللغة العربية. ■

■ قبل الإسلام .. لم يكن في قريش من يحسن القراءة والكتابة سوى بضعة عشر نفراً .. وجاء الإسلام ليفتح للمسلمين آفاقاً واسعة للعلم والتعلم والمعرفة .. ■

■ مسجد السليمانية الكبير ، متفرد بمآذنه الأربع ، ومتميز باتساعه وارتفاعه ، تفوّق المهندس سنان في بنائه وتصميمه على « آيا صوفيا » رائعة العمارة البيزنطية . ■

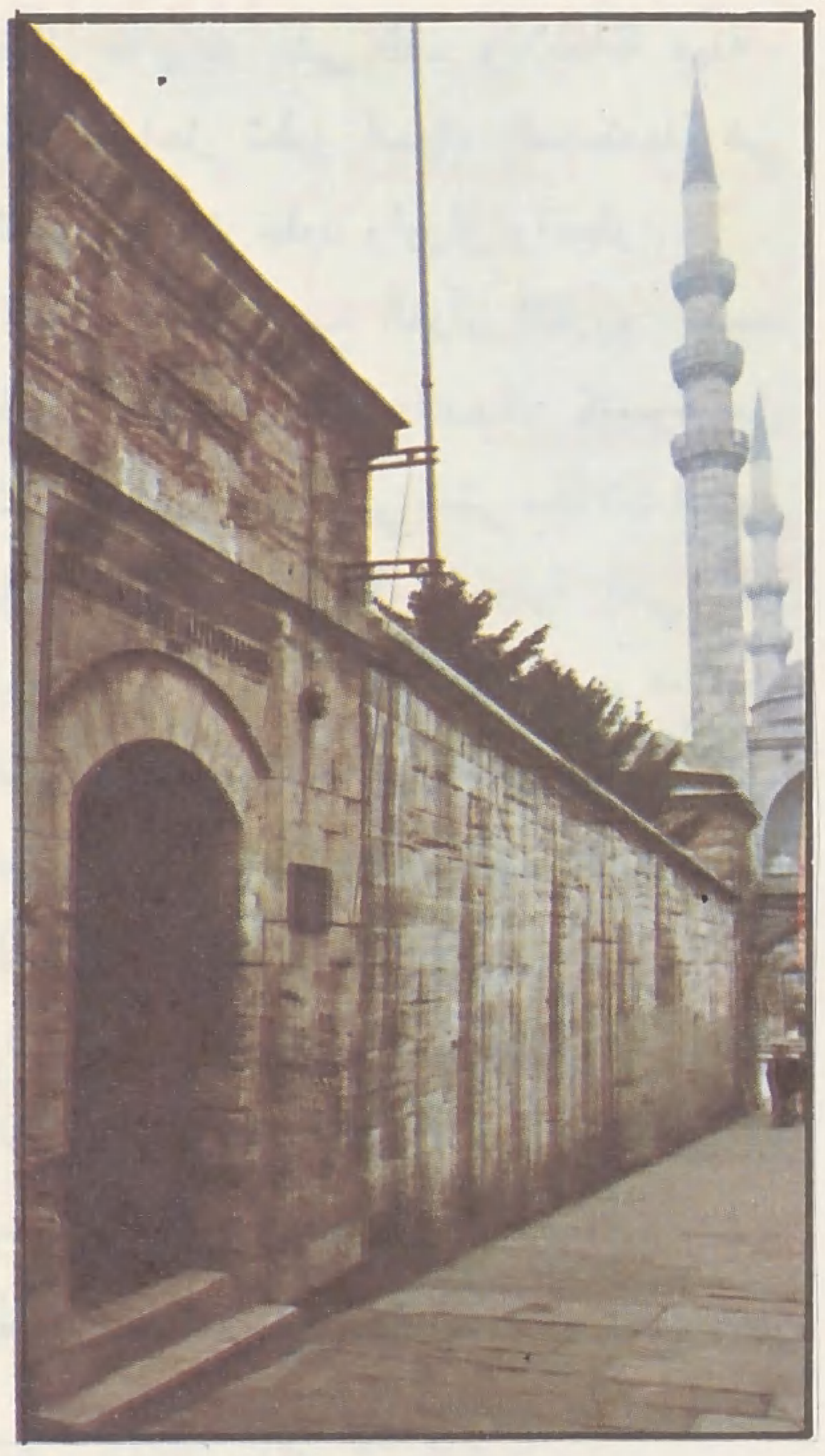

■ الشارع الضيق الذي تقع فيه - إلى اليسار - مكتبة السليمانية ، لا يزال يحمل طابعه القديم ، وقد ظهر جدار المكتبة وبابها الرئيس ، كإحدى المعالم الأثرية في مدينة استانبول ■

الخاصة التي أنشأها أفراد ، وقد أحصيناها من قائمة المكتبات التي تضم مخطوطات - في تركيا (١٤٨ مكتبة) - والواردة بمجلدات كتاب « نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا » فبلغ عددها (٥٩) مكتبة ، ولذلك يطلقون عليها « جامعة المكتبات » - غير أن أهمها وأشهرها خمس مكتبات خاصة هي : مكتبة عاطف أفندي ، ومكتبة راغب باشا ، ومكتبة كوبرولي ، ومكتبة حاجي سليم أغا ، ومكتبة نور عثمانية ..

وتبلغ مساحة السليمانية (٣٠) ألف متر مربع ، ومساحة البناء الخارجي بالمكتبات كلها (٥٠٠٠) متر مربع ، يضم فيما يضم مدرستي الصبيان الأولى والثانية (٥٦ غرفة) اللتين تقومان بمهمتهما التعليمية إلى الآن ، ثم أضيف إلى المكتبة البناء الخاص بمتحف الآثار الإسلامية منذ ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٨٣م .

●● وقد كانت لنا هذه الجولة في الأقسام المختلفة للمكتبة السليمانية الرئيسة وبعض أشهر المكتبات التابعة لها ..

استعادة أصول المنهج الإسلامي

ويعتبر قسم المخطوطات من أهم أقسام المكتبة ، يقود إليه رواق تعلوه القبابُ السليمانية المميزة ، وتزين جدرانه مجموعة من اللوحات الخطية لآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة وبعض الأشعار والحكم ، وفي نهاية الرواق توجد قاعة المخطوطات ذات الأهمية التاريخية ، والقيمة المادية والفنية ...

وقد تم ترتيب عرض المخطوطات بنظام روعي فيه التسلسل الزمني والأقدمية التاريخية ، ومن أهمها مجموعة نادرة من نسخ المصحف الشريف مدونة على جلد الغزال ومجلدة تجليداً فنياً نادراً ، يعود بعضها إلى زمن علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، وبعضها كتب بخط سلاطين آل عثمان الذين

الكتاب الإسلامي
دليل نهضة.. وشاهد إدانة

جولة في: المكتبة السليمانية في استانبول

استطلاع

كانوا يولون فن الخط العربي اهتماماً بالغاً، ويمكن للمشاهد - على ضوء الترتيب المتبع - أن يتابع مراحل تطور الخط العربي خلال ما يزيد على ألف وثلاثمائة سنة، وكذا مراحل تطور المواد المستعملة في التدوين، من جلود وأوراق وأحبار..

وإلى جانب نسخ القرآن الكريم، توجد بقاعة المخطوطات أعداد كبيرة من المخطوطات النادرة في شتى مجالات العلوم الإسلامية والتطبيقية والكونية التي كان للمسلمين فيها باع طويلة في عصور النهضة - ويمكن تمييز المعروض من كتب علم الفلك والتاريخ والجغرافيا وحياة الحيوان والقصص، والطب والزراعة والأدوية وتاريخ العلوم الطبيعية (وهو العلم الذي سبق به المسلمون، حيث لم يتقرر ولم يستقر كعلم في أوروبا إلَّا حديثاً) وعلوم اللغة والقرآن والحديث..

ويبلغ عدد ما تحتويه المكتبة السليمانية من كتب مخطوطة ومطبوعة (٩٨٩٥٥)، منها (٦٤٢٦٧) مخطوطة.. معظمها باللغة العربية (٤٨٩٩٢) والباقي بالفارسية والتركية، هذا مع العلم بأن نظام حصر المخطوطات وإحصائها لا يذكر النسخ المكررة للكتاب الواحد، وعلى سبيل المثال - فإنه يوجد من كتاب « **جامع الأصول** » ما يقرب من خمسين نسخة، ومن كتاب « **تحفة العجائب** » ثماني نسخ - **ومن المخطوطات النادرة بالمكتب نسختان من القرآن الكريم بخط ياقوت المستعصمي**، واحدة صغيرة بحجم الكف والأخرى بطول حوالي نصف متر وعرض (٣٠) سنتيمتراً، وهما مذهبتان وقد زينت صفحاتهما بالزخارف الملونة.. **أما أندرها فهي نسخة من القرآن الكريم دُونت في القرن الأول للهجرة**، ومخطوطة في قواعد اللغة العربية كتبت على الجلد يرجع خطها إلى القرن الثالث للهجرة.. وقد جاءت هذه المختارات ضمن مجموعات كانت قد أهديت إلى السلاطين، ومن أقدمها مجموعة السلطان الفاتح والسلطان بايزيد والسلطان أحمد الأول والسلطان عبد الحميد ومكتبة **نورهان** والدة السلطان عزيز ومجموعات السر الأعظم وشهيد علي باشا وداماد إبراهيم، ثم مجموعات شيوخ الإسلام ورئيس الكتَّاب.. ونذكر هنا بعض النماذج من المخطوطات التي كتبت في مجالات العلوم المختلفة وكان أصحابها رواداً، بينما عجز اللاحقون عن متابعة طريقهم..

فمن المخطوطات التي تتناول علم الحساب - على سبيل المثال: « الرسالة الشمسية في القواعد الحسابية » لابن الخوَّام عماد الدين عبد الله بن محمد الخربوي، في أوائل القرن الثامن الهجري، و « شرح المقالة العاشرة من كتاب إقليدس » للمؤلف نفسه، وله أيضاً « الفوائد البهائية في القواعد الحسابية »، وفي علم الفلك هناك عدد كبير من المخطوطات، منها « رسالة الإسطرلاب » لأبي الحسين بن العلاء الشيرازي التي رتبها - كما يقول في المقدمة - على خمسين باباً، ويضيف - بعد حمد الله - قائلاً: [... إن الإسطرلاب المسطح أجلّ آلة مستعملة في صناعة النجوم ...].

وفي علم الطب، مخطوطة أبي الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسن المتطبب (٤٩٥هـ) بعنوان « كتاب في الطب » - في ٦٣ ورقة - يقول في مقدمته:

« الحمد لله الذي له في كل ما تأملته العيون دليل يستدل به على حكمته ... ولما كانت العوائق العالمية والحاجات البدنية قاطعة الكثير ممن يهواها بطلب الفضائل، فلهذا توخيت في هذه المقالة الإيجاز.. ».

ولأبي بكر محمد بن زكريا الشيرازي (٣١٣هـ) عدة مخطوطات علمية - منها كتاب « الخواص الطبيعية »، و « نهاية الاختصار في الطب » وللحسن بن الهيثم (٤٣٠هـ) مخطوطات في الهندسة والحساب منها:

■ أهم الأحداث - بعد تدوين الوحي - في عصور الإسلام الأولى.. هو تسجيل جميع الحوادث التي لها علاقة بالرسول ﷺ وبحديثه الشريف.. حيث وُضعت الأسس العلمية المنهجية الدقيقة، وظهرت العناية بتأليف الكتاب. ■

■ نسخة مخطوطة من القرآن الكريم برسم السلطان الفاتح .. ■

■ صفحة من الكتب المخطوطة النادرة التي ترخر بها المكتبة السليمانية ■

■ مكتبات المساجد هي أول نوع من المكتبات عرفه المسلمون ، كانت لا تقتصر على الكتب الدينية المتخصصة فحسب ، بل تشتمل على كتب في جميع أبواب المعرفة .. حينما كان المسجد مكاناً للدراسة بمختلف مراحلها وبمعظم فروعها .

« مقالة في التحليل والتركيب » و « كتاب المعاملات الحسابية » و « مقالة في تمام كتاب المخروطات » و « مقالة في خطوط الساعات » وفي « عمل المسبّع في الدائرة » وفي « كيفية الإظلال » ومقالة في « استخراج سَمْت القبلة » جاء في أولها :

[... كما قد ألّفنا مقالة في استخراج سمت القبلة في جميع المواضع في الأرض ... بطريق الحساب والبراهين ، ثم عدلنا من بعد ذلك استخراج سمت القبلة في جميع نواحي المعمورة الشمالية بطريق مختصر ...] .

ولعلنا نعلم أن هذا المجال من الدراسات العلمية المتخصصة مجال متطور جداً ، وقد قام مؤخراً بعض العلماء المسلمين بمثل هذه الدراسات ووصلوا إلى نتائج أسفرت عن تصميم « **البوصلة** » التي تحدد اتجاه القبلة في القارات الخمس ، غير أننا نعتقد أن هؤلاء العلماء قد قاموا بدراساتهم بعيداً عمّا أنجزه ابن الهيثم ، ولكن مهما كان

■ حينما يجمد التفاعل مع الكتاب ، تتغيّر نظرة الناس إليه ، فيصبح مجرد تحفة يحرص الوجهاء على اقتنائها وحفظها خلف جدران سجون الفكر .. ويقف الكتاب شاهد إدانة بما يصيبه على أيدي أُناس عصر الانحطاط .. ■

الكتاب الإسلامي
دليل نهضة.. وشاهد إدانة

جولة في: المكتبة السليمانية في استانبول

استطلاع

المستوى الذي حققه العلماء المسلمون السابقون ، فإن من الأولى الوقوف على إنجازاتهم ومحاولة متابعة خطواتهم ، وذلك من أجل استعادة أصول المنهج الإسلامي في العلوم الطبيعية والتجريبية وفلسفته ، وهو ما انقطعنا عنه بعد أن أخذنا هذه العلوم من المصادر الغربية والشرقية بمنهجها الفكري وفلسفتها الغريبة عنّا ، ولعل في هذا ما يحدد المفهوم الصحيح لفكرة إحياء التراث والمحاولات القائمة عليها ..

كيفية التعامل

ويتصل بقسم المخطوطات في المكتبة السليمانية قسم التجليد وصيانة المخطوطات وترميمها ، الذي يقود إليه ممر عرضت به أدوات الخطاطين بأنواعها المختلفة ، ويلاحظ أنها غاية في البساطة على عظمة ما أنتجته من أعمال ، ويعمل في هذا القسم خبراء في علاج آفات الورق وصناعة العجين الذي ترمم به المخطوطات المتآكلة وأغلفة الكتب ، وقد أرسلوا في بعثات إلى إيطاليا لاكتساب الخبرة ، وحين اطّلعنا على عدد من المخطوطات التي سبق ترميمها ، كان من الصعب علينا أن نتبين أثر الترميمات ، كما أتقن العاملون في هذا القسم صناعة الأغلفة على نمط الأغلفة القديمة .. وهم أول من يستقبل المخطوطة عندما ترد إلى السليمانية ، فيضعونها داخل جهاز للتعقيم ، ثم يحولون الكتاب بعد صيانته وترميمه إلى قسم الفهرسة .. وبصفة عامة ، تُجرى عملية معاينة عامة على الكتب في شهر مايو (أيار) من كل عام حيث تحال الكتب المريضة إلى المختصين لمعالجتها ، ثم يعاد النظر في الفهارس وتنظم من جديد ..

وقسم الفهارس في المكتبة أنشىء في

■ المكتبة السليمانية .. أنشأها سليمان القانوني ؛ عاشر سلاطين الدولة العثمانية الذي اشتهر بإصدار القوانين في مجال العلاقات الخارجية والأنظمة الداخلية ، وفي مقدمتها نظام التعليم ومعاملة العلماء .

■ لوحة تشكيلية تعبر عن الاحتفال بمناسبة إقامة منشآت منطقة السليمانية ، وقد ظهر الجامع الكبير والمكتبة على ضفة البوسفور . ■

■ إحدى الحجرات التي تحفظ بها كتب المخطوطات بعد ترميمها وصيانتها ، وقد ظهر بجانب احد الأرفف الجهاز الذي يقيس درجات الحرارة والرطوبة التي تناسب الحفظ ■

■ تم ترتيب عرض المخطوطات بنظام روعي فيه التسلسل الزمني والأقدمية التاريخية ، بحيث يمكن الوقوف بسهولة على مراحل تطور الخط العربي ونوعية الورق وطريقة صناعة الكتاب ■

نهاية ١٩٧٩م ، ومقره في السليمانية وإن كان يخضع - إدارياً - لمركز الدراسات العلمية لوزارة الثقافة في أنقرة ، ويقوم هذا القسم بدراسة المخطوطة - علمياً - ثم فهرستها وملء البطاقة الخاصة بها ، وتتضمن : اسم المخطوط ورقمه ومكتبته واسم مؤلفه ، وفقرات من بدايته ونهايته ، ولغته ، وشكل خطه ، وقياساته ، وعدد أسطر صفحاته ، وعدد أوراقه ، ونوع الورق ، وعدد المجلدات ، ووصف هيئة الكتاب ، ومحتواه .. ويوجد لكل كتاب أربع بطاقات ، بطاقة باسم المؤلف وأخرى باسم الكتاب ، وثالثة باسم الموضوع ، وبطاقة عامة تحمل الرقم المسلسل العام للكتاب ..

وفي قسم الفهرسة ثلاثة فروع ، فرع لفهرسة المخطوطات العربية والثاني للتركية ، والثالث للفارسية .. أما الأعمال التي أنجزها منذ إنشائه فهي : فهرسة مخطوطات « **كراسون** » وهي (١٨٢) مجلداً مخطوطاً ، انتهى العمل فيها مؤخراً ، ولعلها صدرت مطبوعة - هذه الأيام - في أنقرة ، والعمل الثاني هو فهرسة مخطوطات « **علي نهاد طالقان** » وتحتوي على (١٩٨) مجلداً - وهي تحت الطبع - ثم فهرسة مخطوطات « **أنطاليا تكلي أوغلو** » وهي مجموعة من حوالي ألف مخطوطة معظمها باللغة العربية ..

وعن أسلوب التعامل مع المكتبة فيما يتعلق بالمخطوطات ، فإنه يُسمح بتصوير المخطوطات داخلياً ، أي ضمن المكتبة ، وذلك بعد الحصول على إذن مسبق من وزارة الثقافة والسياحة في أنقرة ، أما تصوير الكتب المطبوعة فيتم دون حاجة لموافقة الوزارة ، وتمتلك المكتبة أكثر من (٥٠٠٠) ميكرو فيلم لكتب نادرة و(٨٠٠٠) صورة ملونة ، وهي تخضع لنظام البيع المعمول به هناك ..

وقبل أن نختم جولتنا في المكتبة السليمانية - جامعة المكتبات - نتناول واحدة من المكتبات الخاصة التابعة لها في استانبول ، التي غالباً ما تحمل أسماء أصحابها مثل مكتبة « **عاطف أفندي** » التي تقع في منطقة **بايزيد** ضمن أسوار استانبول القديمة .. أما صاحب المكتبة « **عاطف أفندي** » فهو من أصحاب العلم ، شغل عدة وظائف حكومية ، منها وظيفة « **دفتر دار** » أي مدير المالية ، خلَّف ديوان شعر بعنوان « **الديوان المرتب** » وتوجد له بالمكتبة « **مجلة المعارف ومجموعة اللطائف** » ، ويعتقد أن كتاب « **معيار الكلام** » من تأليفه .

وتضم مكتبة « عاطف أفندي » مجموعة كبيرة من المخطوطات النادرة - في مقدمتها مخطوطات للقرآن الكريم - وكتباً لكبار العلماء أمثال : **ابن الجزري والشاطبي والقاري والمقدسي والفاسي والقسطلاني** ، وتوجد بها أمهات التفاسير **للرازي وأبي مسعود العمادي والبيضاوي والقرطبي والزمخشري** ، بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب التي تبحث في مفردات القرآن الكريم ومعانيه وأحكامه وإعرابه : مثل « **إعراب القرآن الكريم** » لأبي البقاء ، و « إعراب القرآن » لابن سمين - في ستة مجلدات ، كما يوجد بها كتاب « **إعراب القرآن** » **لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد السفاتي** ويقع في ثلاثة مجلدات ، وتوجد فيها مخطوطات أصول الحديث ومتونه وشروحه ، وأصول الفقه والفتاوى والفرائض والعقائد ، وكتب في المنطق وعلم الهيئة والحساب والنجوم والجغرافيا ، وكتب الأخلاق والسير والتاريخ الإنساني .. ثم كتب المعاني والبيان والبديع والنحو والصرف واللغات .

وبعد .. فإن هذا الكم الهائل من الكتب والمخطوطات الموجودة في المكتبة السليمانية وملحقاتها الخاصة .. يدفعنا إلى القول بضرورة التفكير بأسلوب أفضل للاستفادة منها ، ضمن الكثير من مصادرنا الثقافية التي لا تزال حبيسة الخزانات والأرفف والألسن الغريبة ..

مناظرات بين
النصرانية والإسلام

يحفظ التاريخ مواقف كثيرة بين دعاة النصرانية ودعاة الإسلام ، وقيام مناظرات بين أولئك وهؤلاء ، كل يبدي وجهة نظره إلى الدينين ، ويؤيد الدين الذي يتبعه .

وأول هذه المناظرات ما كان بين رسول الله ﷺ وبين وفد نجران ، فقد جاء هذا الوفد محتجاً غاضباً لما نمي إليه من أن رسول الله ﷺ قد وصف عيسى بن مريم بأنه بشر وليس إلهاً ولا ابن إله ، وقال رسول الله ﷺ : « نعم ، إنه أخي وإنه عبد الله ورسوله ، وإن الله تعالى لم يلد ولم يولد » ، وتطور الحجاج إلى دعوة للمباهلة ، وفي هذا الموقف جاءت الآيات الكريمة من سورة آل عمران (٥٩ ـ ٦١) :

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ، فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ... ﴾ .

وأصبح رسول الله ﷺ خارجاً إلى الصحراء ومعه الحسن والحسين وأمهما فاطمة الزهراء ومن خلفهم الإمام علي رضي الله عنهم أجمعين ، وقال :

هؤلاء ، هم أهل بيتي ، وأراد أن يقفوا جميعاً مبتهلين إلى الله الخالق أن ينزل نقمته على الكاذب من الفريقين .. ولكن نصارى نجران نكصوا ، وقال قائلهم : تعلمون أن هذا الرجل مؤتى له ، أما والله إن فعلتم ليصيبنكم من الله كذا وكذا ، فنال القوم ذعر ثم انصرفوا ولم يباهلوا **رسول الله** ﷺ ولم يسلموا .

هذا قصص معروف يرويه التاريخ والسير ، كما تذكره كتب التفسير عند الآية السابقة ، ولهذا أوجزته واكتفيت بما ذكرت منه مقدمة للمناظرات الأخرى .

وهذه المناظرات تكررت بصور مختلفة ، وفي أزمنة متباينة من التاريخ ، ومن صورها البسيطة المهذبة ما كان يجري في مجلس **معاوية** ومجلس **عبدالملك بن مروان** ، من مقابلات بين النساطرة أو اليعاقبة وبين المسلمين ، وهي لم تكن ذات صبغة جدية بحيث يراد منها إدخال النصارى في الإسلام أو إقناعهم ببطلان معتقداتهم ؛ على نحو ما كان يحدث بين الشعراء من مهاجاة ومناقضات ، وفيها تجاوز الخليفة الأموي عما حرمه الإسلام من التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والأهلين .

وجرت بين يدي الرشيد مقابلات أيضاً بين رجال النصرانية وعلماء المسلمين ، وكان العصر حينئذ عصر مناظرات بين العلماء والبارزين في كل جانب علمي ، مناظرات بين رجال الكلام ورجال الفقه ورجال النحو وهكذا ، وكانت مناظرات النصارى من هذا النوع..

ولعل أول مناظرة جادة تلك التي جرت بين يدي المأمون بن الرشيد ، فقد كان مثقفاً عميق الثقافة ، وكان ذا دراية بالفلسفة ، وعلم الكلام ، وكان من أنصار المذهب المعتزلي ، ويبدو أنه درس النصرانية أو ألمَّ بمسائلها الكبرى ، وخطوطها الرئيسة ، وقد استدعى مرة بعض القسس من حران وانطاكية ، وجمع بينهم وبين بعض علماء المسلمين ، وأقام بين الفريقين مناظرة شهدها جمع من الناس ، علماء وعامة ، ولم يكن هو فيها إلا مستمعاً ، وقد طالت هذه المناظرة ، ودارت محاوراتها حول شخصية المسيح وبنوته لله ، وخلقه من غير أب ، وحول بعض المسائل الإسلامية أيضاً ، وانتهت بعجز القسس النصارى نهائياً ، ولم يستطيعوا أن يحيروا جواباً ، وعرض عليهم **المأمون** بعد ذلك أن يدخلوا الإسلام فأبوا ، ولكنه لم يحرمهم من الحصول على جوائز مادية ، وكان يخشى عليهم من عدوان العامة ، فأعد لهم حراساً صاحبوهم حتى خرجوا من بغداد ، أو ربما حتى وصلوا ديارهم ، وظل لهذا اللقاء صدى بين الناس لمدة طويلة .

وهذه المناظرة ، كالمناظرة الأولى ، كانت في جو إسلامي وبيئة إسلامية ، ولكن المحاجة بين **رسول الله** ﷺ وبين **وفد نجران** ، قد يكون لها رهبتها من وجود **النبي** ﷺ وقد خشي القوم أن تحل بهم لعنة الله ، أما المناظرة أمام **المأمون** فالقسس فيها أكثر جرأة ، وليس لعلماء المسلمين الذين قابلوهم معجزات ، والأولون نكصوا عن المباهلة ، لكن هؤلاء أوتوا حظاً واسعاً من الحرية ، ومنحوا الوقت الكافي ، ودخلوا في المناظرة ، فسألوا ، وسئلوا ، وأعطوا مهلة للتفكير والرد ، ومع كل ذلك عجزوا ولم يجدوا ما يدفعون به عن أنفسهم .

وهناك مناظرات جرت في بيئات غير إسلامية ، وكان مديروها أو المشرفون عليها غير مسلمين .

ومن هذه المناظرات ما حدث أمام الطاغية التتري « **جنكيز خان** » ، فإن هذا السفاح بعد ما هبط بجيشه الجرار

بقلم : عبد الجليل شلبي

وخيوله السريعة على شرقي الدولة الإسلامية ، وبعد أن جعل مساجد بخارى مرابط لخيله ، وأحرق من مكتباتها ومكتبات مرو وسمرقند غير ما أتلف ، وبعد أن اتجه إلى غربي الصين ، بعد هذا كله ... هدأت ثورته ، وكان وثنياً جافياً غليظاً عديم التمدن ... فلما رأى حضارة الإسلام والأمم الأخرى التي غزاها ، تزعزعت عقيدة الوثنية في نفسه ، وأراد أن يتخذ له ولقومه ديناً من الديانات التي تدين بها هذه البلاد المتحضرة ، وربما كانت البوذية أقرب إلى نزعته الوثنية من النصرانية ومن الإسلام ، ولكنه لم يشأ أن يتخذ له قراراً في ديانات لم يدرسها ، ورأى - ليقف على مدى التفاضل بينها - أن يواجه بين علماء كل ديانة وأخرى ، ليرى لمن تكون الغلبة ، ثم يتبع النحلة المنتصرة ، ويبدو أن البوذية - مع قربها من وثنيته أو ربما لقربها من وثنيته - لم تنل لديه قبولاً كبيراً ، لأنها لا تزيد على نقله من وثنية لأخرى ، فحار بين النصرانية والإسلام ، فاستدعى علماء الديانتين ليتناظروا أمامه ، وكان **جنكيزخان** قد تزوج من نصرانية تركستانية حملته على مضايقة المسلمين ، ومحاربة تعاليمهم خصوصاً ذبح الحيوانات ، وكان أحد أبنائه أيضاً زوجاً لنصرانية ، ولكن واحداً منهما لم يعتنق النصرانية ، ولا اعتنق الإسلام ولا البوذية ، ولكن هذه المناظرات تركت آثارها في أذهان الأسرة الإيلخانية ونفوس الناس جميعاً ، فدخل بعضهم الإسلام سراً ، ومال حفدة **جنكيزخان** إلى الإسلام ، ثم اعتنقوه واتخذوه ديناً رسمياً ، وتروى في هذا الصدد قصة ذات طرافة ، وهي :

أن حاكم بعض الولايات ، أنهى إليه الإيلخان الذي يتبعه أنه قد فكر طويلاً فرأى أن الإسلام هو الدين الصحيح فدخل فيه ، وأنه يطلب أن يفكر بدوره عسى أن يرضيه هذا الدين ، وكان جواب الوالي أنه مسلم من زمن بعيد ولكنه يكتم اسلامه .

وأشهر الحكام المسلمين من حفدة **جنكيزخان** هو **الأمير بركة خان** الذي حكم بين سنتي [١٢٥٦ ، ١٢٦٧م] وكان سيفاً متحمساً للإسلام ، وكان يعاصر ابن عمومته هولاكو التتري ، ولكنه ناصبه العداء وعقد حلفاً مع **القائد المملوكي الظاهر بيبرس** ، وكان مجلس « **بركة** » يغص بعلماء الفقه والحديث والتفسير ، وكان يحفل بالمناظرات الدينية ، وقد صادف أن ظاهرت الأحداث والموازنات بين سلوك المسلمين وسلوك النصارى مناظرات المتكلمين ، فقد شاهد جنوده أعمال النصارى في الشام ، فأثار اشمئزازهم ما فيها من عدوان على الأبرياء وفتك بالضعفاء ، إزاء تسامح المسلمين ورحمتهم ، فنفروا من هذه ومالوا إلى تلك ، ووفد مائتا منهم إلى القاهرة فأحسن السلطان بيبرس استقبالهم ، وأكرم مثواهم ، ودخلوا جميعاً الإسلام ثم كانوا دعاة له .

كان **الظاهر بيبرس** قد جلل **هولاكو** بعار هزيمة ساحقة ، وأجلاه عن الأجزاء التي احتلها من سورية ، ووقع تحت يده أعداد من أسرى المغول ، فلم يسىء إليهم ولم يكلفهم شيئاً شاقاً أو مهيناً .

وقد أرسل إلى الأمير المغولي رسالة مع بعض أتباعه ومعهم بعض المغوليين الذين لجأوا إلى مصر ، فوجدوا جيشه كله على غاية من الصلاح والمحافظة على العبادة . مع كل جندي مصلاه ، فإذا حان وقت الصلاة صلوا جميعاً ، وهم يقرأون القرآن ويعنون بتحفيظه أولادهم الناشئين .

وأرى أن **المقريزي** على ما بدا في حديثه من بهجة وسرور من هذه الحال ، قد أجمل ما كنا نود أن يوليه تفصيلاً أوسع ، فأكبر الظن أن الوافدين على **السلطان بيبرس** تعلموا في الأزهر ، وليته ذكر لنا شيئاً عمن علموهم ، ويبدو أنهم كانوا يعرفون اللغة العربية من قبل ، بدليل أن ذويهم يقرأون القرآن ويحفظونه ...

ومن جميل ما في هذا الموقف أن دعاة النصرانية كانوا قد علقوا آمالاً كبيرة على هؤلاء التتار ، ورجوا أن يجدوا فيهم عوناً على المسلمين ، وأن يكون منهم حرب صليبية تأتي من الشرق ، تعوض ما أخفقت فيه الصليبية التي جاءت من الغرب ، وقد راسلهم البابا أنوسنت الرابع ، والقديس لويس ملك فرنسا ، ولكن رسولهما عاد يصف النساطرة بأسوأ الصفات .

ومناظرة أخيرة. **حدثت في الهند أمام الملك « أكبر المغولي »** ، وكان هذا العاهل قد طلب من علماء الدينين : الإسلام والنصرانية شرحاً لمذهبهم ، وأن يواجه أتباع كل مذهب أتباع المذهب الآخر - وهذه مناظرة قد يطول شرحها - وهي خليقة بهذا الطول ، ولكننا نجملها بذكر خلاصتها ، فقد اهتم بها نصارى الهند ، ولم يشاؤوا أن يواجهوا المسلمين وحدهم ، فسافر مندوبون منهم إلى روما وفرنسا وإسبانيا ، وأعد لهذا اللقاء حشد من اليسوعيين ، ومن الفرنسيسكان والكاثوليك ، وكانت آمالهم كبيرة في تنصير المغوليين تبعاً لمليكهم الذي طلب هذا اللقاء ؛ فلما تلاقى الجمعان كان الحشد الذي حضر لشهود المعركة حشداً هائلاً كبيراً ، ومن مختلف الديانات ، وما أكثرها في الهند ، وأخذ **أكبر** يلقي أسئلته أولاً ويتلقى إجاباتها ، ثم تركهم يواجه كل منهم الآخر ، وفي نهاية الموقف أعلن إسلامه ، وقال : **إنه يعتقد أن الإسلام هو الدين الصحيح** ، ولا تعطينا المراجع التاريخية تفاصيل ما دار في هذا اللقاء ولا عدد الأيام التي استغرقها ، ولكن المنصِّر الانجليزي الكبير - صاحب « **تاريخ الإرساليات النصرانية** » يقول :

« ... **إن الملك أكبر كان مشبعاً بالإسلام من قبل ، وإنه لم يحاول أن يتفهم النصرانية** ... » ، وإذا صح ما يقوله فلا ندري لماذا دعا كبار القسس ، وتريث حتى وصلوا من أوروبا ولم يعلن إسلامه إلا بعد شهود المناظرة ؟!

هذه مشاهد تاريخية يرويها المسلمون وغير المسلمين ، وهي في كتب الأوروبيين والمنصِّرين على الأخص - ذكرتها إلى جماعة « **المدعين في محكمة الحق** » - وهم جماعة تنصيرية مستحدثة قامت في استراليا وتزاول نشاطها التنصيري في عديد من أقاليم الشرق الأوسط والأقصى .

المنطقة النقدية الإسلامية

■■ ليس من التجاوز القول بأن النظام النقدي الدولي المعمول به حالياً لا يتناسب ومصالح الدول النامية التي منها أقطارنا، بل انه على العكس من ذلك يعتبر وسيلة هامة من وسائل الدول المتقدمة لاستغلال الدول النامية، ذلك أن الدول الغربية المتقدمة صناعياً هي التي تتحكم في أسواق النقد وأسواق المال العالمية، تلك الأسواق التي يخطىء من يظن أن العمل فيها يجري لمصلحة الدول النامية، فإن هذه الأخيرة تضطر إلى دفع تكاليف باهظة وإلى النزول على شروط صعبة في مقابل ما تحصل عليه من خدمات المؤسسات المالية والنقدية العالمية. ■■

بقلم: محمد فوزي حمزة

موازين المدفوعات وتقلبات أسعار الصرف

ولنأخذ مثالاً على ذلك تلك الخسائر التي تلحق بالدول النامية - ومنها الدول الإسلامية والعربية - نتيجة التأثر الذي يلحق دوماً بقيمة ما لديها من الاحتياطي النقدي من جراء التقلبات المستمرة في أسعار الصرف، وكثيراً ما لا يكون لهذه التقلبات من سبب إلا المضاربات النقدية العالمية التي تباشرها الدول الصناعية المتقدمة لتخدم بها مصالح عُملاتها، إذ الغالب أن الدول النامية - ومنها الدول العربية والإسلامية - تستخدم عملات بعض الدول الكبرى كعملات احتياطية عالمية، وهو الأمر الذي يمكن الدول الكبرى من إحداث هزات كبرى في الأوساط المالية عندما تلجأ إلى زيادة السيولة النقدية فتوفر بذلك سبباً رئيساً من أسباب التضخم الذي نَدُرَ أن تشقى بويلاته غير موازين المدفوعات بالدول النامية، وما يترتب عليه من آثار ضارة على اقتصادياتها ومواطنيها.

التأثير المالي والضغط السياسي

ذلك في الوقت الذي لا يتاح فيه للدول النامية إلَّا تأثيراً طفيفاً جداً في سياسات الصندوق الدولي للنقد والمصرف الدولي، كما لا يتاح لها أي دور في قرارات هاتين المؤسستين فيما يتعلق بالقيمة الاسمية لمختلف العملات، أو فيما يتعلق بغيرها من السياسات والأوضاع النقدية التي تتأثر بها اقتصاديات الدول النامية أبلغ التأثير.

وفي الوقت الذي يمارس فيه المصرف الدولي والصندوق الدولي للنقد تأثيراً فعالاً على الدول النامية ويستخدما قواهما - كمؤسسات عملاقة - في التحكم بهذه الدول، فإن أيّاً منهما لا يستخدم مطلقاً هذه القوى في التأثير المالي على الدول الغربية المتقدمة، رغم أنه يستطيع ذلك.

وإنما على العكس تخضع قراراتهما لتحكم هذه الدول، بمعنى انه لا يشعر بالحرج أن يسخر قواه المالية لخدمة أهداف الدول الكبرى عندما تزمع هذه الأخيرة ممارسة سياسات مالية واقتصادية على حكومات الدول النامية، تهدف من ورائها إلى توثيق الأربطة حول أعناق هذه الحكومات؛ لتسير معها في أفلاكها الاقتصادية والسياسية وغيرها.

الحاجة إلى تنسيق السياسات المالية .. بل وتوحيدها

لهذا كله فإن الواجب على الدول الإسلامية أن تعمل على احتذاء سياسة نقدية ومالية منسقة؛ عملاً على إصلاح موقف النظام النقدي الدولي منها؛ باعتبارها تعد في جملة الدول النامية التي تتخذ منها سياسات هذا النظام الدولي موقفاً سيئاً للغاية. أقصد احتذاء سياسة تؤدي إلى إبطال فاعلية التأثيرات الضارة التي تعود على موازين مدفوعاتها بالضرر نتيجة للسياسات النقدية والمالية والدولية، أو إضعاف قوة هذه التأثيرات على الأقل.

والدول العربية والإسلامية - باستخدام ما لديها من أرصدة مالية ضخمة - تستطيع أن تؤثر تأثيراً قوياً على النشاط المالي العالمي، بيد أن هذا يتطلب دراسة وافية لعمليات النظام الدولي للنقد، وعلى ضوء هذه الدراسة يمكن اتخاذ موقف موحد يضمن لها دوراً فعالاً في سياسات المؤسسات المالية والنقدية الدولية.

الوضع المقلوب

إلا أن بلادنا لما لم تكن تملك القدرة العلمية ولا الفنية، ولا الدرجة من الوعي التي تتيح لها توظيف أموالها - بكفاءة - في أراضيها. فالجاري أنها تفضل اختصار الطريق بإيداع هذه الأرصدة مصارف الدول الكبرى، فيمكن بصورة ما اعتبار هذه الإيداعات بمثابة قروض تمنحها الدول النامية إلى الدول المتقدمة التي تستفيد أكبر فائدة من إعادة توظيفها في الأسواق المالية العالمية، بإعادة إقراضها - مرة أخرى - للدول النامية التي تتناسب مع شروطها لجدارة الحصول على قرض، وطبعاً بالعائد الذي يحقق فائدة أكبر، ودائماً بإضافة التوجيهات السياسية إلى مبررات الإقراض.

وهذه العملية هي الوضع المقلوب الذي يرجى تغييره، فهي ليست إلا طرحاً للموارد من إمكانات الدول النامية - ولو ككل - وإضافتها إلى إمكانات الدول المتقدمة، ويبدو أن الدول الإسلامية قد أحست بإلحاح الحاجة إلى تغيير هذا الوضع المقلوب، وقد عبرت عن هذا الإحساس الدراسات التي أجريت في المحافل العلمية والأوساط القيادية.

فمثلاً أكد مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية في كوالالمبور (جمادى

والمصرف المركزي الإسلامي

الآخرة ١٣٩٤هـ ـ يوليو [تموز] ١٩٧٤م) على ضرورة احتذاء سياسة مالية تحقق ضمان القيمة الحقيقية للأرصدة النقدية : وزيادة الموارد المنقولة من الدول الإسلامية الغنية إلى الدول النامية ، وتحويل جزء من السيولة النقدية إليها ، وكل ذلك لضمان اشتراكها في اتخاذ القرار ، كما أكد مؤتمر وزراء الخارجية بجدة (رجب ١٣٩٥هـ) على ضرورة الترتيب لإنشاء المنطقة النقدية الإسلامية ، وأقيمت فعلاً بعض المحاولات الجماعية مثل (المصرف الإسلامي للتنمية) الذي أنشأته في جدة الدول الإسلامية .

وفي نطاق الجامعة العربية نوقشت مسألة الصندوق النقدي العربي في مجلس محافظي الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي ، كما نوقشت في مجلس الوحدة الاقتصادية وفي الإدارة العامة للشؤون الاقتصادية بجامعة الدول العربية .

وهذه أهداف يمكن تحقيقها بإيداع الدول العربية والإسلامية فوائض أموالها في مصارفها الوطنية ، الأمر الذي يستلزم التوسع في إنشاء المصارف الإسلامية حتى يمكنها استيعاب هذا الفائض ، ويستلزم في الوقت ذاته تنمية قدراتها إلى الحد الذي يمكن من توظيف هذه الأموال بطريقة تحقق مالياً الاكتفاء الذاتي بين مجموعة الدول الإسلامية ككل ، وتحقق في الوقت ذاته الأرباح التي ينتظرها المودعون .

المصرف المركزي الإسلامي

ولا شك أنه من المفيد هنا إنشاء مؤسسة مصرفية إشرافية ؛ تتولى مهمة الإشراف المركزي على مجموعة المصارف التي ستوكل إليها المهمة نحو تنفيذ السياسة المالية والنقدية المرجوة ، وهذه المؤسسة ستكون ـ بالنسبة للمصارف والمؤسسات المالية الإسلامية العاملة في الكتلة المالية المنتظرة ـ بمثابة المصرف المركزي الوطني بالنسبة لبقية الهيكل المصرفي في الدولة الواحدة ، وسوف تقوم هذه المؤسسة المالية بالتنسيق بين أعمال مختلف المصارف الإسلامية ، والتوجيه ـ بالطرق المالية ـ إلى مناطق الاستثمار في الدول الإسلامية ، كما أنها ستقوم بالمراقبة للسياسات الائتمانية ؛ حتى

> ■ إن البلاد الإسلامية لم تكن تمتلك القدرة العلمية ولا الفنية التي تتيح لها توظيف أموالها فتختصر الطريق بإيداعها في مصارف الدول الكبرى التي تعيد توظيفها في الأسواق المالية العالمية بإعادة إقراضها مرة أخرى للدول الإسلامية بالعائد الذي يحقق فائدة أكبر إلى جانب التوجهات السياسية ، فلا بد من تغيير هذا الوضع المقلوب . ■

لا يترتب عليه نوع من التضخم أو البطالة يكون من نتائجه الإضرار ببعض هذه الدول أو بها جميعاً .

هذا فضلاً عن أن هذه المؤسسة ستستطيع ـ بالتأكيد ـ أن تجعل من المصارف الإسلامية الخاضعة لإشرافها كتلة مالية ، تشبه كتلة الدول العشر الغنية التي تؤلفها دول غربية ، وتتحكم عن طريقها في الأسواق المالية ، وإذا نجحت هذه المؤسسة في دورها هذا ؛ فإن هذه الكتلة المالية الإسلامية ستستطيع أن تمثل في الأوساط المالية والنقدية العالمية الثقل الذي يجب أن تمثله مجموعة من الدول تعادل ثلث دول العالم تقريباً .

الاصطدام الضروري بأضرار النظام النقدي الدولي

ولا تسلم أغلب الدول الإسلامية من التعرض لمواجهة مع النظام النقدي العالمي ، عندما تلجأ إلى صندوق النقد الدولي للحصول على قروض قصيرة الأجل من أجل تقويم الأوضاع في موازين مدفوعاتها ، وكثيراً ما تزيد مدة هذه القروض عن السنة الواحدة إذ قد تنشأ الحاجة إليها بفعل الصفة الموسمية لحاصيلها ـ الزراعية أو التعدينية ـ ، أو لتقصير طارىء في المحصول ، أو نتيجة لتضخم أسعار الواردات مع بقاء أسعار الصادرات على ما هي عليه ، أو مع ارتفاعها بدرجة لا تجاري الارتفاع في أسعار الواردات ، وقد نشأ لدى هذه الدول الحاجة إلى الاقتراض نتيجة معطيات عارضة تطرأ على السياسات الاقتصادية لم يكن معمولاً حسابها عند التخطيط ، أو لقصور عند وضع هذه السياسات في التنبؤ بآثارها على موازين المدفوعات .

ثم لا تكون النتيجة سوى اضطرار هذه الدول إلى مواجهة اللجوء إلى النظام النقدي العالمي بما يحمله من أضرار يصدرها إلى مركزها الاقتصادي ، وتجد نفسها ـ ساعتئذ ـ ولا مندوحة لها من النزول على شروطه الصعبة ، إذ أنها ليست فقط لم تعد تحتفظ بمستوى جدارتها للحصول على الائتمان ، ولكن أصبحت أيضاً لا تجد ما تسير به جهازها الإنتاجي الداخلي ، وربما ولا حتى ما تسير به جهازها الإداري الداخلي ، بل .. وقد يكون متعذراً عليها توفير المتطلبات الأساسية للاستهلاك .

المنطقة النقدية الإسلامية

من أجل هذا فإن الحاجة تدعو إلى تكوين تكتل مالي بين الدول الإسلامية ، كمنطقة نقدية إسلامية مثلاً ، أو سوق مالية إسلامية ، وهذه مسألة نستطيع إن نقول أن خطواتها العملية قد بدأت بالفعل بعد نشوء المصارف الإسلامية في بعض أقطارنا ، بمعنى أن فكرة إنشاء مؤسسة مالية إشرافية سوف تجد عند طرحها أرضية عملية أو مستوى من التنفيذ ، ولم يبق إلا أن يعمل القائمون عليه من أجل استكماله والسير به نحو بنية الهيكل المطلوب ، وهو الأمر الذي يعزز الاقتراح المطروح بإنشاء مؤسسة مصرفية مركزية ، كمجلس للمحافظين ، أو مجلس للائتمان ، يعمل على تنفيذ هذه الكتلة ، أو هذه السوق المالية الإسلامية ، مستفيداً بما تأسس بالفعل أو يتم تأسيسه من مصارف إسلامية .

الطريق إلى محمد صلى الله عليه وسلم

إني لَحاسِرُ رأسي ، غَيرُ مُنْتَعِلِ ... حادٍ لَكَ التَّوقَ ، لم أَرْجِعْ ، ولم أَصِلِ
مُسافِرُ فيكَ ، غادٍ عنكَ في سَفَرِ ... حلِّي لَديْكَ - لدى الآفاقِ - مُرْتَحَلي
لي في أعاليكَ يُنبوعٌ هَمَمْتُ لَهُ ... لٰكِنَّ رِجْلِيَّ في مُسْتَنْقَعِ الوَشَلِ
مَطِيَّتي ، خَيلُ أحلامي أُجامِحُها ... وصاحبايَ : زَميرُ الرِّيحِ ، في الأَسَلِ
أُدني إلى الأرضِ أُذْني ، أقتفي أثَراً ... لَوْ يَصْهَلُ الرملُ بالخَيَّالةِ الأُوَلِ
لكنَّني آجتثَّني التَّاريخُ ناحيةً ... لَمَّا عقدتْ زُؤانَ الصَّيفِ في السَّبَلِ
مُلْقىً أنا ، مَيِّتٌ ، حيٌّ ، تَنازَعُني ... يدي إلَيْكَ ، وأَيْدٍ جَمَّةُ الغِيَلِ
غَمدتُ جذعي ببطنِ الصَّخرِ أوثِقُهُ ... فانبتَّ ، خذني إلى بستانِكَ الخضِلِ
أنْتَ الرَّسولُ ، وإنِّي خارجٌ لِغدٍ ... - من غَيْمِ أمْسِكَ - وافي الغيثِ مُنْهَمِلِ
آنستُ نارَكَ في الظَّلْماءِ آنَ خَبَتْ ... علىٰ مَدارِ الدُّجىٰ كَذَّابةُ الشُّعَلِ
إنِّي لَوارِدُكَ السُّقيا على عَجَلِ ... وَصادِرٌ عَنْكَ بالرُّؤْيا على عَجَلِ
خَلَّفْتُ أهلي بأعلىٰ القدسِ مُطْفَأَةً ... جِراحُهُم ، مَنْ أَضأْنَ الكونَ من جَبَلِ
وَجُزْتُهُم في لظىٰ سيناءَ ، أعْيُنُهُم ... مقروحةٌ في دخان الجِنِّ والخَبَلِ
وآمْتَصَّ شريانَ قلبي شِدْقُ غاشِيَةٍ ... وَسُدَّتِ الأرْضُ ، مِن خلفي ، ومِن قُبُلي
فأَذَنْ بزيتونةٍ قُدْسِيَّةِ المَثَلِ ... تُضيءُ مِشْكاتُها في جفنيَ السَّمِلِ
﴿ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ ﴾ ، بَلْ ... يُوحىٰ إليَّ جِهادُ الصَّبْرِ والعَمَلِ
آتيكَ أنْتَ ، أُنادي خَلْفَ أزْمِنَةٍ ... ما بيننا ، وسَوافٍ وَعْرةِ السُّبُلِ
خَلَّفْتُ جِلدةَ وجهي فَوْقَ عَوْسَجَةٍ ... ورايتي في عجاجِ الرملِ ، والرَّمَلِ
وعارضٍ ليَ بالأحقافِ خاتَلَني ... عن وابلِ الأُفْقِ ، في أُفْقٍ مِنَ الوَبَلِ
مَزَّقتُ في « آللاتِ » صَدْري أَسْتَغيثُ بِهِ ... فما تَغَيَّثْتُ من « لاتٍ » ولا « هُبَلِ »
ولا « آلغرانيقُ » أغْنَتها شفاعتُها ... في يَوْم « .أبرهةٍ » عنها ، فتشفعَ لي
صَلْفاءُ مُعْوَجَّةٌ أنفاً ، وأَعْرِفُها ... واغيرةَ آلنُّصُبِ الأزْلام إن أَقُلِ
بلىٰ أقولُ ، هي الأوثانُ ألعنُها ... وآلنَّافحينَ بَخُورَ القاتِ والبَصَلِ
أعلى العَلِيِّينَ مَنْ فيهم ؟ ، فَأُنبِئُهُ ... أَحَقُّ واللّهِ في جَنبيكَ سيفُ علي
هُم أَمْنَعُ الصَّخرِ أن تَندىٰ جباهُهُمو ... وَأَطْيَعُ العيرِ متنَ العارِ ، والذُّلُلِ
مَنْ أعطَوا الوَحْشَ سُلْطاناً ومقدرةً ... فانظر قرونَهمو في ربقةِ الحَمَلِ
﴿ لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ ... لَكانَ خَيراً لَهُمْ ﴾ من مُوبِقِ الدَّجَلِ
آتيكَ أنْتَ ، وما خَلَّيتُ من أُفُقٍ ... إلَّا رَكَزْتُ عَلَيْهِ رايةَ الفَشَلِ
آتيكَ ، دونَ جيادٍ لي مُطَهَّمَةٍ ... مُذْ أن تَعَلَّيْتُ آلامي ، إلى أملي
كُن عودتي في خيام الحزن أنشرُها ... خضراءَ ألويةٍ ، خفَّاقةَ الجَذَلِ
كُن شُعْلَتي في ضلوع الليلِ أُوغِلُها ... كُن غيمتي فوقَ قَحْطِ الرّوحِ ، وانهمِلِ
كُن هِمَّتي عند هَمِّ الحقِّ أطْلُبُهُ ... كُن أُمَّتي يوم أن جَلَّت على الجَلَلِ
كُن في ربيعِكَ عَوْداً خالداً ، وعلى ... نَقْعَ الميادينِ رِفْدَ النُّورِ والأَمَلِ

أَم اليتيمُ يتيمُ الدَّهْرِ ، لا عَقِبٌ   رُحماكِ يا أُمَّةً وَحمىً ، بلا حَبَلِ !!
وما أُنَبِّيكَ ، لا الأقصى بِذي سَبَبٍ   ولا المَلأ الأعلىٰ بِذي رُسُلِ
تَبَدَّلَتْ سِحَنٌ أُخرىٰ بِساحَتِهِ   إلَّا دُجىً ما لـه في الأفْقِ مِن بَدَلِ
إلَّا النُّقوشُ على التِّيجانِ من ذَهَبٍ   حالَ النَّهارُ على الدُّنيا ، وَلَمْ تَحُلِ
وَصِرتُ ربَّ صباباتٍ ، وَصَيْرَفَةٍ   أَلَن يَكيلَ إليَّ اللصُّ ، إن أَكِلِ
وفي المَغارَةِ طِفلُ الرُّوحِ شاخِصَةٌ   عَيْناهُ في مَوْعِدٍ آتٍ على الطَّفَلِ
أَمَّاهُ يا أُمَّهُ ، حُبَّاً وَمَرْحَمَةً   صُوغي لِفَوْدَيْهِ تاجَ الشَّمْسِ والقُبَلِ
وَآحِثي رمادَكِ يا « كنعانُ » نازعةً   في الله ، مِن جَدَلٍ أعلىٰ ، إلى جَدَلِ
آتيكَ أنت ، بلا دربٍ ، يخاتلني   عنكَ السَّرابُ ، وموجُ الزَّيْغِ والزَّلَلِ
ولو تناوبتُ دربَ القدسِ في « عُمَرٍ »   ما كانَ عبدي قضىٰ نَحْباً ، ولا جَمَلي
لٰكِنْ عَطَفْتُ على الأنباطِ راحِلتي   لأبْلَقٍ جاهليِّ النَّقشِ يَرجِعُ لي
خزائني فيه صُوَّانٌ ، وآلهتي   أَهَشُّ من رَنَّةِ الفَخَّارِ في القُلَلِ
عُدْتُ الشَّقيَّ على رَسْمٍ أُماحِكُهُ   وعاجَ غيري على زُوَّادتي بَدَلي
وَيَوْمَ أَترعتُ كأسي من طِلَىٰ صَنَمٍ   ضَيَّعتُ رأسي خَواءً ، وهو لم يَزَلِ
ضَيَّعْتُ في « إرَمٍ » ألفاً أُضَيِّعُها   بَرِّيَّةَ السمنِ ، والتَّاريخِ ، والعَسَلِ
ضَيَّعْتُ ، ضَيَّعْتُ ، لا أُحْصي نُثارَ يدي   طائيُّ قَفْرٍ أُداري قِيلَةَ البُخُلِ
ضَيَّعْتُ - عن غَنَمي بالأمْسِ - أَدْعِيتي   وَأَنْجُمي في بهيمِ اللَّيْلِ - عن إبلي
بي - بَعْدُ - ذاكَ الَّذي هَدَّمتَ خيْمَتَهُ   الوائِدُ النسوةِ ، الباكي على طَلَلِ
الضَّائِعُ ، الأشْعَثُ ، المُغْبَرُّ من سَفَرٍ   في غَيْرِ ما سَفَرٍ يوماً ، ولا نُزُلِ
آتيكَ أنتَ ، بأَصفادي وَأَجْنحتي   فِصامَ حَدِّ الرَّدىٰ ، والنَّشرِ ، في رَجُلِ
وَلَو تَقَرَّيْتني أَلْفَيْتَ في جَسَدي   غيري ، وخِلتَ بثغري أيَّ مُنْتَحِلِ
ما أَعْلَمُ النَّبضَ في قلبي ، أَدفُقَ دمي   أم دأبَ ناعورةٍ دَوَّارةِ المَلَلِ
تَقَطَّعَت بي عُرىً ، مِن أَيْنَ أُوثِقُها   إن لم أَصِلْ بكَ أَشْلائي وَلَمْ تَصِلِ
بي منك - أَعْلَمُ - هامٌ غير خافضَةٍ   فلا تقل بكَ منِّي لَفْتَةُ الخَجَلِ
يَتيمَ مَكَّةَ ، ما يُتمي تُرابَ أَبٍ   يُتْمي ترابُ آلمدىٰ ذي السَّهْلِ والجَبَلِ
إخالُ لي وطنَ الدُّنيا وَجَنَّتَها   وَلَيْسَ لي فيهِ حتَّىٰ حفرةُ الأَجَلِ
وما نَكَصْتُ بلا وجهٍ ، بساحِ وَغىً   حتَّىٰ عدا قبليَ المَنْحوتُ في بَطَلِ
قد جانَبَ السَّيْفُ لَحمي ، في الوَغىٰ ، وَدَمي   وَحَزَّني السَّيْفُ في روحي ، وفي مُثُلي
إنِّي لَحاسِرُ رَأسي ، غيرُ مُنْتَعِلٍ   حادٍ لَكَ التَّوقَ ، لم أَرْجع ، وَلَمْ أَصِلِ
قُمْ داوِني كرمةً عُلْوِيَّةً وَرُؤىً   لَقَد سَئِمْتُ حُواةَ السَّيْفِ والعَذَلِ
هَمِّي لَدَيْكَ ثُمالاتٌ مُعَتَّقَةٌ   يُرعِشْنَ فِيَّ جَنانَ الغائِبِ الثَّمِلِ
أَفِضْ خوابي « حِراءٍ » من عَرائِشِها   وَصُبَّ في الليلِ ضوءَ الله في المُقَلِ

شعر : يوسف الخطيب

في أفغانستان:

محاولة الحسم العسكري ومأزق الحرب الطويلة

أكثر من حوار

■ برهان الدين رباني :
لينين خدع الأفغان في الماضي .. ■

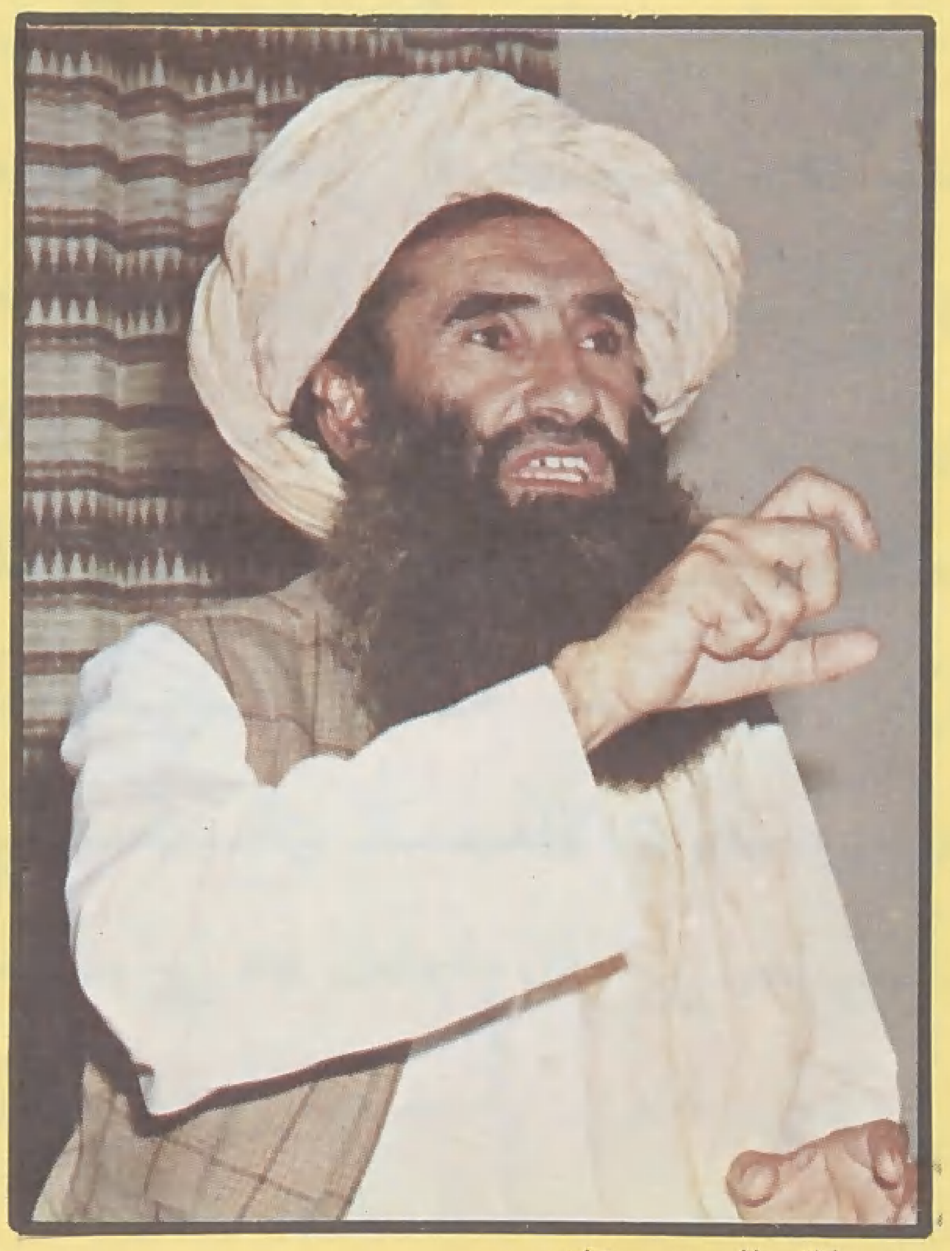

■ جلال الدين حقاني :
الروس يحاولون ما سبق أن فشل فيه الانجليز ■

■■ قبل خمس سنوات ، اتخذ الكرملين قرار غزو أفغانستان والدخول بقواته - في السابع والعشرين من ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٩م - بهدف معلن هو القضاء نهائياً على ما أسماه حركة التمرد التي تتزعمها بعض جماعات من القبائل ضد السلطة الشرعية - على حد تعبيرهم - وتحقيق الاستقرار والقوة للنظام الشيوعي هناك ..

وإذا كان الهدف الاستراتيجي هو إيجاد النظام الشيوعي التابع لروسيا في أفغانستان ، فإن التقدير التكتيكي لمدة بقاء قواتها هناك كان يتراوح بين ستة أشهر وسنة على الأكثر .. ونستطيع أن نؤكد أنه لم يكن يخطر ببال أحد في مجلس السوفييت الأعلى - ساعة اتخاذ القرار - أن تضطر القوات الروسية للبقاء خمس سنوات - حتى الآن - ودون أن يتحقق الهدف النهائي - (تتكلف روسيا ٢٫٧ مليار دولار سنوياً حسب تقدير وكالة المخابرات الأمريكية) - مات خلالها ثلاثة من كبار أعضاء المجلس وزعمائه : «بريجينيف» ، و «أندروبوف» ، ووزير الدفاع المارشال «أوستينوف» ، والرابع - الزعيم الحالي «تشرننكو» - يعاني انتفاخاً في الرئتين وقصوراً خطيراً في النطق ، ولا يظهر في مكان عام منذ ديسمبر (كانون الأول ١٩٨٤م) .. ■■

■ الروس يستعملون في أفغانستان الأسلحة المعدة لمواجهة حلف الأطلنطي ولا يزالون عاجزين عن السيطرة العسكرية . ■

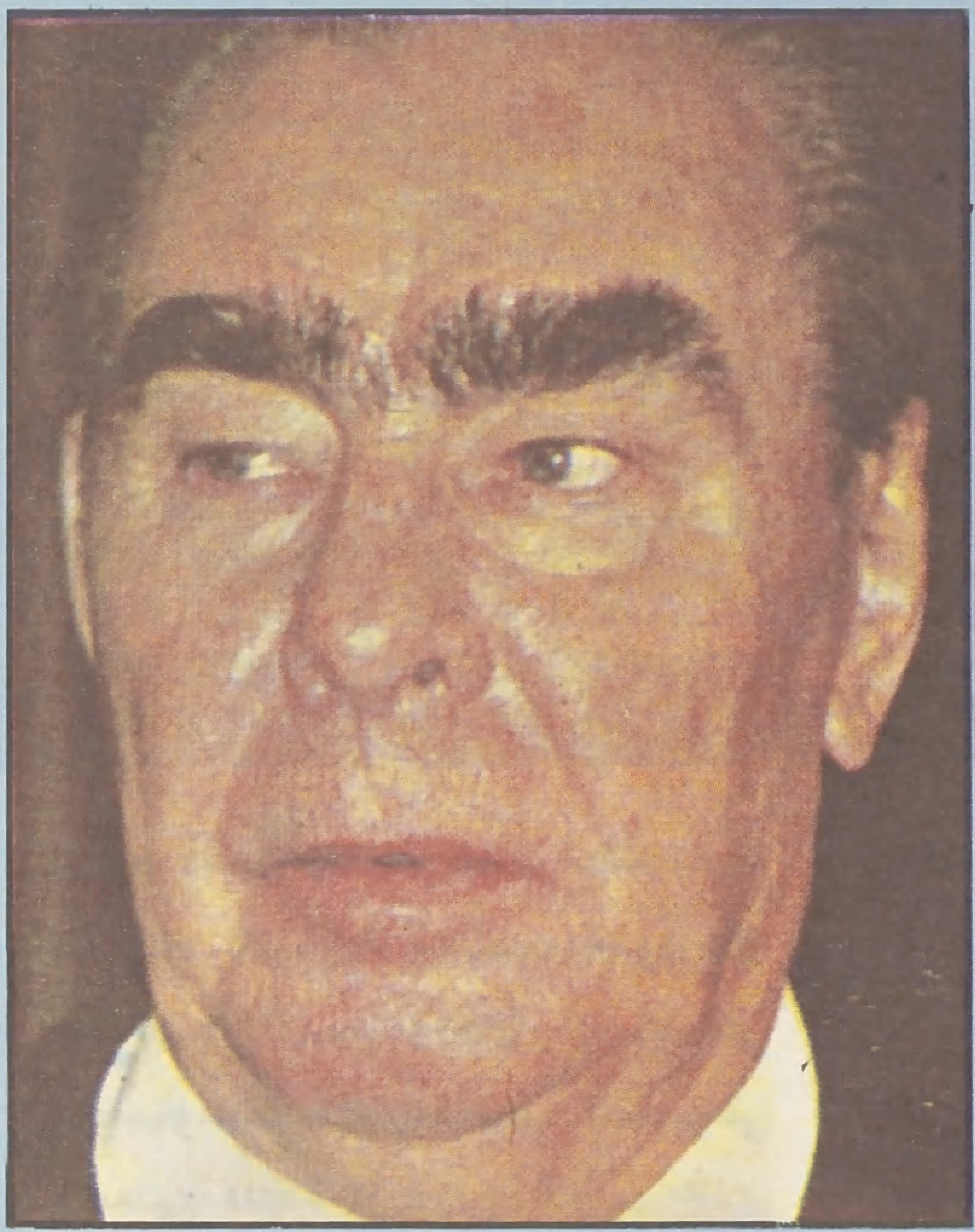

■ بريجنيف .. كان يعتقد ان الحل العسكري سيتم في ستة أشهر ، وايده الجنرالات الذين حاربوا في تشيكوسلوفاكيا والمجر . ■

وقد جُربت خلال هذه السنوات الخمس سياسات ، وتبدَّلت اختيارات ، لمحاولة حسم القضية ، تمتد بين ممارسة أساليب الحل العسكري السريع ؛ بتكثيف الهجمات العنيفة على معاقل المجاهدين وعلى مناطق الحدود وتشديد الإجراءات القمعية ضد المدنيين ؛ وبين ممارسة أساليب المخابرات ؛ بمحاولة اختراق صفوف المجاهدين وكسر العزلة الأيديولوجية واستمالة المدنيين والتلميح باحتمالات التوصل إلى تسويات مع بعض الأطراف ، وإعلان حالات من الهدنة المؤقتة ..

غير أن المحصلة النهائية لهذه السياسات هي أن السوفييت لا يزالون ـ حتى الآن ـ عاجزين عن السيطرة عسكرياً ، إلَّا على المدن الرئيسة ومحاور الطرقات ، كما أن المجاهدين لا يقتصر تحركهم على مواجهة الهجمات ، بل يهاجمون عمق قواعد السوفييت ومؤسسات السلطة في كابول ، وقواتها التي تعاني حالة شلل ، وينزلون بها خسائر كبيرة بشرية ومادية (٨٥٠٠ قتيل و ١٦٥٠٠ جريح) ..

هـذا ؛ وعلى صعيد الموازنات الدولية ، فإن الغرب ـ الذي كان قد هدد في يوم ما بأن الاحتلال السوفييتي لأراضي أفغانستان سيكون حجر عثرة أمام سياسة الوفاق الدولي ـ **أصبح يرى أن الحاجة تدعو إلى بقاء الصراع واستمراره تحت درجة معينة ، لإنهاك المسلمين ووضع الاتحاد السوفييتي في مازق** ، وعلى ذلك فإن ورقة الإدانة الغربية لن تتحول في يوم من الأيام إلى أداة للضغط .

ويبدو أن الأوضاع ـ في بداية السنة السادسة ـ تسير في اتجاه لا يحمل في طياته حسماً عسكرياً قريباً .. حيث بات زعماء الكرملين يراهنون على عامل الوقت واستنزاف المجاهدين ، ويقنعون أنفسهم أنه بإمكانهم كسب الحرب ، ويتعللون لمواطنيهم بأن الأمر قد تطلَّب أكثر من عشر سنوات لإخماد المقاومة الإسلامية ضد الحكم السوفييتي في الجمهوريات الإسلامية وسط آسيا بعد استيلاء الشيوعيين على السلطة عام ١٩١٧م .

ولا يتوقع أحد في موسكو نهاية قريبة لمقاومة المجاهدين الأفغان ، ولذلك قاموا بالاستعداد لمواجهة مأزق الحرب الطويلة برصد نفقات الحرب ضمن الخطة الاقتصادية القومية السوفييتية لفترة السنوات الخمس التي تبدأ عام ١٩٨٦م ـ **وتدور في رؤوسهم مخططات لمصير أفغانستان لتحويلها إلى جمهورية تخضع لسيطرة الاتحاد السوفييتي على حدوده الجنوبية ، وينشطون بمختلف الوسائل لإحداث التغييرات المطلوبة داخل أفغانستان لتحقيق هدفهم ، بما في ذلك اتباع أشد أنواع البطش والقسوة ، وارتكاب المجازر ضد التجمعات الريفية لإرغام أفرادها على الهجرة وترك أراضيهم وهو ما يعرف بسياسة الأرض المحترقة ..**

في أفغانستان:

محاولة الحسم العسكري ومأزق الحرب الطويلة

■ حكمت يار .. انفجار أمام مقر قيادته لإحداث الفتنة بين صفوف المجاهدين ■

كما تشمل تلك الوسائل أيضاً تغيير المناهج التربوية والتعليمية وإرسال عشرات الآلاف من الأطفال والشباب إلى موسكو لتلقينهم المذهب الشيوعي وجعلهم قاعدة للمجتمع الجديد الذي يريدون إقامته في أفغانستان ...

وعلى الجانب الآخر ، فإن المجاهدين الأفغان يواصلون خوض الحرب الطويلة ببسالة ، مصممين - ليس فقط على إرغام القوات السوفييتية المحتلة على الانسحاب ، وإنما على إسقاط نظام الحكم الشيوعي في كابول ، وإعادة الوجه الإسلامي للمنطقة ...

في هذه المرحلة الحرجة من الصراع الدائر على أرض أفغانستان المسلمة ، في بداية سنته السادسة بين قوى غير متكافئة ، قوة الجيش السوفييتي الذي يمتلك إمكانات حرب النجوم ويتفاوض حولها الآن ؛ تسانده القوات الحكومية الأفغانية وبين مجموعة من الأفراد يتسلحون بما يستولون عليه من عدوهم وبالبنادق العتيقة التي قد يعود تاريخ بعضها إلى زمن الحرب العالمية الثانية .. ويتسلحون - قبل ذلك - بعقيدة الإسلام .. وبهدفها الأسمى .. إعلاء راية **لا إله إلَّا الله** .. في ظل هذه الظروف ، نجري أكثر من حوار مع اثنين من قادة الجهاد الإسلامي في أفغانستان **برهان الدين رباني الرئيس السابق للجنة العسكرية في اتحاد المجاهدين ، وجلال الدين حقاني نائب القائد العام للثورة الأفغانية ..**

■■ **في البداية .. طرحنا للحوار فكرة التبدلات التي طرأت على صورة الغزو السوفييتي وبالتالي على واقع المقاومة ، بعد تسلم تشرننكو السلطة بوفاة أندروبوف ، حيث يمكن أن نعتبر الرئيس الجديد أحد الذين كانوا وراء خطة غزو أفغانستان في زمن بريجنيف ..**

يقول برهان الدين رباني :

— من المعروف أن هذا الرجل - تشرننكو - له سوابق إجرامية في حرب المسلمين منذ زمن بعيد ، فحين كان جندياً في الجيش الروسي ، كان يحارب المسلمين في تركستان وأزبكستان وغيرهما من الجمهوريات الإسلامية ، وظل مدة طويلة يلاحق الحركة الإسلامية التي أسموها « **باسمتشي** » أي حركة المتمردين في الاصطلاح الروسي ، **وهم مجاهدون ، كانوا يقاتلون الروس منذ العهد القيصري إلى العهد الشيوعي** .. ونال « **تشرننكو** » المناصب المختلفة مكافأة على الهجمات التي كان يشنها على المسلمين في المناطق التي تقع على الحدود الروسية الأفغانية - فهو بطبيعته مجرم قديم فيما يتعلق بحرب المسلمين وإبادتهم .. والمعروف أيضاً أنه كان هناك تياران داخل القيادة الروسية ، تيار يعارض الحرب إلى حد ما ، وتيار وراء الحرب ، وحينما جاء « تشرننكو » إلى السلطة لجأ إلى تكثيف الهجمات ضد مواقع المجاهدين وتوسيع نطاق الحرب .. صحيح أن الهجوم كان متواصلاً زمن « **أندروبوف** » ، ولكنه لم يكن بالكثافة نفسها . فقد كان رجل المخابرات يهتم أكثر بالعمل بين قطاعات مختلفة من الشعب الأفغاني ، وبين المهاجرين حتى يكسب مؤيدين أو يجد عملاء .. ولكن من المؤكد أنه لم يستطع أن يخترق صفوف اتحاد المجاهدين ..

●● ويرى **جلال الدين حقاني** أن القضية الأساسية عند الروس لا تعتمد على الأشخاص ، وإن اختلفت الوسائل من عهد إلى آخر .. ويقول :

— في بداية الغزو كان « **بريجنيف** » يعتقد أن الحل العسكري سيتم في مدة ستة أشهر أو سنة على الأكثر ، وأيده في ذلك بعض الجنرالات الذين حاربوا من قبل في تشيكوسلوفاكيا والمجر وألمانيا ، وذلك تمهيداً للانتقال إلى المرحلة التالية من المخطط الشيوعي ، والتي تهدف إلى التوغل في باكستان وتجاوزها صوب بلوشستان ثم إيران والخليج ، وكانت

■ بعد تجارب السنوات الخمس ؛ لا يزال السوفييت عاجزين عن السيطرة العسكرية إلَّا على المدن الرئيسة ومحاور الطرقات .. والمجاهدون يهاجمون عمق القواعد العسكرية ومؤسسات السلطة في كابول ..

■ حفيظ الله أمين ستالين أفغانستان قتله الروس بعد أن أدى دوره ■

■ بابراك كارمل .. هل يستمر الرهان ؟ ■

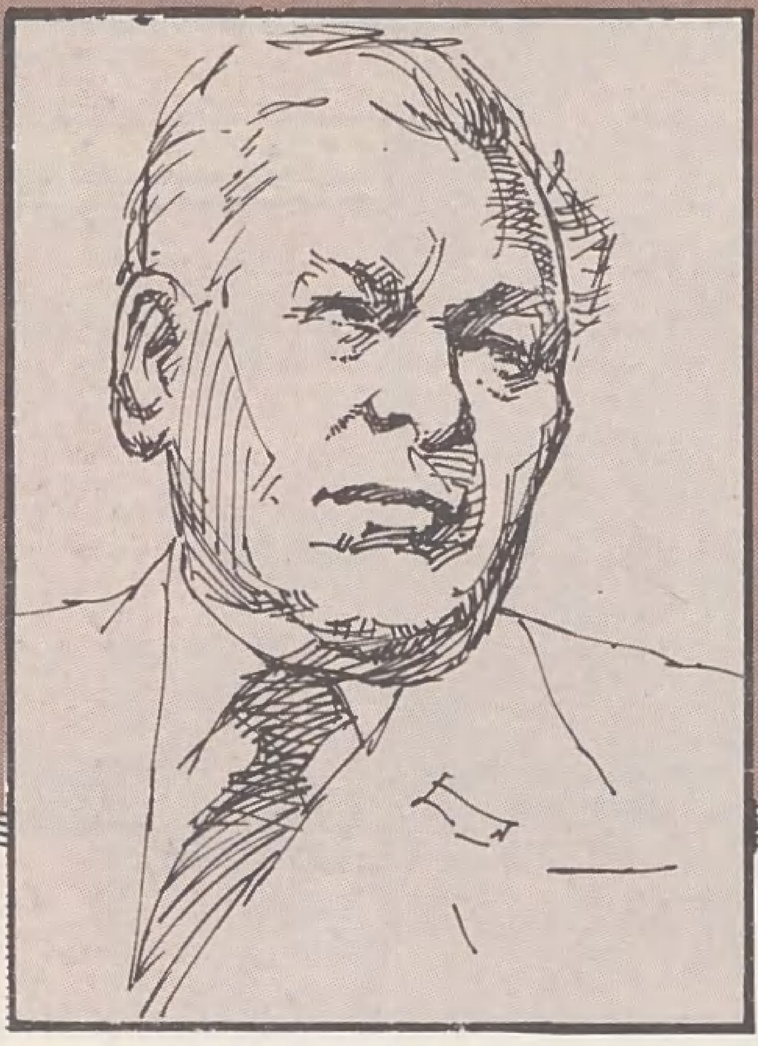

■ تشرْننكو .. اختار الحل العسكري ■

الاستعدادات العسكرية قد أجريت قبل عشرين عاماً ـ على عهد **ظاهر شاه** ـ لتنفيذ هذا المخطط ، بإنشاء قاعدة جوية في بطن الجبل على الحدود مع الاتحاد السوفييتي ، زودت بعد الاحتلال بصواريخ أرضية وجوية وثلاثمائة طائرة وألف وخمسمائة دبابة للحراسة واثني عشر ألف جندي .. وسوف يظل مخططهم دائماً أن يجعلوا من أفغانستان معبراً لهم إلى البحر ، سواء باستخدام الحل العسكري على عهد « **بريجنيف** » وقت الغزو وعلى عهد « **تشرنِنْكو** » الآن أو ما يسمى بالحل السياسي على عهد « **أندروبوف** » ، وقد حاول الروس خرق صفوف المجاهدين وإغراء بعضهم وإحداث فتنة واقتتال بين بعض الفصائل ، واستخدموا الجواسيس والعملاء ، وأغرقوا عناصر من الشعب الأفغاني بالمال ووزعوا عليهم السلاح ، وحاولوا التودد للشعب ، وما نجحوا في تحقيق أي نتائج من خلال هذه السياسة ، ثم عادت سياسة بريجنيف مرة أخرى ـ بصعود تشرنِنْكو إلى السلطة ـ الذي لجأ إلى الحل العسكري ولكن بطريقة مختلفة ، فقد أخذ الجيش السوفييتي يقصف القرى ، ويرتكب المذابح ضد الأطفال والنساء ويجبر الأهالي ـ خاصة في الريف ـ على الهجرة خارج البلاد ، ويدمر المزارع ويحرق المحاصيل ، وهذه الممارسات العنيفة تدخل ضمن محاولة الحسم العسكري التي سبق أن نفذها « **بريجنيف** » ولكنها في الحقيقة تجربة جديدة من حيث درجة العنف وبشاعته ، وعلى كل حال فإن محاولات الروس كلها خائبة والحمد لله ..

■■ **ترددت أكثر من مرة ، شائعات ـ خاصة في الأوساط الغربية ـ حول وجود مفاوضات وقيام اتصالات من أجل التوصل لحل القضية سياسياً .. ما هي الحقيقة وراء هذه الشائعات ؟ وما هي علاقة المجاهدين بذلك ؟**

يقول ربَّاني :

ـ الحقيقة أنه لم تكن هناك أية اتصالات بالمجاهدين على المستوى السياسي ، أما على المستوى العسكري ، فقد كان هناك نوع من الاتصالات بناءً على طلب الجيش الروسي بشأن طلب إعلان هدنة في بعض المناطق ، ولا يزال هذا يتكرر من وقت لآخر وكلها كانت في صالح المجاهدين والحمد لله .. ولكن المهم أن الإخوة جميعاً يدركون الأمر ويعرفون طبيعة الروس في مثل هذه القضايا ، وقد لمس الشعب الأفغاني أكثر من مرة خداع الروس ، وهو يعرف تاريخهم في بلاد بخارى وخيوة ، فقد كان هناك مجموعة من المجاهدين الأفغان ـ على عهد لينين ـ تدافع عن بخارى وخيوة (**أزبكستان**) ، وتدخل في الأمر « **لينين** » بنفسه ، وأعطى الحكومة الأفغانية آنذاك وعداً بأن يمنح خيوة وبخارى الاستقلال إذا هي سحبت المجاهدين الأفغان من ساحة القتال ، وبالفعل قام وفد أفغاني بإجراء مفاوضات مع الروس حول هذه القضية ووقع اتفاقاً يتضمن تحقيق شرط انسحاب الأفغان في مقابل الاعتراف بجمهورية أزبكستان ، وبعد أن قام الأفغان بتنفيذ الشرط ، تحرك الروس وأعلنوا ضم خيوة وبخارى ، ومن المفارقات أن يتم ذلك قبل وصول وفد المفاوضات إلى أفغانستان ، الذي عاد عن طريق البر ، ليسمع بنبأ الضم ولم يكن توقيعه على الاتفاق قد جفّ مداده بعد ..

هذا الأمر يعرفه الأفغان عن الروس جيداً ، فلا توجد جماعة مخلصة بين الأفغان تعتقد بصدق وعود الروس ..

●● **أما جلال الدين حقَّاني فيقول** :

ـ لقد سبق أن طبق الاستعمار البريطاني ما يحاول الروس أن يطبقوه حالياً ، فقد نصَّب الإنجليز أحد عملائهم من السلاطين يدعى « **أوشا شجاع** » في الحكم على أساس أن يمارسوا سيطرتهم على البلاد من خلاله ، ولكنهم فشلوا في ذلك لأن الشعب الأفغاني كشف حقيقته ، ويحاول الروس التجربة نفسها من خلال

■ لا بد أن يعود الإخوة الأفغان الذين يعيشون خارج أرضهم ، ولا يختاروا القعود .. حتى لا تضيع أفغانستان كما ضاعت بخارى عندما غادرها أهلها وتركوا أمر الجهاد من داخل أراضيهم ..

في أفغانستان:

محاولة الحسم العسكري ومأزق الحرب الطويلة

■ عبد رب الرسول سياف .. رئيس الاتحاد الإسلامي للمجاهدين ■

■ تشرِنكو مجرم حرب : ظل يلاحق الحركة الإسلامية ويحارب المسلمين في تركستان وأزبكستان ويُكافأ على الهجمات التي يشنها عليهم في مناطق الحدود الروسية الأفغانية حين كان جندياً في الجيش الروسي ..

■ إن أي كلام عن مساعدات أمريكية للمجاهدين هو محض افتراء وكذب .. والهدف من إثارة هذه الشائعات هو حث الروس للضغط على المجاهدين ..

ما يروجون له من إمكانية التوصل إلى حل سلمي عن طريق المفاوضات ، فهم في الواقع يريدون أن يضعوا في الحكم اسماً إسلامياً من أمثال **ظاهر شاه** أو غيره وتكون السلطة الحقيقية بأيدي الاستعمار الروسي ، في هذه الحالة فقط يمكن أن ينسحب الروس من أفغانستان ، أما أن تكون الحكومة الأفغانية حكومة إسلامية كما يريد الشعب الأفغاني وتكون بلاده محررة مستقلة وحدودها كاملة ، فهذا ما لن يتحقق عن طريق الحل السلمي أو المفاوضات .

■■ لكن يبدو أن الروس اختاروا الحل العسكري السريع مرة ثانية لأن الاستمرار في أفغانستان عملية مكلفة ومجهدة للجيش الروسي ، نظراً لطبيعة أفغانستان ومواقفها التاريخية وقدرة الشعب على المقاومة ، وتشير التقارير التي تنقلها الصحف العالمية مؤخراً إلى تجدد الهجمات العنيفة الواسعة النطاق وأبرزها كان الهجوم المكثف على وادي بانجشير .. ما هو رد فعل المجاهدين تجاه هذه الهجمات ؟

برهان الدين ربَّاني :

ـ تتركز السياسة العامة للاتحاد السوفييتي ـ منذ بداية الغزو إلى يومنا هذا ـ في نقطتين : **أولاً** : محاولة سحق المقاومة « وتحجيم » رايات المجاهدين بقدر الإمكان ، لذلك يلاحظ أنهم يستخدمون أنواعاً مختلفة من الأسلحة الفتاكة المحرمة دولياً ، منها : الغازات السامة وقنابل النابالم الحارقة والأسلحة الكيماوية ، **ثانياً** : سياسة إخلاء المدن حتى تخلو المناطق لهم ولا يجد المهاجرون أرضاً يزرعونها لغذائهم وغذاء أبنائهم ، وهم يهدفون من وراء ذلك إلى إحداث مجاعة ، وهذه السياسة تنفذ بقسوة شديدة في عهد « **تشرنِكو** » .

ونستطيع أن نقول : إن استراتيجية المجاهدين في مواجهة هذا التطور لم تعد دفاعية لصد هجمات العدو ، وإنما أصبحت هجومية وعلى المواقع الحساسة للعدو ، ولعلكم تسمعون الآن عن هجمات للمجاهدين على مطارات العدو ومعاقله لا سيما في العاصمة **كابول** حيث نفذت عدة هجمات على مقر السفارة الروسية وعلى وزارة الدفاع ومبنى الإذاعة ، وإلى جانب ذلك هناك مواجهات قاسية في مناطق عديدة أخرى مع العدو ، خاصة في الشمال الذي يعتبر من مناطق الروس المركزية ..

ويضيف جلال الدين حقّاني إلى هذه الصورة ..

ـ إن التصدي للأسلحة الكيماوية والحارقة التي تفتك بالبشر وتهلك الزرع والنسل ، التي يستعملها الروس يمكن أن يسبب خسائر فادحة في صفوف المجاهدين بينما الروس أنفسهم لا يخسرون كثيراً بالمقابل ، **لذلك فقد لجأ المجاهدون إلى أسلوب جديد في القتال وهو أسلوب حرب العصابات الذي يعتمد على السرعة وضرب المواقع الاستراتيجية واللجوء إلى مناطق بعيدة في الجبال ، وبذلك تقل خسائرنا ولا نحتاج إلى نقل مؤن كثيرة وذخائر ، ونكبد العدو خسائر كبيرة ، ولا يتوفر له الشعور بالأمن في المنطقة** ، ويعجز عن الضرب المركز والمؤثر في حالة الكرّ والفرّ ، حيث لا يكون المجاهدون هدفاً ثابتاً لنيرانه ، وأعتقد أنه بهذا الأسلوب يستطيع المجاهدون مواصلة الجهاد والاستمرار في الميدان لتحقيق الهدف وتحرير البلاد بإذن الله ..

[برهـــان الدين ربـــاني]

- بدأ العمل الجهادي عام ١٩٧٣م ، قبل انقلاب محمد داود الشيوعي .
- درس في مدرسة ابي حنيفة الثانوية بمحافظة « تباخشان » وهي من المحافظات الشمالية ـ ثم في كلية الشريعة بجامعة كابول .
- عمل معيداً ومحاضراً بالكلية نفسها .
- حصل على درجة الماجستير من كلية اصول الدين بجامعة الأزهر بالقاهرة ، وكان موضوع الرسالة : « نظرة على الفكر السياسي الإسلامي من خلال مشكلة الإمامة » .
- عمل استاذاً بكلية الآداب بجامعة كابول ، ثم بكلية التربية .
- راس منظمة « الجمعية الإسلامية » قبل أن يقوم اتحاد المجاهدين ، وتنضم إليه المنظمات ـ تحت رئاسة عبد رب الرسول سيّاف .

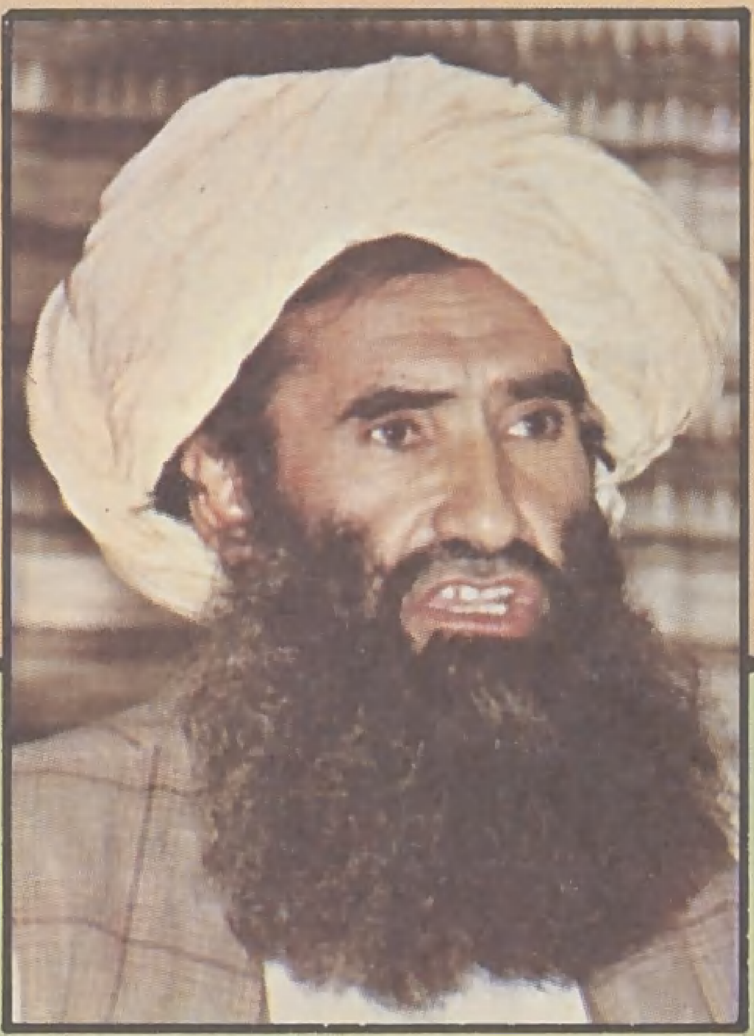

[جـلال الدين حقّاني]

- نائب القائد العام لقوات الثورة الأفغانية .
- اسمه جلال الدين خوجة محمد ـ وكلمة حقّاني مضافة للتعبير عن مجال دراسته القانونية .
- من محافظة باكتيا ، جنوب شرقي افغانستان .
- درس عشر سنوات في مدارس افغانستان ثم خمس سنوات في دار العلوم الحقانية في بيشاور ـ باكستان .
- عمل مدرساً في مدرسة « نور الإسلام » في افغانستان ـ للعلوم الدينية .
- بدأ عمله الجهادي أثناء فترتي حكم ظاهر شاه وداود خان ـ مع إخوانه برهان الدين رباني وحكمت يار ويونس خالص ـ من الجبال .

■■ وحول الصورة الدولية لقضية أفغانستان ، طرحنا للحوار الفكرة التي يراها بعض المحللين السياسيين من أن غزو الروس لأفغانستان لا يحقق أهدافاً للاتحاد السوفييتي فحسب وإنما يخدم أيضاً مصالح أمريكية ، ويأتي ذلك من وجهين : استمرار تورط الروس في مواجهة شعب مقاتل وصلب ـ تاريخياً ـ مما يكلف روسيا كثيراً وينهك قواها .. أما الوجه الثاني فهو محاولة إجهاض الصحوة الإسلامية وإنهاك المسلمين .. وهذه القضية لها نتائج خطيرة ، حيث يخشى ـ فيما وراء النيات التي يتحرك من خلالها المسلم ـ أن تصير تصفية بعض الحسابات الدولية بدماء المسلمين ، فهم أقدر الشعوب على المواجهة والقتال والاستشهاد .. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يقول بعض المحللين : إن القضية هي قضية تقسيم لمناطق النفوذ في العالم ، ففي عصر المخابرات والاتصالات السريعة والأقمار الصناعية ، لا يمكن أن تتحرك أي قوة في العالم بمعزل عن علم القوة الأخرى ، ولذلك فإن تحرك روسيا ليس بمعزل عن علم أمريكا ، وإذا كانوا يتجنبون المواجهة الساخنة ، فإنها إذا وقعت تكون في أرض الآخرين وعلى حسابهم ..

فكأنَّ المطلوب الآن من المسلمين أن لا تكون صورة التحالفات والموازنات الدولية بعيدة عن أذهانهم ، وهذا يقتضي منهم اتخاذ مواقع ووسائل متعددة حتى يستطيعوا المواجهة ، لأنهم في الواقع لا يمتلكون القدرات المادية الكافية ، ويخشى أن يُعطى لهم ما يسمح لهم بالاستمرار لكنه لا يسمح لهم بالانتصار ...

حقّـــاني :

ـ إن التحالفات الدولية بين الشرق والغرب قائمة ومتفق عليها ، وقد يختلفون في أي شيء إلَّا في مواجهة المسلمين ، وأمريكا تعلم بالغزو وتباركه ، وتصريحات الغرب في هذا الشأن لا توحي بالجدية ، ومن الممكن لأمريكا أن تواجه الاتحاد السوفييتي بجدية في بولندا أو في نيكاراجوا ، أما فيما يتعلق ببلاد المسلمين ، فهما على علم ووفاق واتفاق .. ولذلك فإن المجاهدين وهم يحاربون الروس ليحرروا بلادهم فإن عينهم على أمريكا حتى لا تستغل نتائج جهدهم ، ونستطيع أن نؤكد بأننا إلى الآن لم نمد يدنا لأمريكا ونطلب

في أفغانستان:

محاولة الحسم العسكري ومأزق الحرب الطويلة

■ الحرب في أفغانستان بين قوى غير متكافئة .. حيث يمتلك الروس إمكانات حرب النجوم .. ■

منها دعماً أو مساعدة، ذلك أنه إذا ما حققنا النصر - بإذن الله - فقد نقع فريسة لاستعمار جديد، وقد يوجد من بين الأفغان من يرغبون في التعامل مع أمريكا كما يتعامل كارمل والنظام الشيوعي مع روسيا، ولكن أمريكا تعلم جيداً أن هؤلاء الذين يمدون أيديهم ويطلبون المساعدة لا يمثلون فصائل الجهاد، ولذلك لا نقيم لهم وزناً، لأن الحقيقة تقول: إن ممثلي الجهاد، الذين يخوضون المعارك في ساحة القتال وفي الجبال هم القادرون على الفعل وتحريك الأمور، **وأمريكا تدرك هذه الحقيقة جيداً وأظن أنها أحد المبررات التي تجعلهم لا يبادرون بتقديم المساعدات كما يفعلون في الدول الأخرى**، أما عن حاجة المجاهدين للدعم المادي والعسكري فهم يسعون إلى توفيرهما بوسائل لا تجعل من جهادهم غنيمة للغرب أو الشرق وبشرط أن يكون الاختيار بأيديهم، حتى يكون التحرير تحريراً حقيقياً، وتكون الدولة الإسلامية دولة إسلامية حقيقية.

وأود أن أؤكد هنا على **أن حال المجاهدين اليوم أفضل بكثير مما كان عليه في بادىء الأمر من ناحية الإمكانات**، وندعوا الله تعالى أن يزيدهم من فضله وأن يسخر لهم المزيد مما في أيدي إخوانهم المسلمين من الإمكانات، وأؤكد أيضاً أن الرعب والخوف يملأ اليوم قلوب الجنود الروس مما في أيدي المجاهدين من سلاح على قلّته، وهذا من أسباب صمود المجاهدين واستمرارهم في ساحة القتال طوال خمس سنوات أمام قوة الاتحاد السوفييتي المادية الجبارة، ولعلكم تتابعون التقارير التي تشير إلى أمارات الذعر والخوف التي تبدو في عيون جنود الاحتلال السوفييتي بصورة واضحة هذه الأيام - وهم يبدون في صورة سيئة وملابسهم العسكرية غالباً مهلهلة، كما أن جنود جيش النظام الشيوعي في حالة أسوأ من ذلك ..

■ المجاهدون الأفغان يحاربون بالأسلحة التي يستولون عليها من عدوهم. ■

■■ **تتردد من وقت لآخر شائعات تقول بأن مساعدات أمريكية تأتي للمجاهدين، وقد يُلاحَظ أن هذه الشائعات تنطلق في وقت تتهيأ فيه روسيا لتوجيه ضربة لمواقع المجاهدين، وكأن ذلك يعطي المبرر للروس لتوجيه ضربة طالما أعلن عن تدخل أمريكي بالمساعدة.**

حقَّاني:

- إن أي كلام عن مساعدات أمريكية للمجاهدين هو محض افتراء وكذب، وأعتقد أن غرض أمريكا من إثارة هذه الشائعات هو حث الروس للضغط على المجاهدين وإجبارهم على أن يمدوا أيديهم طلباً للمساعدة، وبعد تحرير البلاد تكون أفغانستان قاعدة أمريكية لهم كما هي الآن قاعدة روسية.

■■ **إلى أي مدى تحاول حكومة كارمل تشكيل بعض الجبهات ذات الواجهة الإسلامية، أو الجبهات الوطنية، كمحاولة تقطع بها الطريق على المجاهدين وتعزلهم عن القضية**

■ الغرب يرى أن الحاجة تدعو إلى بقاء الصراع في أفغانستان واستمراره تحت درجة معينة لإنهاك المسلمين ووضع الاتحاد السوفييتي في مأزق صعب .. وزعماء الكرملين يراهنون على عامل الوقت واستنزاف المجاهدين ..

■ ريجان .. إشاعة حول مساعدات امريكية . ■

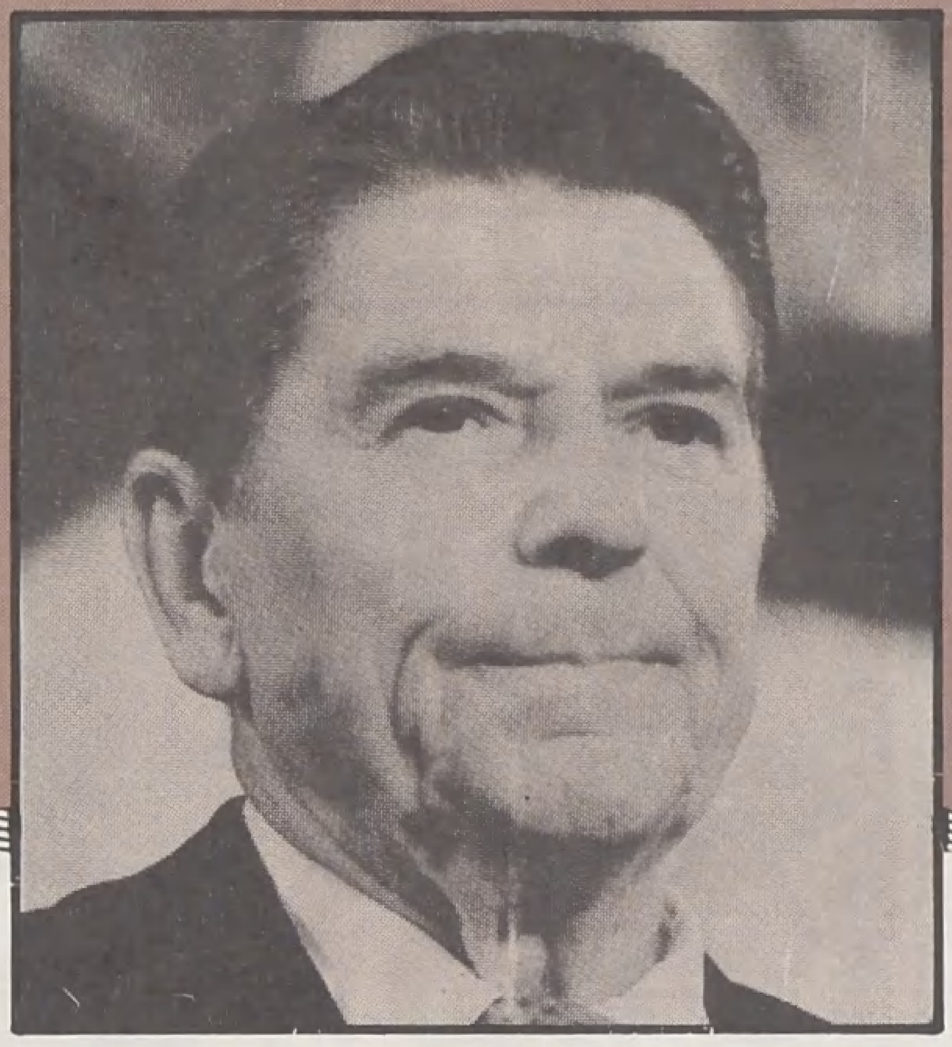

■ أندروبوف .. ممارسة أساليب المخابرات . ■

أمام الرأي العام العالمي وأمام الشعب الأفغاني ؟

برهـــان الدين ربَّـــاني :

ــ هناك بالفعل محاولات تمت في هذا الإطار ، وقد تكونت جبهة باسم جبهة « **إنقاذ الوطن** » من وجهاء البلد ورؤساء القبائل وبعض العلماء ، وهُيئت الفرص لهم لزيارة بعض البلدان الإسلامية ، ثم قامت هذه الجبهة بتشكيل خلايا في المحافظات المختلفة وحرصت على أن تكون ذات توجهات إسلامية ، ولكن أستطيع أن أؤكد أن مثل هذه الأمور لا تجدي كثيراً ولن تستمر ، ومثل ذلك ما يفعلونه لشراء ضمائر الناس البسطاء من أبناء الشعب الأفغاني المسلم ، فالروس يدمرون القرىٰ بهدف إحداث مجاعة ، وتأتي الحكومة لتنفق أموالاً طائلة على المتضررين والمحتاجين بشروط ، وقد يضطر بعضهم للاستجابة ، فينخرط في نظام الميليشيات الحكومية الشيوعية ويتلقى تدريبات ويحمل السلاح ويتقلد المناصب في الإدارة المحلية ـ ولكن في النهاية ينضم بسلاحه إلى صفوف المجاهدين ، لقد حدث هذا أكثر من مرة في عهد « أندروبوف » ..

ويضـيف حقَّـــاني :

ــ ليس هذا أمراً جديداً ، فالنظام الشيوعي في أفغانستان يشكل الجبهات منذ مدة طويلة ويرفعون شعار « **حورا** » في مقابل شعار **اللهُ أكبر** ، ومعنى الشعار « **حورا** » : وصول الشخص لغايته ، وكانت الراية عندهم هي الراية الروسية الحمراء فغيروها براية مماثلة لراية بعض الدول الإسلامية ، وأعلنوا عن تعمير المساجد ، وإرسال بعثات الحج والاهتمام بالخطباء والوعاظ والعلماء .. ولكن مثل هذه الجهات أو الإجراءات مزيفة ولا سبيل لنجاحها .. بل **إنهم يحاولون تحقيق ما هو أبعد من ذلك حيث يرسلون مخربين لإحداث بعض الانفجارات داخل باكستان وينسبونها إلى المجاهدين كما يمدون بعض أتباع « بوتو » بقنابل لتفجيرها بين صفوف المجاهدين لإحداث الفتنة وخلق العداوة كما حدث أمام مقر حكمت يار .**

■■ **ألا ترون أن تعدد الفصائل بين صفوف المجاهدين يمكن أن يكون ثغرة تتسرب منها أسباب الفتنة هذه ، وأن عملية التوحد هي في الحقيقة أجدىٰ للعمل الإسلامي الجهادي على الساحة الأفغانية ؟ وكيف ترون الطريق إلى تحقيق مزيد من التنسيق في هذا المجال ؟**

برهـــان الدين ربَّـــاني :

ــ أولاً .. الوحدة أمر ضروري ، لكن لا بد أن تتحقق هذه الوحدة بصورة عملية ، فقد تنهار إذا ما كانت غير واقعية أو قائمة على مجرد أساس نظري فقط ، طبعاً كل إنسان في صف الجهاد يؤثر الوحدة ويعقد عليها الأمل ولكن إلى حد بعيد هناك بعض العوامل المتعلقة بالرؤية الواقعية لا بد أن تتوفر .. من أجل ذلك لا بد أن نواصل العمل في سبيل توحيد الصف وأن نؤكد أكثر على تنسيق العمل في داخل الجبهات ، ثم نفكر في صورة الوحدة ، فلا تكون الوحدة لضرب جماعات وتفتيت قوتها وإضعاف فاعليتها داخل جبهات القتال ، بل تكون الوحدة لتقوية الفاعلية وسرعة العمل .. ويكون التنسيق كاملاً وشاملاً بين جميع الإخوة .

حقَّـــــاني :

ــ لا يمكن العمل بدون تنسيق ، وتغيير الوضع القائم إلى وضع أفضل حتى يكون العمل مؤثراً ويتحقق النصر بإذن الله .. إن التعاون والتفاهم قائمان بفضل الله داخل اتحاد المجاهدين .. والقيادة العسكرية واحدة والخطط واحدة ، وتوزيع السلاح يتم عن طريق مصدر واحد .. وبهذه المناسبة ، أود أن أوجه كلمة إلى المسلمين على المستويات كافة .. وأبدأ بالإخوة المجاهدين ، وأدعوهم إلى الثبات عند ملاقاة العدو ، اتباعاً لأمر الله تبارك وتعالى ، أما الإخوة الأفغان خارج أفغانستان ، الذين نسوا قضية الجهاد وعاشوا في السعودية ودول الخليج وأوروبا وإيران وباكستان ، أطلب إليهم العودة إلى البلاد وعدم اختيار القعود ، حتى لا تضيع أفغانستان كما ضاعت بخارىٰ عندما غادرها البخاريون وتركوا القتال من داخل أرضهم .. أطلب من حكومات الدول الإسلامية أن تعتمد لديها ممثلين عن المجاهدين واعتماد جوازات سفر خاصة بالمجاهدين تصدر عن قيادتهم وذلك لتسهيل حركتهم حيث إن الحكومة الأفغانية الشيوعية لا تمنح المجاهدين أية وثائق ولا تجدد لهم صلاحية ما لديهم منها .. وأطلب أيضاً أن تساهم البلدان الإسلامية بنقل الجرحى من المجاهدين إلى مراكز العلاج المتطورة لديها وأن تباشر علاجهم ، أن تدعم المجاهدين بالمال والسلاح الذي نشتري معظمه من السوق السوداء .. وما النصر إلَّا من عند الله .

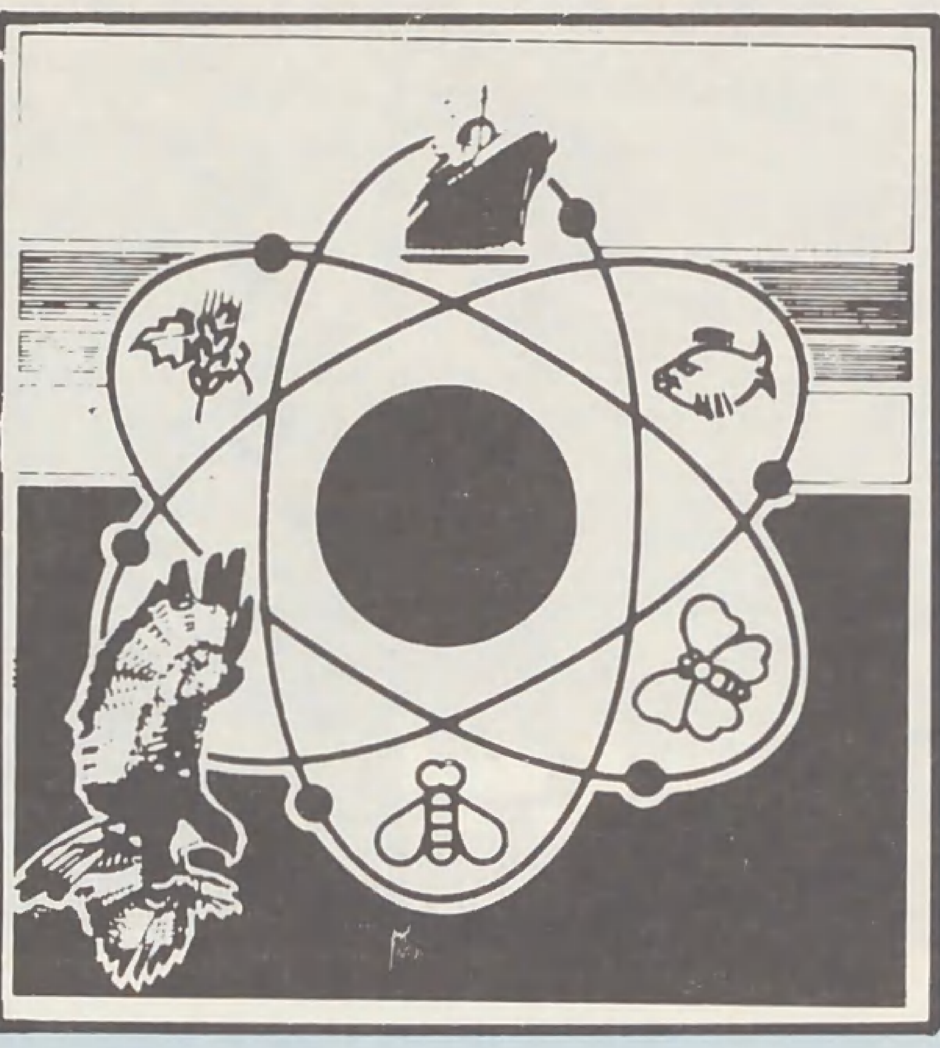

العلم والحياة

كلمة

"كارثة بوبال" والوجه الآخر للتكنولوجيا

■■ المأساة التي حلّت بمدينة «بوبال» الهندية، نتيجة لتسرب غاز سام من مصنع للمبيدات الحشرية تمتلكه شركة «يونيون كاربايد» الأمريكية، هي تجسيد جديد للوجه الآخر للتكنولوجيا، وهو الوجه المأساوي القبيح الممزوج احياناً بعدم الاهتمام وسوء الخلق الذي تمارسه شركات عالمية هنا وهناك، همها الأكبر الإنتاج وتراكم الأرباح، بعيداً عن الاعتبارات الإنسانية والأخلاقية.

قد يكون تسرعاً اتهام الشركة الامريكية بالتقصير المتعمد في إجراءات السلامة قبل ان تنتهي نتائج التحقيق، ولكن سجل الشركات الغربية بل والحكومات الغربية بشكل عام، يشجع على اتهامها بعدم الاهتمام الكافي بالسلامة حين يتعلق الأمر بالعالم الثالث، وهناك اكثر من شاهد على ذلك، من بينها:

● هناك نص مكتوب عادة ما يضاف إلى الاتفاقيات التي تتوصل إليها الدول الاعضاء في السوق الأوروبية المشتركة بشان معايير السلامة والصحة الواجب الالتزام بها في الإنتاج، وهذا النص يقول: إن هذه المعايير لا تراعى في حالة كون الإنتاج موجهاً للتصدير إلى دول اخرى. والمقصود بالطبع دول العالم الثالث. وهذه قمة الأنانية الأوروبية.

● هناك ادوية وعقاقير ومبيدات يحظر استخدامها في الدول الغربية، او يقيد استخدامها بقيود شديدة، ومع ذلك تصدر إلى العالم الثالث دون تنبيه إلى مخاطرها. وقد اشرنا إلى ذلك اكثر من مرة في باب «العلم والحياة»، وعلى سبيل المثال فإن نسبة النيكوتين في السجائر المصدرة للعالم الثالث اعلى من النسبة المسموح بها في الدول المنتجة الغربية نفسها.

وفي ميدان المبيدات الحشرية بالذات هناك (١٫٥) مليون شخص يتعرضون بسببها لاعراض التسمم، يموت منهم (٤٠) الفاً. ونصف المصابين وثلاثة ارباع الموتى هم من العالم الثالث، رغم ان دول العالم الثالث لا تستهلك اكثر من ١٥٪ من المبيدات المستخدمة في العالم، ومن المرجح ان يزداد عدد الضحايا مع سرعة اتجاه هذه الدول لاستخدام المبيدات. وعلى سبيل المثال زاد استهلاك الدول الافريقية من المبيدات خمس مرات خلال عقد من الزمن، وسوف تتضاعف الكمية التي تستهلكها الهند خلال الخمس عشرة سنة القادمة.

إن عدم التناسب بين استهلاك العالم الثالث للمبيدات وبين عدد المصابين، يعود إلى سببين: الأول: حرية الشركات الغربية في تصدير المبيدات المحظور استخدامها او المقيد استخدامها في الدول الغربية إلى العالم الثالث دون تنبيه الدول المستوردة إلى المخاطر، وجهل المزارعين في الدول النامية.

وقد ورد في تقرير الأمم المتحدة عن الممارسات غير الصحيحة للمزارعين الهنود لدى استخدام المبيدات ان «المزارعين الهنود لا يستخدمون اقنعة الوجه لدى رش المبيدات، وان ٥٠٪ فقط منهم يغطون افواههم بقطعة قماش، وان ٢٥٪ لا يغسلون ايديهم عقب الرش».

● والاغرب من موقف الشركات موقف الحكومات الغربية نفسها، لقد قاومت حكومة بريطانيا مثلاً كل الضغوط التي استهدفت منح الوزراء المعنيين حق فرض حظر على صادرات او واردات او استخدامات المبيدات الحشرية، الجدير بالذكر ان مبيعات بريطانيا من المبيدات تبلغ ما قيمته (٢١١) مليون جنيه استرليني.

وموقف بقية دول السوق الأوروبية المشتركة ليس افضل من موقف بريطانيا، والجدير بالذكر انها تصدر ٦٠٪ من المبيدات المستخدمة في العالم.

وقد حذّرت اكثر من منظمة دولية من هذا الاستهتار.

ومن هذه المنظمات «اوكسفام»، التي تطالب بحظر تصدير المبيدات الخطرة إلى العالم الثالث، كما ان هناك مسودة مشروع في اروقة الامم المتحدة تطالب الدول الغربية بان تكون جدية إزاء «التزاماتها العالمية»، وذلك بإخبار الدول النامية باخطار المبيدات التي تصدرها إليها، ولكن الشركات البريطانية بالذات التي زادت صادراتها بنسبة ٣١٪ بين عامي ٨٢ و ١٩٨٤م، ترفض رفضاً قاطعاً اية قيود.

وتبقى مسؤولية الدول النامية نفسها، فإن عليها ألا تاخذ مسالة التكنولوجيا كامر مسلم به. إن عليها دراسة الجوانب السلبية قبل الإيجابية، وعليها ان تضع سلامة ابنائها فوق كل اعتبار، عليها مثلاً ان تقيم ما يسمى «باحزمة السلامة»، وذلك بمنع السكن على مسافة معينة من المصانع، عليها ايضاً التشدد في إلزام الشركات الأجنبية بالالتزام بالقيود نفسها التي تلتزم بها في الدول المتقدمة. وهناك اكثر من مثل على رضوخ تلك الشركات إذا رات الموقف جدياً، ذلك ان هدفها الربح فقط.

إن على هذه الدول ان تحسن الاختيار لدى الاستيراد. وهذه مسالة هامة جداً، وان تضع الضوابط والمعايير لتداول العقاقير والمبيدات، وان تشرف تماماً على السوق. لقد نشرت صحيفة «الاتحاد» الظبيانية ان هناك (١٠٨) مبيدات في سوق الإمارات، وقالت الصحيفة على لسان وكيل وزارة الزراعة والثروة السمكية بتاريخ ٢٣ نوفمبر [تشرين الثاني] الماضي: إنه ثبت ان لبعض تلك المبيدات آثاراً سيئة على البيئة الزراعية والإنسانية والحيوانية، ولذلك شكلت الوزارة لجنة لدراسة المبيدات، تقرر على اثرها منع استيراد وتداول (٢٤) مبيداً. كما ان الوزارة حظرت استيراد بعض الاسمدة العضوية المستوردة التي تحتوي على كثير من الآفات المرضية والحشرية وبذور الاعشاب. ■■

بلاستيك موصِّل للكهرباء

لا يتوقع أحد منَّا أن يصاب بصدمة كهربائية نتيجة لمسه قطعة بلاستيك . ولكن علينا الانتباه بعد الآن ، فقد تم إدخال قطع بلاستيكية موصلة للكهرباء في بعض الأجهزة مثل آلات النسخ . وهذه هي المرة الأولى التي تخرج فيه مركبات كيماوية مشكلة بالتبلمر وموصلة للكهرباء من المختبرات إلى الأسواق ، ولكنها لن تكون المرة الأخيرة . (التبلمر هو اتحاد جزئين أو أكثر من مركب ما لتشكيل مركب ذي وزن جزيئي أكبر) .

لن يستخدم البلاستيك ليحل محل أسلاك الكهرباء وحسب ، بل سيكون مفيداً في بعض الميادين التطبيقية المتخصصة مثل : استخدامه في البطاريات خفيفة الوزن ، والخلايا الشمسية . ولكن الشركات الكيماوية الكبرى تقول : إن للبلاستيك الموصل للكهرباء مميزات فريدة من نوعها تفتح آفاقاً للتطبيق لَمّا يفكر بها أحد بعد ، مع احتفاظه بميزتين : انخفاض السعر وخفة الوزن . إن المركبات الكيماوية المشكلة بالتبلمر والموصلة للكهرباء كانت تواجه مشكلتين : الأولى عدم ثباتها كيماوياً إذا تعرضت للهواء ، والثانية صعوبة التصنيع بسبب عدم التحلل أو الذوبان .

وقد حاول الباحثون التغلب على هاتين المشكلتين بإحدى طرق ثلاث : الأولى البحث عن مركبات جديدة تماماً ليس لها السلبيات المذكورة ، والثانية محاولة تركيب عدة مركبات على أمل الحصول على أفضل نوع ، والثالثة العثور على مركبات غير موصلة يمكن تحويلها إلى موصلة بعد معالجة خاصة فيما بعد .

تزايد نسبة الميثان في الجَوّ

قال فريق من الباحثين في جامعة كاليفورنيا : إن نسبة الميثان في الجو من اسباب الازدياد التدريجي البطيء في حرارة سطح الأرض .

إلى جانب غاز الميثان ، فإن زيادة معدل ثاني اكسيد الكاربون في الجو نتيجة حرق الوقود هو سبب آخر من أسباب التحول التدريجي في الأرض إلى ما يعرف بـ «الدفيئة» (البيت الزجاجي الذي تزرع فيه بعض النباتات greenhouse) . ويلعب الميثان ايضاً دوراً في ما يعرف بـ «الضَّبْخَن» smog ، (أي زيادة نسبة الضباب والدخان في المدن) وتناقص الأوزون.

يطلق الميثان في الجو عن طريق الحيوانات آكلة الاعشاب اثناء هضمها للسيليلوز ، وعن طريق عامل حيوي في حقول الأرز المغمورة بالمياه . وكل من تلك الحيوانات وحقول الأرز في نماء مستمر لتلبية الاحتياجات البشرية من الطعام .

وقد اقترح عالم نيوزلندي ، في مؤتمر علمي ، استغلال الميثان الزائد في توليد الطاقة ، واشار إلى أن الميثان الذي ينطلق من ماعز واحد في اليوم قادر على تسيير شاحنة صغيرة مسافة (٤٠) كيلو متراً ، ولكن تبقى مشكلة التسخير .

الأقمار الصناعية ودورها في تجنّب الكوارث

سلطت الأضواء على المجاعة الأفريقية عندما نقلتها الأقمار الصناعية إلى شاشات التلفزيون . ولكن الأقمار الصناعية مستقبلاً سوف تساهم في تجنب الكوارث وليس في اكتشافها وحسب . والعالم بحاجة إلى تحذير مبكر من الكوارث وإلى إدراك لمدى ونوع الدمار الذي تحدثه وكمية العون المطلوب لمواجهتها .

إن الأقمار الصناعية التي تستشعر عن بعد تستطيع ذلك . إن الولايات المتحدة تستطيع ذلك عن طريق القمر الصناعي « سيسات » إذا وضع في مجاله الصحيح ، إن باستطاعة هذا القمر تحديد حجم وسرعة أمواج التيارات البحرية . كما أنه سيكون باستطاعة وكالة الفضاء الأوروبية ذلك عام ١٩٨٧م . والأقمار الصناعية الحالية تسهم بالفعل اليوم في تحديد المناطق التي يتكاثر فيها الجراد ، كما أنه سيكون بإمكانها تحديد كمية الأمطار التي يحدثها الإعصار الحلزوني ، والتحذير المبكر من الزلازل ، وذلك باستخدام أشعة الليزر لقياس عدد الشقوق في منطقة ما .

هذا وقد ساهمت الأقمار الصناعية في ربط قوافل الإنقاذ من المجاعة ، وتوفير الاتصال فيما بينها ، وتوفير المعلومات لها ، عبر ما يسمى بوحدات الاتصال المتحركة .

ويتوقع المختصون ألَّا تقتصر هذه الفائدة على قوافل الإنقاذ ، بل ستمتد لمشاريع البناء في المناطق النائية ، فتوفر لهم المعلومات وتنقل إليهم آراء الخبراء ، بدلاً من اللجوء إلى التنقل المكلف من أجل ذلك .

كذلك يمكن الإفادة من هذه الوحدات في الزراعة والتعليم .

البكتيريا الزراعيّة

لا يزال العلماء يبحثون إمكانية حقن النباتات بالبكتيريا الزراعية Agrobacteria وذلك بهدف إدخال جينات جديدة إلى خلايا النبات . لقد تصدرت البكتيريا الزراعية الأنباء العلمية لمدة عامين ، كناقل vector يمكن استخدامه لتسريب « الجينات » الأجنبية لخلايا النبات . وقد استغل العلماء قدرة هذا النوع من البكتيريا على إحداث عقصات (تضخم) في النبات ، وذلك بإدخالها كمية صغيرة من الـ D.N.A التي تحتوي على المورِّث (GENE) المسبب للتضخم ، في النظام الجيني الخاص بذلك النبات .

وقد أدخل العلماء « جيناً » آخر في الـ D.N.A قرب « الجين » المسبب للتضخم ، ونجحت المحاولة مع نبات التبغ ، وكان يظن أن هذه التجربة لن تنجح في النباتات الضرورية لغذاء الإنسان مثل الذرة والقمح والأرز ، لأن البكتيريا الزراعية تعمل فقط مع النباتات ذات الأوراق العريضة ، أو النباتات ذات الفلقتين Dicots .

ولكن البروفسور « سكيلبرورت » وزملاءه في جامعة « ليدن » بهولندا أجروا التجربة على الأبصال والنرجس (وهي وحيدة الفلقة) ، وحدث التضخم . ويعتبر نجاح هذه التجربة كشفاً علمياً وحيوياً يثير الدهشة ، ولكنها لا تزال بحاجة إلى تطوير .

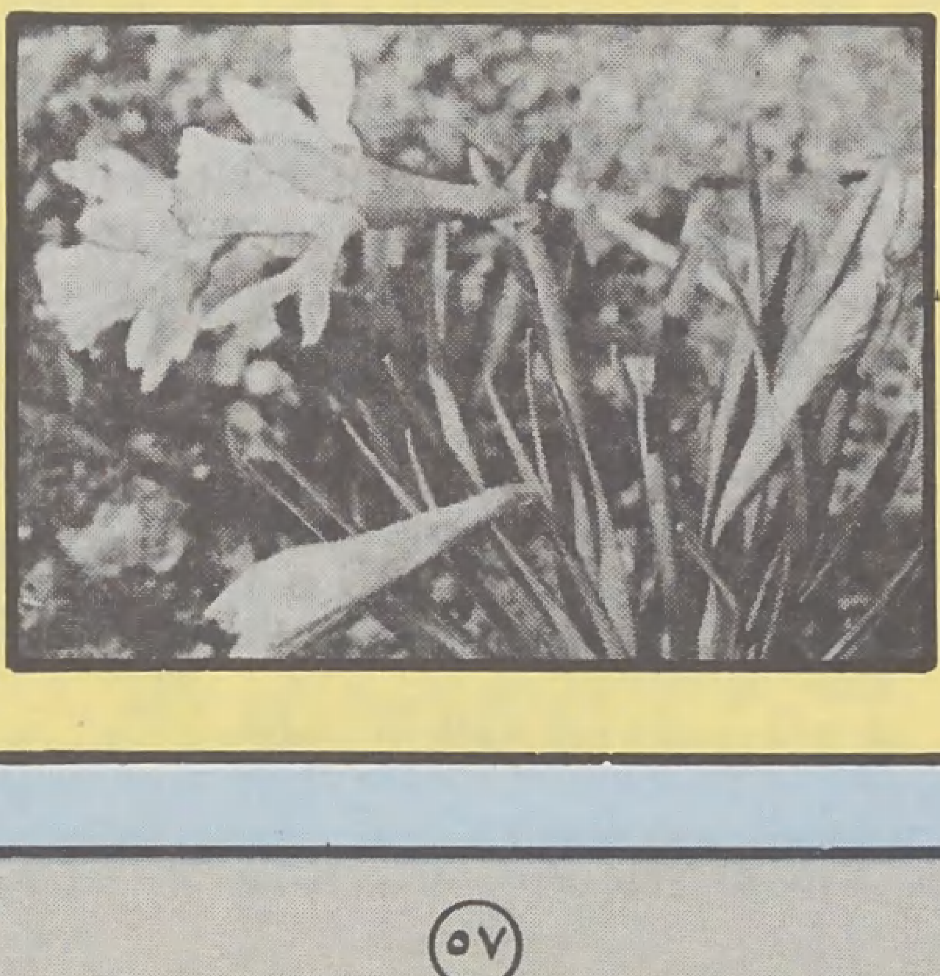

قصة قصيرة

الوعد الحق

■■ إنه طفل صغير نشأ في ريف « مصر » النابض ، ملامحه تدل على الذكاء الشديد ، والغيرة والحماسة الجامحة ..

نشأ وكان أكبر إخوته فنال قسطاً وافراً من المحبَّة الشديدة ، باعتباره النبت المبكر والنواة الأولى لوالديه .

التحق بالمدرسة الابتدائية ، وكان يرى والده الفلاّح الفقير ، دائماً يجلس على ركن الأريكة المتواضعة ، وعيناه تشخصان في سقف وجدران الحجرة في شرودٍ غامض ، وتبدأ شفتاه تتمتمان بكلام غريب .. أخي .. أخي .. أين أنت ؟ أين أنت يا أخي .. اقتلوك ؟.. أأسروك ؟ وتجود عيناه بسيل منهمر سرعان ما يتدحرج على وجنات الخدّ البائسة ، وكأنّما الدمع يواسي قلبه الجريح .

وتأتي الزوجة وتلقنه كلمات ، سرعان ما يفيق بعدها من شروده ، ويجفف دموعه ، تالياً قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ ، ثم يردف قائلاً : ... الحمد لله على هذا .. الحمد لله على هذا .. عدة مرات ، فتردّ الزوجة برفق : الحمد لله على كل شيء .. الحمد لله على قضائه فنحن به راضون .

وفي هذا المشهد المثير ، يردف الأب قائلاً .. إن الله اعطاني ابني الصغير هذا ؛ ليكون خليفة لي على هذه الأرض ، فهو كل نصيبي من هذه الدنيا ، والآن وبعد أن أكمل سبع سنوات من عمره ، فإنَّه قد عرف أو يجب أن يعرف أنني أبوه . وإنني من الغد ، سوف أتوجه إلى مركز التجنيد ، وأتقدم للتطوع ، فنظرت الزوجة بدهشة إليه وقالت : زوجي .. من .. ومن يعيلنا ؟

من يقوم بإحضار رغيف الخبز لنا ؟ ومن يعزق الأرض ويزرعها ؟ من يعطي « عمر » نصف القرش الذي يأخذه ، وهو ذاهب إلى المدرسة ؟ ومن ومن .. ؟

عشرات الأسئلة تلاحق بها الزوجة زوجها ، ووسط هذا النقاش المحتدم يصيح « عمر » :

ــ والدي هل تتركني وتسافر ؟ ومن ينام بجواري ويوقظني في الصباح لأصلي معه واقبِّل يَدَيه ؟ ومن يعطيني مصروفي الذي أدّخره ؟ أتريد أن تنقص حَصَّالتي « نصف قرش » كل يوم .

وتسيل دموع الزوجة حتى تتساقط على خدود طفلها الصغير ، الذي يقف بجوارها ملتصقاً بها ، فينظر إلى أعلى حيث أمّه ، وأمامه حيث أبوه ، فإذا بالوجوم يكتنف كل انحاء المكان ، ويصيح « عمر » :

ــ والدتي لا تبكي .. إن والدي لن يتركنا ، وسأسافر أنا بدلاً منه .. هيَّا أعدي لي رغيفين وثلاث بيضات وبعض الملح ، حتى آكل واحداً وأنا مسافر ، بإذن الله ، والآخر عندما أصل إلى هناك .

ويعود الطفل للحديث قائلاً : .. إلى هناك ؟!! إلى أين يا أمي ؟ .. ولماذا أسافر ؟ هل من يسافر يأخذ مكافأة ؟

وتتخلل الوجومَ بسمة مضيئة ـ أشبه بشعاع يبزغ في نصف الليل ـ من بين ثنايا الأم الحنون ، وتقبل ولدها .. وتقول له :

ــ يا ولدي أنت صغير ، وستكبر غداً إن شاء الله ، وتسافر . فيردّ الطفل حاضر البديهة : أغداً سوف أكبر يا أمي ؟ وتردّ الأم : ليس غداً بالضبط يا عمر ، ولكن بعد غدٍ إن شاء الله يا بُنيّ .. فيتهلل وجه الغلام فرحاً ، ولكنه يصيح قائلاً :

ــ وَيْ أماه ، اجعليه غداً وليس بعد غدٍ ، فتتكرر الابتسامة الوضاءة المعبرة عن الرّضا والشكر لله من بين ثنايا الأم مرة ثانية ، وتردف قائلة : غداً إن شاء الله يا عمر .

ويعود عمر سائلاً : أمّاه ، ولكن لماذا أسافر ؟ ويتطلع الوالد إلى قسمات وجه ابنه ، ويتحسسها ، ويطبع قبلة حانية على جبين الغلام ، ويقول له : يا ولدي .

ولكن قبل أن يكمل الأب حديثه تأخذ « عمر » نشوة الطفولة البريئة ، ويقول له وهو يشير إلى الحائط :

ــ والدي .. هل هذه صورتك وأنت صغير ، أتحب أن تكون صغيراً دائماً ؟ وينظر الأب إلى طفله البريء الذي لا يعرف إلاَّ الكلمة الصادقة البريئة ويقول له :

ــ يا ولدي إن هذه الصورة هي صورة عمك « طلال » وتأخذ « عمر » موجة من الدهشة ، ويقول : عمي «طلال » !! ومن يكون عمي « طلال » ؟! إن عمي « طلال » الذي يبيع البرتقال على ناصية الشارع .. لا .. إنها ليست صورته يا أبي ، ويُعجَبُ الأبُ بذكاء طفله ويضمه إلى صدره قائلاً :

ــ ولدي إن عمَّك « طلال » استشهد في معركة فلسطين عام ١٩٤٨م .

خرج عمك يا ولدي من هذا البيت منذ قرابة عشر سنوات ، ومن يومها لم يعد ، ولكنني لم أنس الكلمة الأخيرة التي قالها لي : « الوداع » ، ويومها لم أكن أعرف أن هذا هو الوداع الأخير ، فخرج ومن يومها لم يعد ، وينفجر الوالد في البكاء ، وتجري دموعه من مقلتيه كألسنة من اللهب ، تخرج من فوهة بركان ثائر .

ويغلب على الطفل إحساس بالخشوع ثم يقول : هوّن عليك يا أبتِ ، ولسوف يأتي اليوم الذي تسمع فيه وتعلم ، أن طلالاً حيٌ لم

بقلم : حمدي ابراهيم محمد

يمت .. ابَتِ إن طلالاً لم يمت ، إنني أنا طلال ، إنني سأقتص من هؤلاء الصهاينة الطغاة ، وسأطلق النّار على صدر كل منهم ، مثلما أطلقوا على عمي رصاصاتهم الغادرة . فينظر الوالد لطفله الذي يتكلم ويُربّتُ على كتفه قائلاً :

ــ بارك الله فيك يا ولدي ، وجعل منك الخَلَفَ الصالح والنَّبت الطَّيب .

وتمر السنون ، وتتعاقب الأيّام ، ويصل « عمر » للمرحلة النهائية من سلم التعليم الجامعي ، ويعلن المذياع اندلاع المعارك مع العدوّ الصهيوني ، وتتعاقب الأنباء حتى يعرف الجميع حقيقة الهزيمة المرة ، ويقرر « عمر » ترك الدراسة والإسراع إلى مركز التجنيد ، والانضمام إلى جيوش المتطوعين ، ولكن بعد ماذا ؟! لقد انتهت المعركة منذ ان بدأت ، والتحق « عمر » بفريق التدريب ، وسرعان ما انضم إلى صفوف القوات الخاصة الانتحارية واختير قائداً للمجموعة الحركية التي كانت مهمتها وضع القنابل والمتفجرات في الضفة المحتلة من قناة السويس ، والتي كان من نتيجتها هلع العدو واضطرابه ، وإطلاقه الصيحات كذئب يستغيث بالناس من شاة تدافع عن ابنها .

ولم تستمر الحرب طويلاً .. ولكن جاء اليوم الموعود الذي كان « عمر » يترقبه ويتمناه .. كان كل أفراد هذه القوة التي يترأسها « عمر » صائمين ، واندفع الرجال كالأسود الكاسرة في زوارق المطاط الخفيفة إلى الضفة الأخرىٰ للقناة ، وكل قائد يتقدم مجموعته .. وفجأة انطلقت ألسنة اللهب من فوهات المدافع كالبراكين الثائرة تظلها غيوم الطائرات وكأنها في شوق ولهفة إلى أجواء سيناء الحبيبة ، ولقد قام « عمر » بتادية مهمته على خير وجه ، وذلك أن العدو كان قد أحاط ضفة القناة المحتلة بانابيب من النابالم الحارق ، ووضع أحدث الأجهزة الإلكترونية للتحكم فيها ، وكانت مهمة « عمر » أن يسيطر على هذا الجهاز بعد أن راقبه ورصد مكانه ، بحنكة وتعقّل ، خشية وقوع الكارثة التي ربما أدت إلى فشل كل شيء واحتراق كل ما هو على سطح القناة .

ويتقدم « عمر » إلى تلك النقطة المرصودة وبخفة وحماسة بالغة ، ينقضّ على احد الصهاينة وهو يكاد يدنو من جهاز الاستخدام .. يلتقطه في اقلّ من الثانية ، ويغمد في صدره خنجراً حادًّا كان مسدداً في قبضة يده ، وعندئذ يخرج كمين الصهاينة عليه ، وتمالك عمر نفسه ولم يصدر التعليمات لمجموعته بالدخول ، حرصاً على هذا المكان الحساس ، ويطلق الصهاينة وابلاً من الرصاص تجاه « عمر » الذي كان قد اخذ ساتراً لنفسه ، وبسرعة الفدائي البارع استطاع أن يقضي على أفراد الكمين جميعهم ، وأصدر التعليمات لمجموعته بمحاصرة المكان وتطهير الموقع ، وقفز هو على الحصن المرتفع ، ووضع العلم الذي كان في يده على القمة ، وهتف بأعلى صوته : الله اكبر .. الله اكبر ، وما كاد يرتفع العلم حتى كانت الطلقات تزمجر من بنادق العدو الملعون صوب « عمر » ، وكأن الله أراد أن يكون ذلك الفتى هو أول من يروي رمال سيناء بدمه .

وبعد أن تحامل على نفسه ، ثبّت العلم في مكانه ، وعيونه تذرف دموعاً حارة ، وجسده يتضرج بالدم ولسانه ينطق بالشهادة ، وقلبه يخفق بالرضا ، وفاضت روحه الطاهرة إلى بارئها مع آخر كلمة قالها .. اللهم إنك وعدت ووعدك الحق أن تنزل الشهداء في جوارك منزلاً كريماً ، اللهم فاجعلني شهيداً في سبيلك ، ومتعني بالنظر إليك ، وامنح والديّ الصبر على فراقي ، وأسألك أن ترحمني وترحمهما يا أرحم الراحمين . ■■

كتاب في مقال

الإسلام.. وأزمة الغرب

تأليف :
المفكر الفرنسي المسلم
رجاء جارودي
ترجمة :
الدكتور رفيق المصري
عرض وتلخيص :
معالي عبد الحميد حموده

■■ (ولدت ونشأت في عائلة علمانية محافظة . اعتنقت النصرانية في الرابعة عشرة من عمري وصرت شيوعياً في العشرين . وكان ذلك عام ١٩٣٣م إبان الأزمة التي أصابت أوروبة في الاقتصاد والاجتماع والثقافة فكانت بذلك امتداداً للأزمة التي لحقت بأمريكة عام ١٩٢٩م وتميزت تلك السنة بتسنم الهتلرية الحكم في المانية النازية . لقد كان عالماً تسوده الفوضى فكان عليَّ فيه أن أختار مقاطعة الماضي العلماني الذي نشأت فيه واعتناق النصرانية ؛ غير أن هذا الاختيار لم يحقق لي كل تطلعاتي فدخلت في الشيوعية عساي أجد فيها ما يساعدني على تحقيق أهدافي في معاداة النازية الهتلرية لكن هذا كان سبباً في معاناتي من مآسٍ ومتاعب جمة ليزج بي أخيراً في السجن . وفي الحزب الشيوعي ارتكبنا أخطاء - ومن شأن البشر أن يخطىء - أدت إلى قطيعتي الثانية مع الشيوعية عام ١٩٦٨م وتم طردي بعد ذلك من الحزب عام ١٩٧٠م) . ■■

حـــول الكاتـــب

هذا الكتاب - الصغير الحجم - للمفكر الفرنسي المسلم رجاء جارودي .

وقبل أن نعرض لكتاب الإسلام وأزمة الغرب فإننا نقدم ترجمة موجزة للمؤلف نقلناها عن مترجم الكتاب في المقدمة . يقول جارودي عن نفسه :

ويقول جـــارودي :

(خلال هذه الفترة كنت أرى في النصرانية معنى لحياتي غير أن هذا المعنى تجلى في الإسلام فأصبحت مسلماً أرى في هذا الدين ضالة التسامي المميز لإنسانية الإنسان . ومع هجرتي إلى الإسلام لم أعد أشعر بقطيعة ثالثة ؛ فبالإسلام اكتمل الخط الذي بدأه إبراهيم ثم تابعه موسى وعيسى - عليهم السلام - . وبينما المسلم يعترف بالأنبياء جميعاً نجد أن اليهودي لا يؤمن إلَّا بموسى ؛ والمسيحي لا يؤمن إلَّا بعيسى وذلك على خلاف المسلم الذي يؤمن بموسى وعيسى ومحمد ﷺ . فوجدت في الإسلام تحقيقاً لأحلامي التي طالما راودتني منذ سن الشباب - سن العشرين - وجدت فيه تحقيقاً لمجتمع هو أقرب ما يكون إلى المجتمع المثالي ووجدت فيه تحقيقاً لمبدأ العيش مع الجماعة) .

الكتـــاب

يحدد المفكر رجاء جارودي هدفه من الكتاب فيقول : لن أتحدث هنا عن الإسلام عموماً بل عن الإمكانات الجديدة لانتشاره في العالم الغربي وعن الأسباب التي ترجع إلى جوهر العقيدة الإسلامية وتشكل مثل هذه الإمكانات .

ويقرر الكاتب حقيقة تاريخية وإنسانية مستمرة عندما يعلن أن الإسلام أنقذ العالم من الانحطاط العام والفوضى ، وأن القرآن الكريم أعاد إلى ملايين البشر وَعْيَ بعدهم الإنساني وروحاً جماعية جديدة .

يقدم المفكر مثالاً رقمياً لما وصل إليه العالم من استعباد الروح الإنسانية ، وتحطيم كل شيء ، واتباع أنموذجي جنوني (للنمو) فيقول موضحاً انحطاط الحضارة الغربية - في ذلك المقام - وأثر هذا كله على الكون :

(... بعد خمسة قرون من هيمنة الغرب هيمنة لا يشاركه فيها أحد يمكننا تلخيص ميزانيته بثلاثة أرقام : في عام ١٩٨٢م مع حوالي (٦٠٠) مليار دولار من الإنفاق على التسلح وضع ما يعادل أربعة أطنان من المتفجرات على رأس كل ساكن من سكان الكوكب الأرضي ، ووزعت الموارد والثروات بحيث مات في السنة نفسها (٥٠) مليون نسمة في العالم بالمجاعة وسوء التغذية ، فمن الصعب أن يسمى « تقدماً » بلا تردد

■ الإسلام هو الذي يمكن أن يقدم للعالم معنى الحياة .. ■

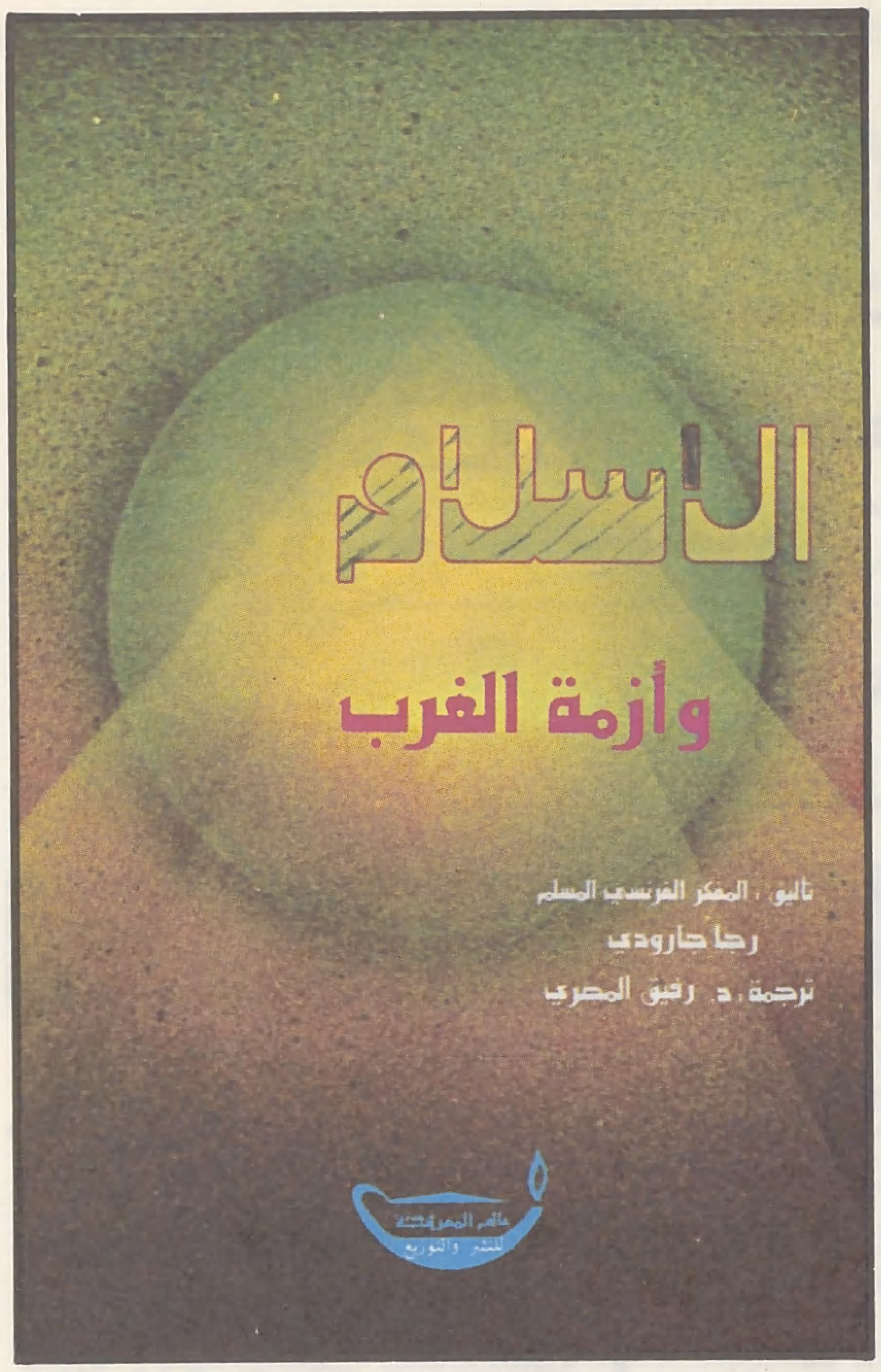

■ دخلتُ الشيوعية عساي أجد فيها ما يساعدني على تحقيق أهدافي في معاداة النازية الهتلرية لكن هذا كان سبباً في معاناتي من مآس ومتاعب جمة ، وفي الحزب الشيوعي ارتُكبت أخطاء أدت إلى قطيعتي مع الشيوعية ■

ذلك الشوط التاريخي الذي قطعته الحضارة الغربية التي جعلت من الممكن فنياً لأول مرة خلال مليوني سنة أو ثلاثة ملايين سنة من الملحمة البشرية تحطيم كل اثر من آثار الحياة على الأرض) .

أسباب إفساد الكون

يكشف المفكر رجاء جارودي عن الأسباب - والتي هي مؤشرات للقضاء على البشرية - فيقول :

● الاقتصاد يسيطر عليه النمو المتمثل في الرغبة الجنونية في زيادة وسرعة الإنتاج : إنتاج اي شيء نافع او غير نافع .. ضار او مميت .. لا يهم .

● السياسة تحكمها علاقات اجتماعية داخلية وخارجية يسودها العنف المعبر عن صدام المصالح والنزوع إلى السيطرة بين الأفراد والطبقات والأمم .

● الثقافة عارية من المعنى والغاية فالتقنية للتقنية ، والعلم للعلم ، والفن للفن والحياة لغير هدف .

● العقيدة خاوية من التعالي (يقصد الكاتب هنا : التعالي على المادة والترفع عن متاع الدنيا والسفاسف) الذي يمثل البعد الإنساني للإنسان .

كيف شوَّهوا الإسلام ؟

يكشف الكاتب النقاب عن الوسائل التي استخدمها أعداء الإسلام لتشويه الإسلام ؛ وعندما يكشفها رجل مثل رجاء جارودي فإنه علينا ان نلتفت إلى قوله جيداً لانه - قبل أن يهديه الله إلى الإسلام - كان نصرانياً ثم شيوعياً .. يقول :

لقد انتُقِصَ حق التراث العربي الإسلامي نتيجة خداع مضاعف :

● أرادوا (أي أعداء الإسلام) ان لا يروا فيه إلَّا أداة نقل للثقافات او الأديان الماضية ؛ مترجماً للفكر اليوناني ومعلقاً عليه .

● وأرادوا ألَّا يروا فيه إلَّا تاريخاً سابقاً على تاريخ ثقافتنا مما أدى إلى ترك دراسته لمختصين مكلفين بدراسة ما يرجع إلى الماضي .

● وعلى هذا - في نظر الأعداء - فالإسلام لا يأتي بشيء فيه جديد ، ولا يشتمل اليوم على شيء فيه حياة ، ولا يسكن إلَّا ماضينا ، ولا يبشر بشيء ولا يعد بخير .

ويرد جارودي على ما تقدم فيقول مقرراً الحقائق التي أثبتها التاريخ وحركة الكون نفسه :

١ - ليس صحيحاً أن الفكر الإسلامي لم يكن إلَّا أداة نقل وترجمة للفكر الإغريقي ، فالرياضيات الإغريقية كانت تقوم على مفهوم النهائي والرياضيات العربية على مفهوم غير النهائي .

٢ - والمنطق الإغريقي كان نظرياً ، والعلم العربي كان تجريبياً إلى حد كبير .

٣ - والهندسة المعمارية الإغريقية كانت مبنية على « الخط المستقيم » أمَّا المسجد فكان - خلافاً للمعبد الإغريقي - مجموعة متناغمة من المنحنيات بأقواسه وقبابه .

٤ - والفلسفة الإغريقية كانت - من برمنيدس إلى أرسطو - فلسفة وجود ، والفلسفة العربية كانت فلسفة عمل .. فلسفة عملية لا نظرية في الجوهر والمعرفة .

٥ - وليس صحيحاً أن العلم العربي مجرد تاريخ انتهى قبل أن يبدأ تاريخ علمنا فالعلم العربي لم ينته لانه لا يفصل العلم عن الحكمة كما أن نهضة الغرب لم تبدأ في إيطالية بل بدأت في إسبانية مع إشعاعات علوم العرب المسلمين وثقافتهم .

كتاب في مقال

■ الفلسفتان الرأسمالية والشيوعية مختلفتان في الظاهر لكنهما في الحقيقة تعتمدان الأنموذج الثقافي نفسه وتسيران في طريق مسدود وتؤديان إلى الإفلاس البشري . ■

مقارنـــــة

يعقد المفكر الفرنسي المسلم مقارنة تستدعي أن نتابعها فيقول :

(... ففي عهد البعثة النبوية كانت تتجابه قوتان عظميان : الإمبراطورية البيزنطية وامبراطورية الساسانيين في إيران وكلتاهما مصابتان بالانحطاط نفسه . واليوم تتجابه من جديد قوتان عظميان أخريان : الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفييتي . وترميان إلى اقتسام العالم بين القوتين اللتين تعلنان عن عقيدتين هما في الظاهر مختلفتان لكنهما في الحقيقة تعتمدان الأنموذج الثقافي نفسه ذا النمط المترف ، وتسيران في طريق مسدود وتؤديان إلى الإفلاس البشري) .

مــاذا يقدّم الإســلام ؟

يقول المفكر : (... في أزمة الغايات - أو بالحري في هذا الغياب غياب الغاية الإنسانية والإلهية - يمكن للإسلام أن يقدم إلى العالم ، ما ينقص هذا العالم ، وهو نقص مميت ، نعم : يمكن أن يقدم له معنى الحياة :

● الإسلام دين التوحيد ففي حين أن عالمنا : عالم المنافسة والنمو الكمي والعنف تبدو فيه الأحداث حصيلة القوى العمياء المتصارعة يعلمنا القرآن الكريم النظر إلى الكون والبشر على أنهما كُلٌ واحد ، ويعلمنا الله أن نرى في كل شيء وفي كل حدث آية من آيات الله رمزاً لحقيقة أسمى هي حقيقة النظام الواحد للطبيعة والمجتمع ولأنفسنا : فكل شيء في العالم خاضع لإرادة الله : فالحجر في سقوطه ، والنبات في نموه ، والحيوان في غرائزه كلها خاضعة ، غير أن هذا الخضوع لا ينبع من إرادتها فهي لا تستطيع الإفلات من القوانين التي تحكمها . ويبين المفكر تكريم الله تعالى للإنسان بإعطائه العقل مع الإيمان ليميز الخير والشر فيقول : إن الإنسان مسؤول مسؤولية كاملة عن مصيره إذ في مقدوره أن يعصى شريعة الله أو أن يستسلم لها . ويربط المفكر بين عقيدة المسلم ودنياه فيقول عن الصلاة : إنها نعمة من الله تعالى على الإنسان كي تستجيب حركته لله تبارك وتعالى ، فحركات الصلاة المتلائمة مع طلوع الكواكب وغروبها إنما تدخل الإنسان في النظام الكوني حتى إنَّ إشارات الصلاة تجمع في الإنسان الحركات بالنسبة لجميع مستويات الوجود ، فالذي يصلي ينتصب واقفاً كالجبال ، يركع ويرفع كالنجوم ، ويسجد وينهض وينحني كالنخلة أو كالكائنات الحية تنحني إلى الأرض وتخفض رأسها لمصدر حياتها .

وتبرز فلسفة المفكر رجاء جارودي عندما يخضع الفلسفة للدين الحنيف فيقول : والصَّلاة تربط الإنسان بالخالق سبحانه وتعالى ثم تربطه كذلك بالبشر جميعاً فإن قِبْلات(*) جميع مساجد العالم تشكل حول الأرض دوائر متحدة المركز ترمي إلى الوحدانية العليا ، وتتغير مواقيت الصلاة بتغير خطوط الطول ليكون هناك في كل لحظة جبهة تسجد وأخرى ترفع من السجود في موجة عظيمة من العبادة تتدفق بلا انقطاع في أرجاء الأرض .

● الإسلام لا يفصل بين الإيمان والعلم والتقنية بل يجمع بينها في كل لا يتجزأ ، لا يفصل بين البحث عن القوانين والأسباب وبين البحث عن الغايات والمعاني ، فالإسلام لا يفصل الدين عن الاقتصاد والسياسة فالملكية في الإسلام ليست محددة كما في القانون الروماني ، وليست رأسمالية من حيث حق الاستعمال وإساءة الاستعمال ، ذلك أن الله هو المالك الأوحد ، وإدارة أموال الأرض إنما هي وظيفة اجتماعية ، واستعمال الملكية مقيد دائماً بأهداف أسمى من الفرد ومصلحته الخاصة .

وصيحة الديانة الإسلامية : الله أكْبر تُحدُّ من كل مقدرة ومن كل مال ومن كل علم ومن كل سلطان إلاَّ سلطان الله . والإسلام ينفي ما يسمى بنظرية « الحق الإلهي » التي تجعل من الأمير وكيلاً عن الله في الأرض كما ينفي الإسلام الديمقراطية القائمة على التفويض والتنازل عن السلطة إلى منتخب أو حزب .

وينتقل المؤلف إلى تأكيد أن ما جاء به رسول الله ﷺ إنما جاءه من عند ربه ، وأن الوحي الإلهي لا ينبغي علينا أن نضعه في إطار زمني من تاريخ ، أو من ثقافة أو من حياة شعب ، ومن الخطأ الفادح أن نفصل شريعة الله عن حياتنا لأن الإسلام بقرآنه وسنة نبيه ﷺ حركة وحياة إلى يوم القيامة .

دور الصهيونية ضد الإسلام

يتحدث المؤلف عن الجهود التي بذلها من أجل إنشاء (المعهد الدولي للحوار بين الحضارات) في كل من باريس وجنيف ، ثم يتحدث عن الدعاية الصهيونية بفاعليتها وتنظيمها في الغرب إلى حدّ مخيف باعتبارها

■ الصهيونية تشكل أحد العوائق الخطيرة أمام فهم الغرب للعالم العربي الإسلامي . ■

■ الوفاء لدار الأجداد لا يكون بالحفاظ على رفاتهم وإنما بتناقل المشعل من يد إلى يد . ■

تشكل أحد العوائق الخطيرة أمام فهم الغرب للعالم العربي الإسلامي .

وعن وسائل الصهيونية في هذا المقام يقول :

(١) نجحت الدعاية الصهيونية في تمرير الدعاوى الفكرية والأسطورية على أنها واقعة ، وقد انخدع الغرب بها ، كما أن الدعاية الصهيونية تساعدها التعاليم النصرانية المتداولة التي تكفل ما يسمى بفكرة الوعد التي تدعي - على أساس توراتي وتاريخي - الاستيلاء على أرض فلسطين وطرد شعبها من أرضه وبلاده ، كما أن ما يسمى بفكرة (شعب الله المختار) ترى الكنائس النصرانية والغرب أنها الوارثة والخليفة لـ (الشعب المختار) والمتضامنة معه والمكلفة بالرسالة نفسها .

(٢) بهذا الخلط المستمر بين (إسرائيل التوراتية) وبين (دولة إسرائيل الحديثة) فإن هذه الأخيرة يمكنها أن تلعب - دون أن يعاقبها أحد - دور الخليفة للاستعمار الغربي الجماعي .

(٣) وتعتمد الصهيونية على ما تقدم ، والذي يفسر تمويل إسرائيل التي تتلقى من الخارج من الولايات المتحدة الأمريكية ومن المنظمات الصهيونية العالمية معظم مواردها .

(٤) وتستخدم إسرائيل أساطير الصهيونية تبريراً تاريخياً وتوراتياً لأهدافها التوسعية ليس فقط من النيل إلى الفرات بل - كما يعلن أرييل شارون - إلى الدردنيل والسويس والخليج والمغرب .

مهمتنا نحو الغرب

يختتم الكتاب صفحاته بتوضيح أن مهمة المسلمين تفهيم الغرب أن التوسع الصهيوني لا يهدد الفلسطينيين واللبنانيين فحسب بل يهدد مستقبل العالم وان القضية العربية هي قضية الجميع .

● إن شرح أهداف الصهيونية ووسائلها ومغزاها لا يجب أن يقف عند العمل السياسي وحده بل يجب إبراز السياسة العنصرية للصهيونية في كل مقام .

● تفهيم الغرب أن الإسلام يمكنه أن ينقذ العالم كله من شفا الحرب النووية بتقديم الأنموذج الأمثل للحياة النظيفة الكاملة .

ويقترح المفكر الفرنسي المسلم تنفيذ ما يلي :

١ - ربط البحث النظري بالشرح اليومي عن طريق توضيح مرامي الصهيونية التوسعية على المدى الطويل ، والكشف عن عقيدتها الفكرية وأسطوريتها .

٢ - التنسيق الكامل للتواجد والتأثير في الصحافة الغربية والإذاعة والتلفاز ، ونشر الكتب الميسرة لوضعها في متناول الجميع وخاصة الطلاب .

٣ - تأسيس مراكز للصلاة والتعليم الإسلامي والثقافي في الغرب وخاصة في فرنسا .

٤ - إعطاء دفعة جديدة ونشاط إشعاعي للمؤسسة الإسلامية في جنيف - وغيرها في بلاد الغرب - لإنشاء مساجد ومراكز إسلامية .

٥ - يمكن في أحد بلدان الخليج النفطية تأسيس وحدة أو أكثر لإنتاج البروتينات الخاصة بتربية الحيوان إذ أنها تحتل - لا سيما في أوروبا - مكانة من الدرجة الأولى في صناعة التغذية الحيوانية وبخاصة تغذية البقر في حين أن إنتاج اللحم في أوروبا اليوم إنما يتعلق تماماً بالصويا (فول الصويا) التي يمكن استبدال هذه البروتينات بها (فإذا ارتبطت أوروبا إلى حد كبير بالبلدان النفطية - لا بطاقتها فحسب بل أيضاً بتموينها الغذائي - فهذا يعدِّل العلاقات بين أوروبا والبلدان العربية تعديلاً عميقاً على كل المستويات .

وينهي الكتاب صفحاته بالعبارة الأخيرة إذ يقول :

(... إن الإسلام كتتويج لذرية إبراهيم - عليه السلام - وقد دعا الإنسان من خلال اليهودية والنصرانية والإسلام إلى البحث عن غايته العليا وإلى تحقيقها يمكنه مرة ثانية أن يبعث الأمل في مجتمعاتنا الغربية التي خربتها الفردية وخربها أنموذج النمو الذي يسوق العالم كله إلى الانتحار ، ولن نستطيع القيام بهذه المهمة إلَّا بشرط هو أن لا ننسى أبداً أن الوفاء لدار الأجداد لا يكون بالحفاظ على رفاتهم وإنما بتناقل المشعل من يد إلى يد) .

(*) يقصد المؤلف بالطبع اتجاهات المساجد كلها حيث إنه لا توجد إلَّا قبلة واحدة للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها هي : الكعبة المشرفة ، بيت الله الحرام .

تصريحات وأقوال

■■ [إن العرب يريدون أن يستعيدوا الأرض المقدسة في فلسطين ويريدون أن يستعيدوا القدس ويريدون أن يدافعوا عن حقوق المسلمين المغتصبة في كثير من أرجاء العالم ولن يستطيعوا ذلك إلَّا بالجهاد الإسلامي وهذا الجهاد غير وارد في العقيدتين العسكريتين الشرقية والغربية .] ■■

(اللواء الركن محمود شيت خطاب)

■■ [... العرب لن يجازفوا بمجتمعاتهم الاستهلاكية الجديدة من أجل القضية الفلسطينية .] ■■

(الدكتور فؤاد عجمي ـ مدير قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة جونز هوبكنز)

■■ [... إن حلف شمال الأطلسي يكلِّف الولايات المتحدة (٧٠) بليون دولار سنوياً ، فما قيمة خمسة بلايين لإسرائيل ، أو حتى عشرة ، بالمقابل ؟] ■■

(شمعـون بيريز)

■■ [إن رجال الفضاء السوفييت هم ضباط استخبارات .] ■■

(« ألن دولز » في كتابه : « فن الاستعلام »)

■■ [إن السوفييت ينفقون يومياً خمسة وثلاثين مليون دولار على الحرب في أفغانستان ، وإن نصف هذا المبلغ مخصص لأعمال الاستخبارات ورشوة القبائل .] ■■

(قلب الدين حكمتيار ـ من مجاهدي أفغانستان)

■■ [إن استمرار تقدم الهجرة اليهودية ليس فقط المهمة المركزية للدولة اليهودية ، بل هو التبرير الجوهري لتأسيسها ووجودها .. إن توقف الهجرة اليهودية بمثابة تقويض لِحَقِّنا في الاستيطان بالبلاد .. وربما قضى على حقنا نهائياً في الأرض .] ■■

(دافيد بن جوريون ـ من رسالة إلى زوجته ١٩٣٧م)

■■ [لقد ظهرت القوات الأمريكية في لبنان وكأنها ظهير للجيش اللبناني .. أما من الناحية السياسية فقد ظهرت كنصير للسياسة الخارجية الإسرائيلية .] ■■

(« . بريجنسكي » مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق)

● محمود شيت خطاب ●

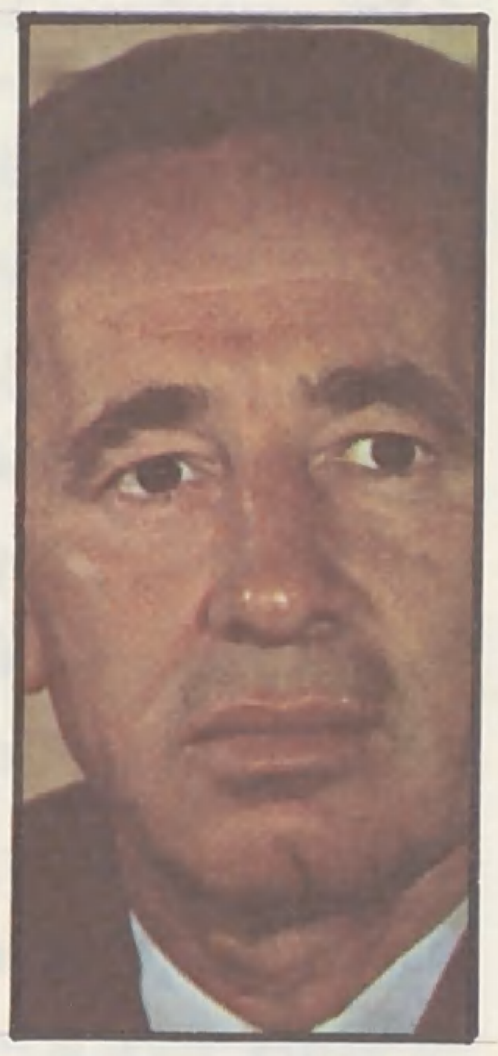

● شمعـون بيريز ●

● دافيد بن جوريون ●

● بريجنسـكي ●

تاريخ حرب المحرقات ونتائجها

بقلم : اللواء الركن : محمود شيت خطاب

١

■■ كان صنع الأسلحة المحرقة في تطور منذ قرون طويلة ؛ شأنها في ذلك شأن أكثر الأسلحة الحديثة الأخرى ، وقد زادت أهميتها وقَلَّت بالنسبة إلى الأسلحة الأخرى في أوقات مختلفة وأقسام مختلفة من العالم ؛ ولكننا إذ ننظر إلى الماضي يتضح لنا أنها اليوم في عهد جديد من الارتقاء ؛ لوجود بعض الأغراض العسكرية التي تؤدي إلى ارتقاء أسلحة المحرِقات . ■■

شيء من التاريخ :

لقد رافقت النارُ الحربَ منذ القدم ، واستخدمت لإحلال الدَّمار بمساكن العدو وأمواله ومزروعاته ، غير أن استخدام النار وسيلة من وسائل التعبية التي تستهدف حرق الأرض يختلف عن استخدامها سلاحاً ؛ أي وسيلة تبسط بها على العدو قوَّة ممكنة التنظيم . وقد كان استخدام النار سلاحاً قد اقتصر زمناً طويلاً على عمليات متخصِّصة تتعلق بالحصار والحرب البحرية ؛ وذلك لأسباب فنيَّة .

وفي هذا المجال يمتد تاريخ حرب المحرقات المدوّن إلى ما قبل حوالي ثلاثة آلاف سنة ، فقد اكتشفت مثلاً نقوش آشورية بارزة ظهر فيها المدافعون عن مدينة محاصرة في القرن التاسع قبل الميلاد وهم يصدون آلات الحصار بإلقاء سائل محترق عليها . والأمثلة اليونانية والرومانية عن أسلحة النار البحرية هي : (**سفينة النار**) التي كانت تسير مع الريح حتى تصطدم بأساطيل العدو أو موانيه ، و (**النار الإغريقية**) أشهر سلاح محرق من أسلحة العالم القديم والتي استخدمها البيزنطيون أول ما استخدموها في حرب المسلمين حين حاصروا القسطنطينية بقيادة مَسْلَمَة بن عبد الملك بن مروان على عهد أخيه سليمان بن عبد الملك ، وهذه النار تتكون من مركّب محرق سائل ذي أساس نفطي برز في القرن السابع للميلاد ، والذي نستطيع أن نفهمه من الأخبار المتضاربة عن هذا السلاح أن خواصه تكمن في وسيلة الإيصال التي صممها له المهندس والمعماري السوري (**كالينيكس** Callinicus) ، الا وهي مضخة كبيرة الطاقة يمكن أن تُركَّب في مقدم السفينة الحربية أو على سور المدينة ...

ونشأت مع نشوء المدفعية الذي أعقب اكتشاف البارود أنواع جديدة من القذائف المحرقة ، فاتصل بذلك خط التطور الذي يرجع إلى السهم الناري ، ولكن لم تلبث قنابل المدفعية ذات المتفجرات أن تغلبت على هذه العُدد المحرقة الجديدة ، ولم يشع استخدامها مرة أخرى حتى السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر الميلادي ؛ وكان الهدف الأول من استخدامها - كالسهم الناري - إشعال النيران في حصون العدو ، أو تدمير سفنه في البحر .

وقد طوّرت الأسلحة المحرقة سريعاً في الحرب العالمية الأولى ؛ شأنها شأن جوانب أخرى من الفن الصناعي العسكري . وبالرغم من أن الوسائل الفنية لحرب المحرقات لم تحظ بمكانة كبيرة أثناء الحرب ، فقد كانت تؤلف السابقات التي نمت منها الوسائل التي تستعمل اليوم .

إن أخطر الأساليب التي اشتملت عليها الحرب العالمية الأولى ، هو استخدام سفن الهواء والطائرات لإلقاء القنابل المحرقة على أهداف واقعة في أعماق مؤخرة العدو أو في وطن العدو . وقد قام الجانبان المتحاربان بعمليات من هذا النوع ، ولكن مقياسها كان صغيراً نسبياً ؛ نظراً إلى أن مقدرة الطائرات يومذاك كانت قليلة ، فمجموع القنابل المحرقة التي أسقطت على المدن البريطانية مثلاً لم يزد عن حوالي ثلاثة آلاف قنبلة - مع عدد أكبر من القنابل المهداد - ولكنها أذعرت المدنيين أيما ذعر .

فقد استخدم الجيش الألماني في أوائل الحرب العالمية الأولى قاذفات اللهب التي كان مشغولاً بصنعها في السنوات التي سبقت الحرب ، وهي سلاح ثقيل غير مُتَنَقِّل كثير الشبه بأنبوب كالينيكس الذي تقذف به النار الإغريقية : استخدمت لقذف مجرى ملتهب من الزيت على النقطة الحصينة في منظومة خنادق العدو ، قبل أن يصول عليه المشاة مباشرة . وقد نجحت احياناً في هذه المهمة نجاحاً تعبوياً ، وقلَّدها فيها أكثر الدول المتحاربة الأخرى . وصُنعت انواع محمولة منها ايضاً ، ولكن هذه الأسلحة عموماً كانت مفرطة في التعقيد ، ولا يُعتمد عليها ، وفيها خطر على من يستعملها ، فلم تكن لذلك كله ذات قيمة عسكرية كبيرة .

وقد استخدمت في الحرب العالمية الأولى استخداماً كثيراً قنابل محرقة تُرمى من المدافع أو هواوين الخنادق لإشعال النَّار في منظومات خنادق العدو أو وسائل

تاريخ حرب المحرقات ونتائجها

إسناده ، واستخدمت كذلك لمقاتلة الأفراد بأن رُكِّبت فيها صمامات توقيت حتى تصعق في الهواء ممطرة وابلاً من جزيئات الفسفور الأبيض المحترقة أو الحديد المنصهر (**من مركبات الثيرمايت**) ، وغالباً ما استخدمت الجماعات المغيرة رمانات يدوية مملوءة بالفسفور الأبيض أو الثيرمايت .

ويبدو أن علماء الأسلحة والمفكرين العسكريين لم يكن عندهم في العقدين اللذين أعقبا الحرب العالمية الأولى اهتمام بالأسلحة المحرقة ؛ لأن تأثيرها في تلك الحرب لم يكن تأثيراً باهراً ؛ أو كانوا مختلفين في شأن ما يمكن أن يكون لها من جدوىً ؛ فالذين أدركوا أن القتال من الجو ـ ولا سيما مقاتلة الأهداف المدنية ـ يمكن أن يكون ذا أهمية كبيرة في المستقبل رأوا أن القنابل المحرقة الملقاة من الطائرات ذات فوائد محتملة أكثر من الأنواع الأخرىٰ من الأسلحة المحرقة ، ولو أنه لم يكن جلياً في ذلك الوقت أن القنابل المحرقة تفوق في أي شيء القنابل المهداد . وكانت طائفة في البلدان المنهمكة بصنع الدبابات ترىٰ أن عجلات القتال المدرعة قد زادت من الفوائد المرجوة من قاذفات اللهب ؛ لأنها قد تزيد قابلية حركتها وتقلّل من وهن العمليات التي تستخدم فيها . وقد ارتُئِيَ أن قاذفات اللهب الآلية المركبة على عجلات قتال يمكن أن تكون وسيلة لخرق المناطق الدفاعية العظيمة التي كانت تُبنى في تلك السنوات ـ مثل خط ماجينو ـ وارتُئِيَ أيضاً أن وضع قاذفات اللهب في منعات قد يكون ذا قيمة كبيرة في الدفاع عن هذه المناطق .

لقد طبقت بضعة من هذه الأمور المكنة في العقد الرابع من القرن العشرين ، فاستخدمت قاذفات اللهب المحمولة وكذلك المركبة على الدبابات في الحرب بين إيطاليا والحبشة والحرب الأهلية الأسبانية ، واستخدمت القنابل المحرقة في هجمات على مناطق مأهولة ، وقد استثارت هذه الأحداث اهتماماً عسكرياً واسع المدىٰ ، فوضعت كل القوىٰ العسكرية الكبيرة مناهج لتطوير الحرب بالمحرقات أو زادت من سرعة تنفيذها . فلما نشبت الحرب العالمية الثانية ، كان كثير من الأسلحة الحديثة جاهزاً ، ينتظر أن يُجرَّب في ميدان القتال .

في الحـــرب العالمية الثانية وما بعدها

الغارات الجوية على المدن بالمحرقات

سنتطرق إلى استخدام الأسلحة منذ أيام الحرب العالمية الثانية حتى اليوم في مهاجمة المدنيين ، والبيئة الطبيعية التي يعيشون فيها ، ووسائل إنتاجهم ومعاشهم . إن مبدأ التفريق بين المحاربين وبين غير المحاربين ـ على ما له من شأن خطير ـ غالباً ما يُستهان به في الحرب الشاملة أو الحرب الإجماعية كما يسمونها في قسم من البلدان العربية أو الحرب الاعتصابية في بلدان أخرىٰ ، والمصطلح المعتمد هو : **الحرب الإجماعية** .

ويتعرض غير المحاربين من السكان في منطقة ما لخطر كبير في المنازعات التي ليس فيها خطوط أمامية واضحة التحديد ، فهم معرضون لخطر الاشتباه بأنهم محاربون والجد في طلبهم وتوخيهم للهجوم المباشر ، ففي حرب فيتنام مثلاً تعرضت مجموعات كثيرة من الأكواخ المنعزلة للهجوم ، ولا شك في أن غير حرب فيتنام قد حصل فيها ما حصل في حرب فيتنام ، فذهب الأخضر بسعر اليابس وغير المحارب بسعر المحارب . ويزداد احتمال الخطأ في التمييز بين المحاربين وغير المحاربين في هذه الظروف حتى عندما يكون ذلك ممكناً ، حين تُتَّخذ قرارات الهجوم على عجل ، ويكون المهاجم بعيداً عن الهدف . وقد لا يقلّ ما يصيب غير المحاربين عما يصيب المحاربين ، عندما تُستخدم أسلحة مدمِّرة ، مثل قنابل النابالم النارية ، التي لا تُعدّ عشوائيتها عيباً يقيّد استعمالها ، بل مزية تعبوية هي التأثير في المنطقة بكاملها .

وقد كان استخدام الأسلحة المحرقة في السنة الأولى من الحرب العالمية الثانية مقصوراً على ميدان القتال إلى حدٍّ بعيد ، ولكن ابتدات مع الغارة الجوية على لندن في أيلول (سبتمبر) من سنة ١٩٤٠م ، وهي الغارة التي تضمنت استخدام القنابل المحرقة ، عملية زيادة دائمة في الشدة حتى استقر شأن الهجوم الجوي بالمحرقات على أنه أفتك وسيلة من وسائل التدمير الشامل استُخدمت في الحرب حتى الآن . وكانت أهداف هذه الهجمات أول الأمر عسكرية ظاهراً ، ولكن لم يكن مفر من أن ينزل بالمدنيين العاملين فيها أو الساكنين حولها أذىً كبير من شدة انعدام الدقة في أساليب القصف القديمة . وقد خرقت حصانة غير المحاربين التي نص عليها قانون الحرب الدولي مصادفة أول الأمر (على ما يقول به أناس) ، ولكنها خُرقت بعد ذلك عمداً ، ثم لم تلبث ان غدا المدنيون في بلاد العدو هدفاً أساسياً تتوخاه حملة القصف السوقي ، وكانت الأسلحة المحرقة من أفتك الوسائل وانجحها .

وبالرغم من أن الأسلحة المحرقة استُخدمت في الهجوم الجوي على المدن قبل الحرب العالمية الثانية ، فقليل مَنْ توقع رؤية مشاهد الخراب الفظيع الذي أسفر عنه استخدامها في تلك الحرب ، فالقنابل التي أُلقيت على مدينة يابانية يبلغ وزنها حوالي مائة ألف طن ، وتكاد تكون كلها من المحرقات ، وكان ثمانون بالمائة وزناً من المحرقات قنابل نابالم ، وما تبقى مغنيسيوم أو ثيرمايت ، فقتلت الغارات الجوية مائتين وستين ألفاً (٢٦٠,٠٠٠) ، وأصابت اربعمائة واثني عشر ألفاً (٤١٢,٠٠٠) غيرهم من السكان ، ودمِّرت ما يقرب من مليونين وربع المليون من المساكن ، وتركت تسعة ملايين ومائتي ألف بلا مأوىً .

أما ألمانيا ، فأُلقي على المناطق المأهولة فيها مليون وثلاثمائة وخمسون ألف طن من القنابل ، إذ استُهدف تسع وأربعون مدينة لهجوم واسع كبير . وكان أكثر من ثلاثة أرباع الإصابات التي حصلت للمدنيين ناتجاً عن الحروق ، على أن أقل من ربع القنابل التي أُلقيت كان من القنابل المحرقة . ويُقدَّر عدد المدنيين الذين أُصيبوا في الغارات الجوية على ألمانيا بمليون وأربعين ألفاً ، من بينهم واحد وستون ألف (٦١,٠٠٠) قتيل .

والمدنيون الذين أصيبوا في المملكة المتحدة في الغارات الجوية مائة وسبعة واربعون الفاً (١٤٧,٠٠٠) من بينهم واحد وستون الف (٦١,٠٠٠) قتيل .

وكان يُظن في السنوات الأولى من الحرب العالمية الثانية أن القنابل المهداد أفضل من المحرقات في الهجوم على المناطق المدنية ، ولكن تبين بعد ذلك من تحليل صور الاستطلاع ووسائل التمحيص الأخرىٰ ، أن الأمر خلاف ذلك ، فاخذ استعمال المحرقات يتزايد منذ ذلك تزايداً سريعاً . وتبين من حساب أُجري على أساس ما شوهد في المانيا ، ان طناً واحداً من المحرقات يُحدث من الضرر المادي مثل ما تحدثه اربعة أطنان وثمانية اعشار الطن (٤,٨) من القنابل المهداد . وكذلك وُجد في اليابان أن تدمير المحرقات للأهداف الفورية الاحتراق كان أقوىٰ من القنابل

■ **إن طناً واحداً من المحرقات يحدث من الضرر المادي ما تحدثه أربعة أطنان وثمانية أعشار الطن من القنابل المهداد ، كما أن تدمير المحرقات للأهداف الفورية الاحتراق أقوىٰ باثنتي عشرة مرة منها .** ■

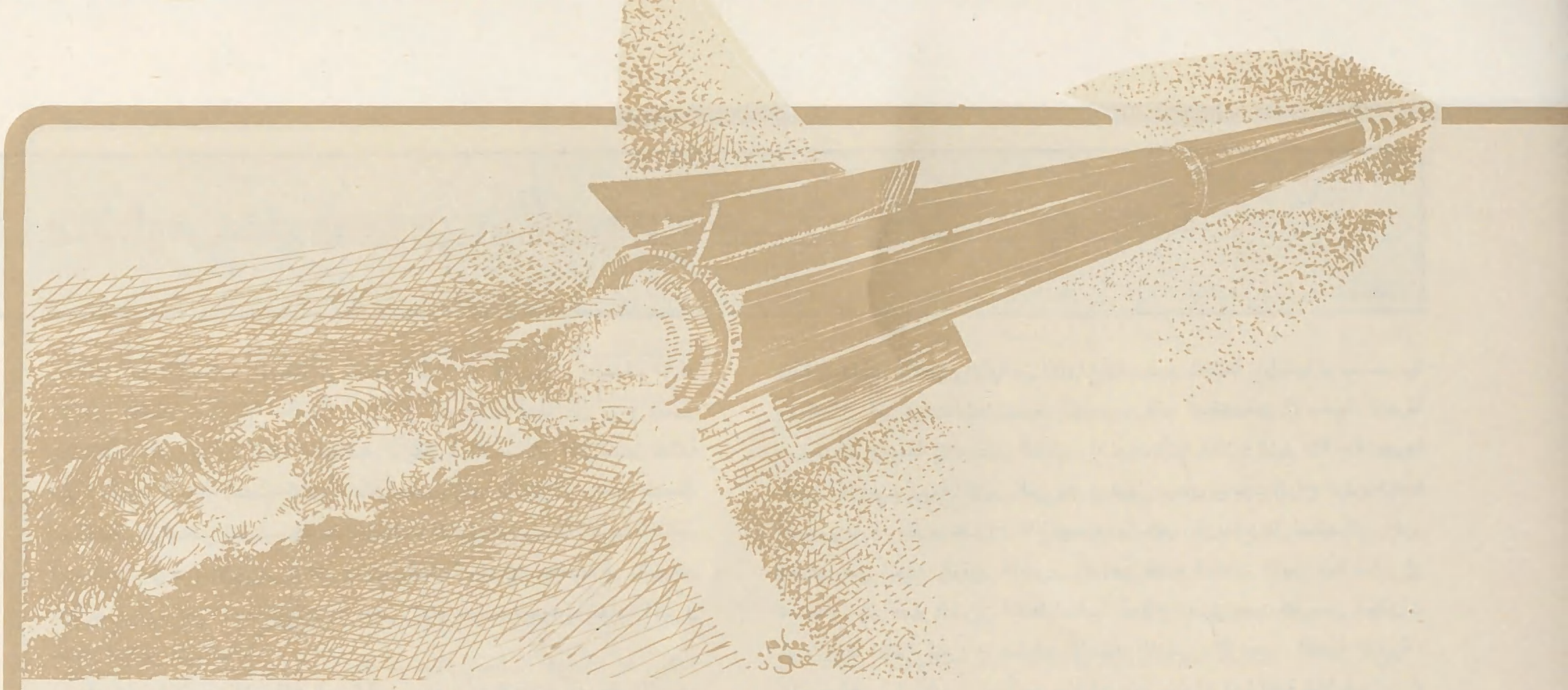

المهداد باثنتي عشرة مرة ، وتأثيرها في الأهداف المقاومة للحريق أقوى بمقدار مرة ونصف المرة .

وكانت الغارتان الجويتان على مدينة هامبورغ في صيف سنة ١٩٤٣م ومدينة دريزدن في شباط (فبراير) من سنة ١٩٤٥م أشد الغارات الجّوية على ألمانيا تخريباً وفتكاً ، فقد أُلقي فيهما أطنان كثيرة من الأسلحة المحرقة ، ونجحتا في إحداث عواصف نارية ، وقتل فيها أعداد هائلة من الناس . وبالرغم من افتقارنا إلى أرقام إحصائية موثوق بها عن أية من هاتين الغارتين الجويتين ، فإنه يعتقد أن ما يقرب من مائة وخمسة وثلاثين ألفاً (١٣٥,٠٠٠) قتلوا في الغارة على دريزدن ، ومن الروايات الأخرىٰ ما يذكر أرقاماً أكبر ، ومنها ما يذكر أرقاماً أقل ، وقد طفحت المدينة باللاجئين الذين لم يُسجّل وجود كثير منهم فيها ، ولم يبق من السكان في مناطق عديدة غير أكوام من جثث قد تفحمت حتى استعصت على التمييز ، وتفسخ كثير منها تفسخاً تاماً . لقد كانت القنابل المحرقة لا تقل عن ثلثي ما أُلقي على المدينة في الثالث عشر والرابع عشر من شباط (فبراير) سنة ١٩٤٥م من القنابل التي بلغ وزنها ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسين (٣٧٥٠) طناً .

وكان الهجوم على هامبورغ متقطعاً ولكن شديداً في صيف ١٩٤٣م ، فقد أضيئت المدينة بأربعة آلاف وأربعمائة (٤٤٠٠) طن من القنابل المهداد ، وألفين وسبعمائة (٢٧٠٠) طن من محرقات مغنيسيوم/ثيرميت ، وألف وتسعمائة (١٩٠٠) طن من قنابل البنزين المغلظ . وطارت القاصفات حوالي ثلاثة آلاف طيرة في واجبات قصف فوق المدينة ، واستُنفر لتجهيزها وإدارتها مائة ألف (١٠٠,٠٠٠) فرد . وقد نُفِّذت أكثر الهجمات في أحوال قصف متصفة بالكمال على عدو قد شُوِّشت منظومة إنذاره الرادارية سلفاً ، وثبت أن دفاعاته الأرضية والجوية ضعيفة ضعفاً غير مألوف . وكان الجو حاراً وجافاً ، وقد كسر الهجوم الأول عدَّة أقفال من أقفال مصادر الماء الرئيسة حتى لا يمكن حينذاك من إطفاء الحرائق ، ولا يكون هناك أي أمل في النجاح في إطفائها بعد ذلك . وكان في هجوم الليلة الواقعة بين السابع والعشرين والثامن والعشرين من تموز (يوليو) شدَّة وتنسيق أدّيا إلى تأجيج حريق هائل تحول بعد ذلك إلى عاصفة نارية تشبه الإعصار . وقد احترق إسفلت الشوارع ودمر حوالي نصف مساكن المدينة تدميراً تاماً ، ولم يسلم من الدمار إلَّا عشرون بالمائة من النصف الآخر ، وشمل الدمار حوالي خمسة وثلاثين (٣٥) كيلومتراً مربعاً من مركز المدينة تاركاً هناك اربعين مليون طن من الأنقاض ، وقُتل في ذلك ثلاثة واربعون ألفاً (٤٣,٠٠٠) أويزيدون ، واستغرق استخراج الجثث من تحت الأنقاض اكثر من شهرين .

■ إن مبدأ التفريق بين المحاربين وبين غير المحاربين ـ على ما له من شأن خطير ـ غالباً ما يستهان به في الحرب الشاملة . ■

ولم يستعمل في الهجوم على طوكيو في الليلة الواقعة بين التاسع والعاشر من آذار (مارس) من سنة ١٩٤٥م سوى المحرقات ، وقد تجاوز هذا الهجوم من حيث عدد الذين ماتوا فيه الدمار الذي أحدثه أي من الهجومين النوويين اللذين أعقباه على هيروشيما وناغازاكي ، فقد أُلقي من مائتين وتسع وسبعين قاصفة (٢٧٩) ألف وستمائة وخمسة وستون (١٦٦٥) طناً من قنابل النابالم ، أكثرها عناقيد من المعدات الصغيرة ذات قذف القاعدة التي وزنها ستة باوندات ، فما انقضى نصف ساعة حتى كانت النيران قد سيطرت على مركز المدينة الفوري الالتهاب ، ثم هبَّت على الحريق ريح شديدة فاستحالت إلى حريق هائل الضخامة ، أدَّىٰ آخر الأمر إلى تدمير أو تخريب شديد شمل حوالي ستين كيلومتراً مربعاً من طوكيو ، وكان لهبها يُرىٰ من مسافة أربعين ميلاً ، وقد نجت من التدمير الشامل طائفة من الأبنية الحديثة المقاومة للحرائق الموجودة في وسط المدينة . أما الغالب ، حتى من هذا النوع من المباني ، فقد غادرته النيران هياكل مزعزعة ، وذاب الكونكريت والزجاج والقضبان الفولاذية من شدة الحرارة ، واستحالت البنايات الخشبية لهباً قبل أن تصلها جبهة الحريق فعلاً . وقد أفلح جماعة من السكان في الفرار سالكين دروب النار العريضة ، غير أن كثيرين أحاطت بهم السنة اللهب وماتوا اختناقاً أو بتأثير الحروق . أما الذين هربوا صوب قنوات المدينة ، فواجهوا الموت بالماء المحرق أو بأقدام الحشد الهائل من الناس المذعورين الذين تراكضوا نحوها وألقوا أنفسهم فوقهم فحطموهم . ويُقدَّر عدد الذين ماتوا في ذلك ثلاثة وثمانون الفاً وثمانمائة إنسان (٨٣,٨٠٠) ، وأصيب واحد وأربعون الفاً (٤١,٠٠٠) ، وشرد اكثر من مليون .

وظل الهجوم بالمحرقات من الجو يتكرر على المناطق المأهولة منذ الحرب العالمية الثانية ، وقد حدث مثل مهم من أمثلة ذلك في الحرب الكورية ، عندما دمرت المحرقات قسماً كبيراً من مدينة (بيونغيانغ) في كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٥١م .

الأسلحة المحرقة والأهداف الطبيعية

لقد تكرر الاهتمام باستخدام الأسلحة المحرقة منذ أيام الحرب العالمية الأولى لإيذاء العدو بتدمير زراعته ومناطقه الزراعية ، وكانت المحصولات والمزروعات

تاريخ حرب المحرقات ونتائجها

الحقلية احد الأهداف المتوخاة في خطط الإنهاك او التجويع ، والهدف الآخر الأرض المغطاة بالزروع الطبيعية ؛ إذ أن إحراق ما فيها من زرع يسهل الاستطلاع الجوي أو الإحاطة بالهدف ، أو يقلل من الحسنات التي تجعل طائفة من المناطق الريفية تنتخب لتكون اماكن معسكرات قاعدة أو مناطق قطعات عسكرية ، أو مناطق تموين . ولما كانت أسلحة الرمي الاعتيادية غالباً ما لا تلائم للاستخدام في هذه الأغراض ، فقد ابتكرت أسلحة وأساليب خاصة واستخدمت بدلاً منها ولم تنجح هذه المحاولات إلَّا بقدر ، لعلها ستنجح يوماً ما نجاحاً اكبر في بعض المناطق من العالم .

وقد أُلقي الكثير من المحرقات الوريقية ، ويسمى : (الحلاق الوريقي) ، وهو يتألف من رقيقة صغيرة أو رقيقتين من مواد لدنة قابلة للالتهاب مغلفتين بمركب قادح يحتوي على الفسفور الأبيض الذي يشتعل عند تعرضه للهواء ، ويمكن للطائرات أن تلقي عدة آلاف من هذه الأسلحة على المزروعات ، وأُلقيت أسلحة من قبيل المحرقات الوريقية على مزارع الحبوب في المانيا في المراحل الأولى من الحرب العالمية الثانية .

وكانت بين سنة ١٩٦٥م وسنة ١٩٦٧م محاولات في فيتنام لإشعال حرائق متداعية في مناطق الغابات ، فانتخبت لذلك مناطق جُفِّفت سلفاً الأشجار والنباتات التي تُظلِّلها بمواد الحرب الكيماوية القاتلة للنباتات ، وأُلقيت اعداد كبيرة من المحرقات ، ولكن لم تحدث نيران متداعية ولو ان احدها على الأقل احدث ضرراً محلياً كبيراً ، إذ يبدو ان انتخاب الموسم الجاف للقيام بالهجمات لم يكن كافياً لتحقيق الغاية ، فقد كانت في النباتات رطوبة تحول بينها وبين أن تنقل النار . ولكن يخطىء من يظن أن استخدام الأسلحة المحرقة استخداماً مركزاً لا يستطيع ان يشعل حرائق محلية كبيرة في الغابات أو المناطق الزراعية الأخرىٰ ، حتى لو لم تنشأ عنها حرائق متداعية ، فقد ذكر مثلاً أن عشرات من الكيلومترات المربعة من غابات فيتنام قد دُمِّرت حين أُلقيت عليها اعداد كبيرة من القنابل المحرقة في عملية من عمليات الحرمان .

القتال بالمحرقات في ميدان المعركة

لم تُستعمل أسلحة الميدان المحرقة في الحرب العالمية الثانية استعمالاً بارزاً في غير ساحة المحيط الهادي ، وقد أُضيف احياناً إلى ما في المواضع الدفاعية الحصينة ـ حول موسكو وساحل انكلترا الجنوبي الشرقي مثلاً ـ قاذفات لهب وألغام لهب اندفاعية[1] موضوعة في منعات . وقد كان لدىٰ الجيوش المتحاربة قاذفات اللهب اليدوية والآلية من الأنواع والحجوم المختلفة ، ولكنها لم تستخدمها إلَّا لماما . اما في معارك المحيط الهادي ، فقد استخدمت الأسلحة المحرقة استخداما واسعا في ميادين القتال ؛ إذ وُجد انها ملائمة أشد الملاءمة لطبيعة القتال الأرضي وطبيعة الأرض التي يجري فيها . وحين تيسرت أنواع الوقود المغلَّظ لصابون نابالم منذ صيف ١٩٤٣م تيسر معها حافز آخر يدفع على استعمالها ؛ فإن فضلها على أنواع الوقود الأخرىٰ زاد من قدرة قاذفات اللهب وما يمكن ان تصنعه . وقد صار البنزين المغلَّظ أساسا لسلاح محرق جديد يُلقى من الطائرات ثبت ان له تأثيراً كبيراً في عمليات الإسناد الأرضي ، الا وهو : القنبلة النارية ، التي صنعت أول الأمر ارتجالاً من خزانات وقود طائرات احتياطية تملأ بالبنزين أو الزيوت .

لقد كان وزن أسلحة النابالم التي استخدمت في الحرب العالمية الثانية قليلاً بالنسبة لما استخدم من الأسلحة الأرضية التقليدية ، ولكن تغير الأمر في الحرب الكورية بعد ان بدأ النابالم يحصل على ما له اليوم من شهرة باعتباره سلاحا مفيداً في القتال . وقد وصفه أحد مستعمليه فقال : « إنه أحسن سلاح متعدد الأغراض في كوريا » . وكان مجموع ما استُهلك منه في الحرب اثنين وثلاثين ألفاً وثلاثمائة وخمسة عشر طناً (٣٢,٣١٥) ، وقد استُخدم النابالم بعد ذلك بعدة جيوش في العالم ، ويبدو انه قد استخدم بشكل يكاد يكون مُسلَّما به في عدة منازعات وقعت أخيراً . وكانت فيتنام اوسع مجال استُخدم فيه ، ففي سبعة أشهر أُلقيت فيها قنابل نارية سنة ١٩٦٦م نُشر من النابالم ما يعادل ما استخدم في الحرب الكورية كلها ، بل استخدم اكثر من ذلك فيما بعد . ويقال : إن مجموع ما استهلك حتى آذار (مارس) سنة ١٩٦٨م أكثر من مائة الف (١٠٠,٠٠٠) طن ، يبدو أن أكثرها استخدم في الأسلحة الجوية ، إذ ان هذه الأسلحة كما هو واضح ، يمكن أن تستخدم في مجالات أكثر مما تستخدم فيه أسلحة النابالم الأرضية .

وتعتمد أسلحة الميدان المحرقة الأخرىٰ المستعملة في القتال اليوم على الفسفور الأبيض ، وهذه المادة يمكن أن تؤدي ثلاثة أغراض عسكرية : فهي عامل دخان لأغراض الحجاب ، وعامل محرق لإيقاد النار في المعدَّات الفورية الاشتعال ، وعامل مقاوم للافراد . إن من العوامل الأخرىٰ ما هو اشد تأثيرا واقدر على اداء أي غرض من تلك الأغراض الثلاثة على حدة ، ولكن ما من عامل يؤديها جميعاً ، ولذلك لا يزال الفسفور الأبيض يستخدم بكميات كبيرة .

نتائج حرب المحرقات اجتماعياً واقتصادياً

أظهرت تجارب الماضي ، أن المحرقات من أشد وسائل الدمار والخراب ، وهذا أظهر ما يكون في المناطق التي استخدمت فيها بكميات كبيرة في مقاتلة أهداف في المدن . وإذا استثنينا الأسلحة النووية وربما بعض الأسلحة الجرثومية والكيماوية ، فما من سلاح آخر يضع في أيدي القادة العسكريين قوة مدمرة تشبه قوة المحرقات . وحتى حين يستخدمها الافراد سلاحاً شخصياً يستطيعون أن يهاجموا بها مناطق كبيرة أو يشعلوا حرائق قد تنتشر مسافات أبعد بكثير من اهدافها المباشرة . ولا يمكن السيطرة على تأثير أكثر الأسلحة المحرقة ، خلافا للحال مع الأسلحة الأخرى ؛ مثل الاطلاقات أو حتى القنابل المهداد ، وهي في اساسها عشوائية لا تُميز ، شأنها في ذلك شأن كل أسلحة المناطق ، ولذلك فإنها قد تجلب الموت والدمار للأنفس والأموال والمساكن بلا تمييز بين المقاتلين وغير المقاتلين وبشكل لا يمكن السيطرة عليه .

إن الأسلحة المحرقة ، حين تستخدم في الغارات الكثيفة على اهداف المدن ، تُرينا صورة للحرب بجوانبها كلها ، أي انها تأتي بنتائج وحشية قاسية على المجتمع كله ، وهذه الصفة التدميرية موجودة في الأسلحة الأخرى التي تُكَيَّف

■ على الدولة التي تريد الحفاظ على مصير شعبها من أخطار الأسلحة المحرقة أن تنتج هذه الأسلحة ، وتاريخ الحرب الدولي خير دليل على هذا . ■

للتدمير الشامل ، غير أنه ثبت أن المحرقات تكون في بعض الأحوال ، مدمِّرة تدميراً بالغاً .

وقد وُجد في الحرب العالمية الثانية ، أن بعض المحرقات المتوسطة النوع كان ذا تدمير يزيد على تدمير المهداد بأربعة أمثال أو خمسة ؛ إذ كان تأثيرها يعم مناطق أوسع في مدة أطول ، والمصاعب التي تعترض جهود الانقاذ الدفاعي عند استخدامها . وهذه المقارنة لا تسمح بإطلاق الأحكام العامة عن ما للأنواع المختلفة من الأسلحة من أهمية بالنسبة إلى غيرها ، ولكن المثل الذي أوردناه يوحي مع ذلك بلا شك بأن الأسلحة المحرقة من أقوى الوسائل المعروفة لإحلال الدمار الشامل في مناطق المدن ، لذلك فأية محاولة لتقليل النتائج الاجتماعية والاقتصادية الوخيمة التي تأتي بها الحرب الشاملة ، يجب أن يكون من أكبر أهدافها منع استخدام المحرقات استخداماً كثيفاً .

إن استخدام الأسلحة المحرقة بمقياس الغارات الجوية الكبيرة بالمحرقات التي وقعت في الحرب العالمية الثانية عمل يُكلِّف أموالاً طائلة ؛ فإن ثلاثة ارباع الدمار المادي الذي أحدثته القاصفات في ألمانيا في الحرب العالمية الثانية ، أو أكثر ، كان من تأثير الحرائق . وقد قدِّر بعد الحرب أن كل ميل مربع من الدمار قد كلَّف إحداثه إنفاق ما بين عشرة ملايين وخمسة وثلاثين مليون دولار ؛ طائرات وعتاداً ومعدات . لذلك فالاحتمال القوي ، هو أن تكون الدول الفقيرة في هذا العالم ضحيَّة لهذه الهجمات لا قائمة بها ، وقد تصيبها منها مصاعب ومصائب اقتصادية لا سبيل إلى معالجتها .

أما شكل الجانب الاقتصادي من الأنواع الأخرىٰ من حرب المحرقات فمختلف شيئاً ما ، وأعظم تكاليف الهجمات التي شُنَّت بالمحرقات بمقياس واسع في الحرب العالمية الثانية نشأت من منظومات إيصال المحرقات التي استخدمت - وهي قاصفات معقدة - والخسائر الكبيرة التي منيت بها أمام الدفاعات الجوية المعقدة الراقية . وفي مواقف المنازعات الأخرىٰ التي تكون فيها الأهداف أقل شأناً أو حيث تكون الدفاعات الجوية أضعف أو لا وجود لها ، قد تكون أعداد قليلة نسبياً من طائرات أقل تعقيداً ، بل ربما طائرات مدنية محوَّرة ، وسيلة إيصال مجدية . وفي هذه الظروف ، يمكن أن تكون التكاليف المنخفضة نسبياً للأسلحة المحرقة عاملاً مهماً . فبعض المواد المحرقة - ولا سيما النابالم - بالغة الرخص وسهلة الإنتاج ، حتى في الدول الأقل تطوراً . لذلك يمكن أن نتصور حصول مواقف يمكن أن تسمح للدول المتحاربة التي ليس لها موارد عسكرية أو اقتصادية كبيرة بأن يوقع بعضها ببعض دماراً بالغ الشدة .

وللاستخدام التعبوي للقنابل النارية الملقاة من الجو جانب مهم من جوانب استخدام نابالم بالذات ، ولكنه غالباً ما يبين الطبيعة العشوائية لتأثير حرب المحرقات على المجتمع ، فتأثير كل قنبلة نابالم يشمل منطقة كبيرة ، وغالباً ما يكون إلقاء القنبلة نفسها غير دقيق في إصابة الهدف ، وكثيراً ما تكون الأهداف العسكرية قريبة جداً من الأهداف المدنية ، لذلك كله فقد تُحدث القنابل النارية ضرراً كبيراً للقطاع المدني حتى حينما تكون الأهداف التي يقع عليها الهجوم عسكرية في ظاهر الأمر . وقد يكون لهذا نتائج اجتماعية واقتصادية بعيدة الأثر ، من حيث إجلاء المدنيين اختياراً أو إكراهاً عن مناطق القتال أو انتقالهم عنها . وكذلك قد يحدث أن يستخدم العسكريون أسلحة أرضية محرقة - ولا سيما مثل استخدامهم قاذفات اللهب في قتال الشوارع - استخداماً تنجم عنه إصابات كبيرة بالمدنيين ، وهذا أمر ينبه أيضاً إلى الطبيعة العشوائية في النابالم وغيره من الأسلحة المحرقة .

وقد يستخدم النابالم والأسلحة المحرقة الأخرىٰ في بعض الظروف لتدمير الغابات والمحاصيل الزراعية والنباتات الأخرىٰ ، وهذه الهجمات قد تؤثر بعد مدة قصيرة في توفر المواد الغذائية لدى السكان في تلك المنطقة ، فتنشأ مخاطر سوء التغذية ، وفي الهجمات الشديدة جداً مخاطر مجاعة قد تهدد تهديداً بالغاً حياة الأطفال والشيوخ . كذلك قد يُقصد بهذه الهجمات تدمير بعض مصادر الموارد الخام كالخشب والمطاط ، وإذا نجحوا فقد تمر سنوات كثيرة إلى أن تستعيد المناطق المصابة مقدرتها على الإنتاج . ثم إن المعروف أن حرق غابة ما قد تكون له نتائج وخيمة طويلة الأمد ربما يتعذر تدارك بعضها ، فقد تبدأ التعرية في المنطقة المنزوعة الخضرة بداية أسرع ، وكذلك يزداد تسرب مياه المطر ، وهذا قد يؤدي إلى انخفاض سطح الماء الباطني شيئاً فشيئاً ، فينشأ عن ذلك آثار مائية ونوئية أوسع مدىً قد تجعل الظروف غير صالحة لإعادة تنمية النباتات والحيوانات التي كانت أصلاً في تلك المنطقة . وما يُعرف عن الآثار الطويلة الأمد التي تخلفها الحرائق الواسعة قليل ، غير أن هذا لا يسوِّغ التغاضي عنها ؛ بل إنه من أسباب التعبير عن القلق في استعمال الأسلحة المحرقة لتدمير البيئة الزراعية البشرية .

إن معالجة المصابين بالحروق ، والعناية بهم ، أصعب على المستشفيات من معالجة أكثر أنواع الإصابات الأخرىٰ ، وهذا أمر لا بد من إدراكه . والمعالجة بحاجة ماسة إلى عدد ضخم من الأطباء والممرضين والمواد ، ولا يخفى أن تهيئة ما يلزم لمعالجة ضحايا استخدام المحرقات استخداماً كثيفاً أمر يكاد يكون مستحيلاً على الدول المتقدمة جداً ، ناهيك عن الدول التي لم تنل حظاً كبيراً من التقدم ، إذ لا مناص من أن يترك كثيرون من المصابين يُعانون من آلام مبرحة دون أحد يرعاهم طبياً .

وإن وسائل توفير الحماية للمدنيين من آثار المحرقات لا سيما آثار الحرائق المتداعية في مناطق المدن ليست موضع أمل كبير .

وبالرغم من أنه يمكن تصور منهج يوضع للملاجىء يهيِّء نوعية وافية بالغرض تمكن سكان مدينة ما من أن ينجوا من الحريق الهائل ، بل من العاصفة النارية ، ولكن هذا المنهج سيكون باهظ التكاليف من حيث ما سيكلِّفه من مال وما سيحدثه من تغير في المجتمع ، فضلاً عن أنه سيستغرق سنوات حتى يتم إنجازه .

وإذا كانت دول ما قد تولّت تنفيذ منهج كهذا المنهج ، فإن عددها من غير شك قليل .

أما أنواع الحرائق الأقل خطورة ، فأعمال منها أيسر ، غير أن القليل جداً من المدن في العالم اليوم يمكن أن تنجو من دمار شديد يحل بها حتى من هذا النوع من الخطر . وفي الأحوال التي تستخدم فيها المحرقات تعبوياً ، يكون السكان المحليون غير المحاربين أشد وَهنا عادة من المحاربين بدرجة كبيرة ، ذلك أن المحاربين يعرفون الخواص التدميرية للأسلحة المحرقة ، وهو مدربون على مختلف الأعمال التي تجرى لمقاومة تأثيرها .

وهكذا نرىٰ أن مما يزيد من التأكيد على الطبيعة العشوائية لتأثير الأسلحة المحرقة مصاعبَ توفير حماية وافية للسكان المدنيين .

فالدول الكبرىٰ تتسابق في مجال تطوير الأسلحة المحرقة ومضاعفة أخطارها وتأثيرها في الأنفس والأموال والممتلكات والمزارع ، وليس هناك دولة تحجم عن استخدام هذه الأسلحة في حرب عدوها لأسباب إنسانية أو لتطبيق الأنظمة والقوانين الدولية المرعية ، ولكنها تحجم عن استخدامها في حالة واحدة فحسب ؛ هي أن يكون لدى عدوها ما لديها من أسلحة محرقة كمية ونوعا .

فالدولة التي تريد الحفاظ على مصير شعبها من أخطار الأسلحة المحرقة ، لا بد من أن تنتج هذه الأسلحة ، وكل عذر يخالف هذه الحقيقة عذر واهن غير مقبول ، وتاريخ الحرب الدولي خير دليل .

---

(١) الغام لهب اندفاعية : عُدد توضع في منعات ، وتستطيع هذه العُدد ان تقذف كتلة من عامل محرق مشتعل على المنطقة المحيطة عندما تستثار بسلك عثرة او بمسيطر بعيد .

أمَّــة مُعرَّضَــة للخطَــر

■■ في أغسطس (آب) ١٩٨١م شكَّل وزير التربية في الولايات المتحدة الأمريكية (تيريل بل) لجنة من ثمانية عشر عضواً ؛ لدراسة نظام التعليم في الولايات المتحدة وتقديم مقترحات لإصلاحه ؛ بهدف تحقيق مستوى رفيع من التفوق ، وبعد دراسة واسعة وشاملة أصدرت اللجنة تقريرها الختامي في أبريل (نيسان) ١٩٨٣م فلقي تقريرها صدى واسعاً من الاهتمام .

ولقد أحسن مكتب التربية العربي لدول الخليج العربية بترجمة هذا التقرير ونشره بعنوان : (أمَّة معرضة للخطر) ليكون في متناول المهتمين من أصحاب الاختصاص والمثقفين عموماً . ولئن كان التقرير يتناول مشكلات التربية والتعليم في دولة تتربع على قمة الحضارة العالمية فيدق إنذار الخطر ويحذر من النتائج ؛ فهو بلا شك يمكن ان يفيد كل معتبر يتطلع إلى الاستفادة من مشكلات الآخرين ودراساتهم ■■

ونظراً لتشابه بعض المشكلات مع الواقع التربوي الذي تعانيه معظم البلاد العربية والإسلامية ، إن لم تكن معاناتها اشد واعمق فقد رايت ان استعرض بعضها للعبرة والفائدة .

جوهــر التقــرير

وينحصر جوهر التقرير بالتركيز على فكرة التفوق كمطلب أساسي في العملية التربوية فيقول :

« إن هدف الامتياز والتفوق لم يعد محرك التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية ، وإن هناك اتجاهاً متزايداً نحو التحصيل الاقل جودة ، وقبول مستويات متدنية من اداء الطلاب وإجازتها ، وإن هذا الأمر يهدد الشعب الأمريكي بفقد مكانته عالمياً وتفوقه علمياً وصناعياً ، وضياع أسواقه اقتصادياً ، وفوق ذلك كله وهن ثقافته وقيمه وبنائه الاجتماعي وتماسكه » .

ويرى التقرير انه لو قامت « قوة معادية » بفرض اداء تعليمي قليل الجودة على الشعب الأمريكي لاعتبر ذلك مدعاة للحرب . ويقول :

« ولكن ذلك يحدث الآن من خلالنا ؛ فنحن الذين سمحنا به : لقد بددنا هدراً المكاسب التي حصلنا عليها في رفع مستوى التحصيل التعليمي لطلابنا بعد التحدي الذي واجهناه بإطلاق القمر الصناعي (سبوتنيك) » .

ويصف التقرير هذا التدني في قبول تلك المستويات من التعليم بانه :

« عمل بلا تفكير وعملية نزع لسلاح التعليم » .

واريد ان اركز النظر على بعض الأسباب التي يسوقها التقرير لانخفاض مستوى التعليم عندهم ، ويعتبرها اهم من جيوش الأعداء نيلاً من الأمة باسرها ، وينذر الشعب الأمريكي بشر مستطير إذا لم يتعاون لإزالة هذه الأسباب او التخفيف من وطاتها .

ولعلنا بذلك نضع ايدينا على مكامن الخطر فنعمل على اجتنابه ، ونسعى لإصلاح ما يمكن مما نتلاقى معهم بالشكوى منه ، كما نحرص على التشبث بما لدينا من إيجابيات .

أهم أسبـاب انخفـاض مستـوى التعلـيم

يعدد التقرير اسباباً كثيرة بعضها يتعلق بالعملية التعليمية من حيث محتوى التعليم ، ومستوى المعارف والقدرات ، والوقت المتاح للمواد التعليمية وطرق التدريس والمدرس إلخ .. وبعضها يتعلق بالعقلية التي تحكم وتوجه العملية التعليمية ، وبعضها يتعلق بالمجتمع من حيث القيم والمبادىء والأخلاق السائدة والسلوك الاجتماعي ..

ويهمنا هنا ان نبرز بعض الأسباب التي تكون فيها المسؤولية مشتركة بين المؤسسات التعليمية وغيرها من المؤسسات التي تسهم بشكل مباشر او غير مباشر في إعاقة او دفع عجلة التقدم العلمي ، وتثبيط أو تنشيط حركة التعلم والإبداع التي تنعكس على الازدهار الحضاري .. فنجد في مقدمة ذلك الأسباب الآتية :

١ ــ التغيير الذي لحق بالقيم والاتجاهات الأخلاقية :

هذا التغيير القى عبئاً ثقيلاً على المدرس ، إذ صارت المدرسة ملزمة ان تعلم اعداداً اكبر من الأطفال اكثر من اي وقت مضى .. ومن بينهم من يفتقر إلى التعلم ، ومن لديهم اتجاه إلى العنف ، إلى جانب المشاكل الناجمة عن سهولة الحصول على المخدرات ، واثر ازدياد حالات الانفصال بين الزوجين ، وازدياد روح التسيب بين الذين لم ينفصلوا ، واثر التلفزيون والعاب الفيديو في صرف التلاميذ عن الدراسة ، وازدياد انتشار الاتجاهات غير الأخلاقية المستقاة من العالم السفلي (عالم عصابات الشوارع والمجرمين ومن إليهم ..) .

ولعلنا ندرك ان بعض هذه الأمراض التي وردت آنفاً قد تسلل بشكل او بآخر إلينا .. حتى باتت بعض مجتمعاتنا تشكو مثل هذه الآفات .

فوسائل الإعلام في بعض البلاد العربية بدأت تشير إلى وجود ظاهرة اشتراك الطلاب في عصابات السرقة والعنف ، هذا إلى جانب انشغال كثير منهم بالبرامج والألعاب التلفزيونية ومفرزات الفيديو وغيره من ضروب اللهو . وبذلك تتضح اهمية تمسك الأمة المسلمة بقيمها ومبادئها واخلاقها .. وهذا يتبعه تشجيع اليقظة الروحية والعلمية والأخلاقية ، وإيجاد بدائل إيجابية لتنمية البواعث الذاتية نحو الإقبال على الإنتاج العلمي والثقافي ، وملء فراغ الشباب بما يفيد من برامج مرئية او مسموعة او مساهمات عملية بنشاطات رياضية او ثقافية ضمن برامج شبابية هادفة تراعي التوازن بين الطاقات الحركية وتركز على الجوانب الأخلاقية والسلوكية .. لأن الإنسان المتميز بتربيته وافكاره واخلاقه وعلمه هو عماد الحضارة الراشدة .

٢ ــ الإتقان هدف ومطلب أساسي في السلوك الاجتماعي :

يحذر التقرير كل الأنظمة التربوية من المخاطر القومية الشديدة الناجمة عن تنازل المربين عن مستويات لا يجوز أن يتدنى الأداء التربوي عنها ، فيقول :

« إن إصرارنا على توعية الطفل وادائه عموماً ينبغي ان يوضع في المقام الأول ، فلا يكتفى بان يكتب الطفل الكلمات صحيحة ؛ بل لا بد ان يكتبها بإتقان وجمال وامتداد . ذلك ان عناية الطفل بملبسه ونظافته وسلوكه عموماً ، والإصرار على ضرورة الإتقان كاتجاه ومطلب تربوي قد يكون احد السبل الأساسية لانتقاله إلى سلوك في حياتنا جميعاً » .

بل إن التقرير ليربط بين ذلك وبين الآلية المتقدمة عندهم التي بدأت تفتقد الإتقان ، ومن حولها كل تلك التقنيات المعقدة التي تعمل وفق نظام بالغ الدقة فيقول :

« إن التاريخ لا يرحم الكسالى ، فإن التنافس يشتد حول المكانة العالمية والأسواق ، ولا يقتصر ذلك على تسويق المنتجات بل يتعداها إلى الأفكار التي تقود المختبرات والمصانع ، ولا يكمن الخطر فقط في ان اليابان تنتج سيارات

اعداد : محمد محيي الدين الأصفر

■ مشكلات التربية ليست مجرد قضية تهم المدارس .. بل هي قضية أمة ■

■ الإنسان المتميز بتربيته وأفكاره .. عماد الحضارة الراشدة ■

اكثر كفاءة من السيارات الأمريكية ، وان صادراتها تحظى بدعم حكومي لدوام تنميتها وتطويرها ، ولا ان (كوريا الجنوبية) قد بُني بها حديثاً اكبر مصنع ذي كفاءة لصناعة الصلب في العالم ، ولا ان الادوات والمعدات الأمريكية التي كانت يوماً فخر العالم تستبدل اليوم بمنتجات المانية ؛ بل إن الامر ليتعدى ذلك كله في دلالته على ان هناك إعادة توزيع للقدرات الكُفُوْة المدربة ، على اتساع رقعة العالم » .

فتوصل التقرير إذاً إلى ان رداءة الإنتاج وتدنيه ، وضياع اسواق وفقدان صناعات كاملة وتدهورها ، إنما يرجع إلى غياب الإتقان كسلوك اساسي . فماذا ينبغي ان نقول نحن ؟ لعلَّنا في ديارنا الإسلامية اولى بهذا الإنذار . فلقد سادت مجتمعاتنا امراض عدم المبالاة والإهمال والغش والنفاق الاجتماعي ، حتى فقدنا الثقة فيما يصنع ببلادنا وافتتنا بكل ما يستورد من غيرنا .. كانه من المفترض ان يكون كل إنتاج لنا رديئاً وكل صناعة عندنا فاسدة .. وما ذلك إلَّا لانعدام الشعور بالمسؤولية .. وضعف التربية الإسلامية الحقيقية ، واحادية المفاهيم الدينية التي قد تركز احياناً على الأداء الشكلي للعبادات اكثر من بناء الوازع الداخلي وإحياء دوافع المراقبة الذاتية .. والفصام بين الدين وقيمه والحياة .

واعتقد ان مشكلات التربية هذه بمفهومها الشامل وإتقان الاداء فيها اخذاً وعطاءً ليست مجرد قضية تهم المدارس .. بل هي قضية امة وحضارة . فلا مكان للبطالين المستهترين في عالم الأذكياء المتقنين المستقيمين .

نحن بحاجة للعودة إلى البدايات الاولى ، حيث نعلم الطفل في المدرسة كيف يتقن واجباته ويحرص على حسن وجمال كراسته : حتى يصبح الإتقان له سجية وعادة وخلقاً ، ولا نعني بتعليمه ذلك مجرد التوجيه الكلامي ، بل ينبغي ان يكون مدرسه ووالده وبيئته من حوله له قدوة .. ولا شك ان هذا الإتقان - فضلاً عن كونه مطلباً حضارياً هاماً لإعمار الأرض وتحقيق الخلافة - فهو مطلب ديني يرقى به المسلم نحو المثل التي يحبها الله تعالى ، وقد جاء في الحديث :

« إن الله يحب من احدكم إذا عمل عملاً ان يتقنه » و « الإيمان بضع وسبعون شعبة اعلاها لا إلـه إلَّا الله وادناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » .

وهكذا فهم علماؤنا وسلفنا الصالح ان إتقان العلوم التي يتخصص بها المسلم ، والعبادة التي يتقرب بها إلى الله تعالى ، والعمل الذي يؤديه للآخرين ، كل ذلك يعتبر قربى إلى الله تعالى مع النية .

والإتقان في نظري نتيجة لمجموعة صفات خلقية ينبغي أن ترسخ من خلال الممارسات التربوية والتعامل العام اهمها : الصبر ، والصدق ، والنصح .. وتلك هي اعمدة الأخلاق الإسلامية الأصيلة قال تعالى :

﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأسْحَارِ ﴾ (آل عمران : ١٧) .

٣ ـ جعل التعليم مهنة اكثر مكافاة واحتراماً :

يقول التقرير : « وجدت اللجنة انه لا ينجذب نحو مهنة التدريس العدد الكافي من الطلاب القادرين اكاديمياً ، وان الحياة المهنية للمعلم هي في عمومها غير مقبولة ، وان هناك نقصاً خطيراً في المدرسين بحقول اساسية ، وان متوسط راتب المعلمْ بعد اثني عشر عاماً من التدريس يبلغ (١٧) الف دولار سنوياً فقط مما يضطر عدداً كبيراً من المعلمين لتعويض هذا النقص في دخلهم بعمل إضافي بعد الدوام وخلال إجازة الصيف » .

فإذا ولينا وجهنا شطر مهنة التعليم في بلادنا العربية وجدناها اكثر غبناً واقل كرامة واكبر زراية .

فلقد رايت في بلد عربي مدرساً لعلوم التربية والفلسفة يعمل مساعداً لبنَّاء خارج اوقات الدوام ليقوم باود نفسه وعائلته ، وآخر يعمل سائقاً لسيارة ، وهكذا اصبحت مهنة التعليم لا تغني محترفها عن الأعمال الإضافية التي لا تنسجم مع طبيعة هذه المهنة في كثير من الأحوال .

ومن التناقض المزري ان تجد دخل العامل الفني في حرفة النجارة او الحدادة او البناء اكبر من دخل العامل في مهنة التعليم في اكثر الأحيان ، وكان إعداد الإنسان اهون وارخص من صناعة الأشياء .. فضلاً عن المدة الزمنية التي يتطلبها إعداد المعلم والنفقات التي يصرفها .. فاي تخطيط اسوا من هذا .. إنها سياسة بارعة لتجهيل الأمة ، وتكريس لتخلفها .

فإذا يممنا وجهنا نحو البلاد العربية الموسرة التي تدفع للمعلمين اجراً مجزياً ، وجدنا المشكلة تاخذ شكلاً آخر ؛ حيث تغلب المظهرية والسطحية في العملية التعليمية ، وتفتقر إلى الجدية والعمق .

٤ ـ تركيز الإصلاح التربوي على إيجاد مجتمع دائم التعلم :

ويرى التقرير أن التعليم الرسمي للناشئة هو الأساس للتعلم على مدار حياة الفرد كلها ، ويؤكد ايضاً : انه إذا لم يتواصل التعليم ويتوافر على مدى رحلة حياة المرء كلها ؛ فسوف تصبح مهاراته - بشكل متسارع - مهارات عفا عليها الزمن .

وفي مقابل مثال المجتمع دائم التعلم هذا الذي نسمع عن المناداة به ، نجد ان التعليم يكاد ينحصر في بلادنا في أيام المدرسة في أحسن الأحوال عند غالبية المتعلمين : حتى إذا ما تخرج المتعلم من المدرسة تخرج كذلك من محاولة تنمية نفسه ثقافياً ، وأصبح الكتاب عبئاً ثقيلاً عليه لا يكاد يشغل نفسه به إلَّا إذا أراد ان يزين ركناً في بيته .. فامتد التخلف إلى كل ميدان ، وزهد العامة واكثر المتعلمين في الكتاب ، حتى أصبحت دور النشر لا تجرؤ على طباعة كميات كبيرة تتجاوز (١٠٠٠٠) نسخة من افضل الكتب واكثرها رواجاً ، بينما نسمع عن طباعة مئات الالوف من كتاب واحد في بلد من البلاد الاوروبية . وذلك مثل بارز على اننا لسنا من الشعوب القارئة ، وما دمنا كذلك فسيظل الفارق كبيراً بيننا وبين البلاد المتقدمة علمياً .

ولا بد من إعادة النظر في سياستنا التعليمية القائمة على ربط العلم بالمصلحة العاجلة التي تتجلى بالحصول على « الشهادة » من الناحية الشكلية .. او إهمال العلم والانصراف إلى أساليب للكسب اقل كلفة واكبر مردوداً .

لا بد من تصحيح النظرة المتخلفة هذه ، فنحن المسلمين اولى بإقامة مجتمع دائم التعلم استجابة لمبادىء ديننا ولتحقيق السبق الواجب لخدمة رسالة ربنا وتبليغها بفعالية ووضوح .. بالإضافة إلى ما يمكن أن يعكسه ذلك من نهضة حضارية عامة تترك آثاراً مُرْضِية في انتشار الإسلام ورفعة الإنسان .

وينبغي ان تشترك في إقامة المجتمع دائم التعلم هذا المدارسُ الحكومية والخاصة والمساجد والمراكز والمؤسسات الإسلامية ، والكليات والجامعات والمؤسسات المهنية والتقنية ، والمكتبات والمراكز العلمية والمتاحف ، وكل المؤسسات الثقافية ، وبرامج التدريب ، وإعادة التدريب لتوفير فرص واختيارات أمام الجميع للتعلم على مدى رحلة الحياة ..

٥ ـ اما عن العملية التعليمية :

فقد ركَّز التقرير على التقصير في نواح اربع من العملية التربوية وهي : محتوى التعليم ، ومستوى التعليم (المعارف والقدرات) ، والوقت المتاح ، والتدريس (طرقه واساليبه) . ولا اجد من الضروري ان نستطرد في هذه الجوانب بل يمكن لاصحاب الاختصاص ان يتفضلوا بالإدلاء بافكارهم بما يتناسب مع واقع مجتمعاتهم وضرورة تطويرها في الاتجاه الصحيح ، وهم اقدر من الناحية الفنية على اختيار الافضل وتقويم الأساليب وفق ما لديهم من معطيات سلبية او إيجابية ، والله الموفق للصواب .

ماذا تعرف عن لبن الأم؟

●● لا شك أن لبن الأم هو الغذاء الأمثل لتغذية الطفل خلال الشهور الأولى من حياته . فإذا ما عرفنا أن الطفل حديث الولادة يتضاعف وزنه خلال ستة شهور ، ويصل إلى ثلاثة أمثال وزنه خلال عام ؛ ظهرت لنا أهمية لبن الأم في تغذية الطفل ؛ حيث إن لبن الأم تتوفر به الاحتياجات الغذائية الضرورية وهي : الطاقة ، البروتين ، الدهن ، الكربوهيدرات ، الأملاح المعدنية ، الفيتامينات ؛ بالإضافة إلى خلوِّه من الميكروبات الضارة وسهولة هضمه . ●●

بقلم : الدكتور واصل محمود أبو العلا

فإذا ما ناقشنا ذلك فإننا نجد أن الطفل يحتاج من ٢ ـ ٢٫٥ جرام بروتين لكل كيلو جرام من وزنه عندما يتغذى على لبن أمه ، بينما يحتاج إلى ٣٫٤ جرام بروتين لكل كيلو جرام من وزنه عندما يتغذى على اللبن البقري ، ولا شك أن ذلك راجع إلى وجود اختلافات بين تركيب بروتين لبن الأم واللبن البقري أو غيره .

فمثلًا تكون النسبة بين الكيزين والالبومين ١ : ١ في حالة لبن الأم ، بينما نجدها ٦ : ١ في حالة اللبن البقري ، وهذا اختلاف كبير يمثل صعوبة عند تعديل اللبن البقري ليقارب لبن الأم لاستخدامه في تغذية الأطفال .

أما الاختلاف الهام الثاني فهو أن لبن الأم يعطي خثرة طرية سهلة الهضم في معدة الطفل ؛ حيث إن القدرة التنظيمية للبن الأم منخفضة ، وبالتالي تؤثر عليه الإنزيمات المحلِّلة للبروتين ، وكذلك حامض الأيدروكلوريك ؛ ومعنى القدرة التنظيمية للبن هو مقدرته على عدم إحداث تغيير مفاجيء ملحوظ في درجة الحموضة ؛ وذلك عن طريق تقليل تركيز أيونات الأيدروجين ، أو أيونات الأيدروكسيل عند إضافة حامض أو قلوي إليه ، وذلك عن طريق اتحاد الأيونات وتكوين جزيئات غير متأيِّنة ، أو تفكك الجزيئات وتكوين أيونات .

أما دهن لبن الأم فنسبته تقارب نسبته في اللبن البقري إلَّا أن دهن لبن الأم يمتاز بكونه اقرب إلى الزيوت النباتية المهدرجة ؛ فهو لا يحتوي على حامض البيوترك أو الأحماض الدهنية المنخفضة في عدد ذرات الكربون .

ويلاحظ أن هناك زيادة مستمرة في إفراز إنزيم الليبيز عن هضم الدهن عند الطفل وذلك من يوم الولادة حتى العام الأول .

أما الاحتياجات من الكربوهيدرات فنجد أن لبن الأم يحتوي على نسبة مرتفعة من سكر اللبن المعروف بسكر اللاكتوز ؛ وهذا السكر ليس له أي مصدر آخر في الطبيعة سوى اللبن .. وهذا السكر له عدة مزايا أهمها : أنه يعطي عند تحلله سكر الجلكتوز المعروف

كلمـــة

الإعلام العلماني داخل الأسرة

□□ في إطار سعي الأسرة المسلمة لتنشئة أبنائها على هدي الإسلام ، تاتي ضرورة المتابعة والتوجيه لمصادر المعرفة ووسائل التعليم التي يمكن أن تؤثر على التكوين النفسي والبناء العقلي للأبناء .. ولا تستطيع الأسرة أن تلغي واقعاً موجوداً لهذه الوسائل التعليمية أو الإعلامية فقد أصبحت في واقع الحياة المعاصرة .. لكنها تستطيع أن توجه هذا الواقع الوجهة الصحيحة في ضوء الثقة والحب اللذين يشكلان ركيزة التعامل بين الأبناء والآباء داخل الأسرة المسلمة .

ولعلَّ وسائل الإعلامَ التي تحاصر أفراد الأسرة في مختلف الأوقات خير مثال لما يمكن أن تفيده عملية المتابعة هذه .. فرغم أهمية تفرغ الأبناء للتحصيل العلمي والدراسة ، فإن وجود هؤلاء الأبناء مع أفراد الأسرة مجتمعين حول وسيلة إعلامية ـ « كالتلفزيون » مثلاً ـ هو فرصة لرب الأسرة لشرح وتوجيه أفرادها والتحذير مما يتسرب من خلالها من أفكار يعد أخطرها : فصل جوانب الحياة ومشكلاتها الاجتماعية عن الدين ، واعتبار الدين شأناً خاصاً بالمسجد أو منحصراً في البرامج الدينية التي تبث ، وتبحث أمور الآخرة والثواب والعقاب بمعزل عن كل القضايا والمشكلات المعاصرة .

وتسرب هذا الفهم للتكوين النفسي والبناء العقلي للأبناء يمثل خطورة يجب التنبه إليها ، ويجب على الآباء والأمهات ألا يتركوا أبناءهم لسيطرة هذه الوسائل لتتحكم في صوغ أفكارهم وتوجيه رؤيتهم بل يحسن بهم التيقظ لهذا الخطر ، وتوجيه الأبناء للفهم الصحيح لمشاكل وقضايا الحياة في ضوء المنهج الإسلامي الشامل . □□

بأهميته في تكوين الأنسجة العصبية للطفل .

كما يساعد سكر اللاكتوز على زيادة امتصاص الكالسيوم من الأمعاء ، وكذلك يساعد على نمو البكتيريا المرغوبة في الأمعاء ؛ وبالتالي يقلل من نمو ونشاط البكتيريا التعفنية .

ويلاحظ أن اللبن عموماً وهو غذاء الطفل الرضيع يكون خالياً من المواد النشوية لأن إنزيم الأميليز المسؤول عن هضم هذه المواد يكون أقل ما يمكن في مراحل العمر الأولى للطفل ، لذلك ينصح بعدم إضافة أغذية نشوية إلى ألبان الأطفال حديثي الولادة إلى ما بعد ستة شهور من العمر ؛ حيث يزيد إفراز هذا الإنزيم بالتدرج حتى العام الأول .

أما السكريات التي يمكن أن تضاف فهو سكر القصب المعروف بالسكروز ؛ والذي يُنتج عند تحلله سكر الجلوكوز وهو بالطبع لا يعادل سكر اللاكتوز .

أما بخصوص العناصر المعدنية ؛ فإن نسبتها في لبن الأم أقل من نسبتها في اللبن البقري أو الجاموسي ؛ فنجد مثلاً أن نسبة الكالسيوم في لبن الأم فقط سدس نسبته في اللبن البقري ، ولذلك نجد كما سبق ذكره أن القدرة التنظيمية للبن الأم أقل من القدرة التنظيمية للبن البقري وبالتالي فلبن الأم أسهل هضماً .

لذلك يجب تقليل نسبة العناصر المعدنية في اللبن البقري إذا ما أريد تعديله ليناسب تغذية الطفل حديث الولادة ، وحتى لا تسبب زيادة العناصر حالة عدم قدرة الأمعاء على الامتصاص بسبب زيادة الضغط الأسموزي لهذه العناصر ، إلَّا أنه يلاحظ أن نسبة الحديد في لبن الأم منخفضة ، لذلك يجب تعويض الطفل بزيادة نسبته خصوصاً عند تقدمه في العمر .

أما بخصوص الفيتامينات فنجد أن لبن الأم يحتوي على نسبة أكبر من فيتامين «ج» عن اللبن البقري .

أما فيتامين «أ» ، «د» فهما متساويان تقريباً في لبن الأم واللبن البقري والجاموسي .

أما فيتامين «ب» المركب فيحتوي اللبن البقري والجاموسي على نسبة أعلى منه ؛ لذلك يحتاج الأطفال إلى مزيد من هذه الفيتامينات خصوصاً عند تقدم العمر .

سوء معاملة الأطفال

بقلم : الدكتور فاروق مساهل

●● أصبح سوء معاملة الأطفال وباءً ضارباً جذوره في المجتمعات البدائية والمتحضرة على السواء ، وكلّ ما يعرف عنه أو يظهر منه إنّما هو مثل ما يطفو من جبل ثلج عائم ، لرغبة كلّ الأطراف الضالعة في إخفاء الأمر والتكتم عليه ، لما له من عواقب أسرية واجتماعية وخيمة ●●

ولقد ادركت الجهات الطبية خطورة هذا الأمر ، فقامت بالتنبيه على اطباء استقبال الحوادث بالمستشفيات بملاحظة هذا الامر عند فحص الأطفال المصابين ، وانشات التخصصات النفسية لهم لمعالجتهم من آثار الإيذاء النفسي الواقع عليهم ، واعتبرت السكوت على إيذائهم تآمراً ضدهم ، ووجدت أنَّ من واجبها ـ كما هو واجب المجتمع كلّه ـ حمايتهم ودرء الأخطار عنهم ، وذلك برفع الامر إلى المسؤولين لاتخاذ ما يلزم نحو المؤذي ، وإلى الاختصاصيين الاجتماعيين لإصلاح ما يمكن إصلاحه .

وتتباين اشكال سوء معاملة الطفل وتتنوع ، وتنقسم إلى قسمين رئيسين : الإيذاء الجسدي والإيذاء النفسي .

اولاً : الإيذاء الجسدي : وهذا يشمل الآتي :

١ ــ الإهمال في الغذاء : ويكون الضعف واضحاً على الطفل ، وقد يصاب بامراض سوء التغذية ، وقد يتعرض جسده لغزو الجراثيم ، وتظهر عليه عوارض الالتهابات والعدوى .

٢ ــ الحرمان من الدفء والمأوى والنظافة .

٣ ــ الإصابات الناتجة عن غير الحوادث : وهذه تاخذ صوراً مختلفة مثل : الكدمات والخدوش والعضّ والحروق والكسور وارتجاج المخ ونزفه .

٤ ــ الاعتداء الجنسي : سواء على الذكر او الانثى ، وتظهر الوحشية فيه فيما ينتج من نزفٍ دموي وتهتك بالانسجة .

٥ ــ التسمم بالادوية : التي تعطى بهدف إسكات أو تنويم الطفل إن كان كثير البكاء او بمحاولة إضراره .

٦ ــ منع العلاج عن الطفل حتى يستفحل مرضه ، ويصيبه الضرر الجسماني .

٧ ــ محاولة تقليل وزن الجسم خوفاً من البدانة ، او زيادة وزن الجسم تحسباً من النحافة .

ثانيـــاً : الإيذاء العاطفي : متمثلاً في :

١ ــ الحرمان من الحب والتشجيع : وهذا يؤدي إلى التاخر النفسي والعقلي ، والتلعثم في الكلام ، والبول في الفراش ، والتخلف الدراسي عن الزملاء في المدرسة .

٢ ــ الصياح في وجه الطفل في داخل البيت او خارجه ، بذنب او بدون ذنب .

٣ ــ لوم الطفل في كلّ صغيرة وكبيرة ، وتخطيؤه بسبب او بدونه ، وجعل وجوده في الأسرة سبباً لكل مشاكلها ومآسيها .

واسباب سوء معاملة الطفل كثيرة ، وتشمل مشاكل خاصة بالوالدين كالزواج على غير رضى ، والإنجاب غير الشرعي ، والعنف في العلاقات بين الزوجين ، وإدمان الكحول والمخدرات ، والبطالة والمرض ، وايضاً الميول العدوانية او الإجرامية لدى الوالدين ؛ احدهما او كليهما .

يضاف إلى ذلك مشاكل البيئة التي ينمو فيها الطفل مثل العيش : في مسكن غير صحي ، والازدحام فيه ، والفقر والديون والعزلة .

وهناك امارات تساعد الطبيب على التوصل إلى ان الطفل قد تعرض للإيذاء ، منها : عدم مطابقة ما يدعيه احد الوالدين من ان الإصابة نتيجة حادث معين مع طبيعة الإصابة نفسها في الطفل ، وتاخر الوالدين عن استشارة الطبيب وعرض الطفل عليه خشية افتضاح الأمر ، وينظر الطبيب إلى الطفل فيجده نحيف البنية ، تعتريه نظرة يقظة جامدة ، دائم الصياح ، خائفاً من الكبار .

اما الإصابات في جسمه فيمكن ان تحدث في اي مكان ، وقد تكون غير ظاهرة (مثل النزف داخل الجمجمة) ، وقد تكون لها شواهد وعوارض تدلّ عليها . (انظر الصور) .

الإسلام دين الرحمة بالأطفال : ورحمة الإسلام بالأطفال (وبكل الضعفاء) فاقت كلّ التصورات ؛ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ، الرحم شِجْنَةٌ(*) من الرحمن ، فمن وصلها وصله الله ، ومن قطعها قطعه الله » [رواه ابو داود والترمذي]

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت ابا القاسم ﷺ يقول : « لا تُنْزَعُ الرحمةُ إلَّا من شقي » [رواه ابو داود والترمذي] .

وفي مجال الاهتمام بتغذية الاطفال يقول الرسول ﷺ : « كفى المرء إثماً ان يحبس عمَّن يملك قوته » [رواه مسلم]

وفي تقبيل الأطفال وملاطفتهم : جاء اعرابي إلى رسول الله ﷺ ، فقال : إنَّكم تُقَبِّلون الصبيان ، ولا نُقَبِّلُهُم؟ فقال رسول الله ﷺ : « أَوَأَمْلِكُ لك ان نَزَعَ اللّٰهُ الرحمةَ من قلبك ؟ » [متفق عليه]

فالإسلام يريد لحملة رايته اضطراد النمو الجسدي والعقلي ، والخلو من الأمراض البدنية ومن العقد النفسية ، والاتصاف بالشجاعة والإقدام ، حتى يستحقوا شرف تادية الأمانة ، وبناء دولة الإسلام القوية الخيِّرة .

(*) القرابة المشتبكة تشابك العروق .

حتى تستمرَّ الصَّحْوة الإسلاميَّة

■■ أصبحت الصحوة الإسلامية واقعاً يشتمل على مظاهر كثيرة تتمثل في الحركات الإسلامية في شتى أنحاء العالم الإسلامي .

وهي تعني أصلاً : الصحوة الشاملة للمسلمين في جوانب الحياة كلها ، ولكي تستمر هذه الصحوة لا بد لها من عناصر استمرار ، وعليها واجبات ، كما أن هناك محاذير ينبغي أن يلتفت إليها المسلمون .

حول هذه الأمور ألقى الأستاذ الدكتور محمد فتحي عثمان رئيس تحرير مجلة (أرابيا) التي تصدر في « لندن » محاضرة بالدوحة تحت عنوان [حتى تستمر الصحوة الإسلامية] ، وذلك في إطار الموسم الثقافي السابع الذي تقيمه رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر . ■■

مفهوم الصحوة

استهل المحاضر كلامه بتحديد مفهوم الصحوة الإسلامية ، فقال : إنها شاملة ، ليست صحوة جزئية ، كقولنا : نهضة علمية ، او ادبية ، او فكرية ، فهي تشمل الحياة بمختلف ابعادها ، وهي صحوة إسلامية تستوعب امة الإسلام ، لا تنحصر في جزء من ارض العالم الإسلامي ، فليست قومية او وطنية ، او محددة بالتراب او الدم او العرق ، بل تستمد عمق جذورها من ارتباطها بالإسلام والإيمان ، فليست نشاطاً يمارسه المسلمون فيقرن بهم ، بل صحوة تتغلغل إلى اعماق عقيدة المسلم .

أفغانستان .. والوجه الإسلامي

اما مظاهر هذه الصحوة ، فهي الحركات الإسلامية في شتى انحاء العالم الإسلامي التي تعمل لتحرير الارض ، والبشر ، وتحرير الفكر والسلوك . وكثير من هذه الحركات يعلن عن وجهه الإسلامي ، ومنهم من يختار ان يصمت مؤجلاً ذلك الإعلان إلى ما بعد تحرير الارض او تحرير البشر ..

وقدم مثلاً لذلك حركة الجهاد الافغاني ، فقال : إنهم لا يرضون بديلاً من الإعلان صراحة ان جهادهم وهدفهم إسلامي ، وانهم لا يريدون تحرير افغانستان ليقوم فيها اي لون من الحكم ، بل لا بد من حكم إسلامي يُحِلّ حلال الله ، ويحرم حرامه ..

ويرى الدكتور فتحي عثمان انه إذا قُيِّضَ للمسلمين ان ينتصروا في هذه المعركة ـ وهم منتصرون إن شاء الله ـ فستكون معركة فاصلة في تاريخهم ، لانهم يواجهون لأول مرة حرباً عقيدية سافرة ، ويواجهون دولة كبرى عملاقة ، ويواجهون تحدياً فكرياً صريحاً بهذا المعنى .. ويخضع لهذه الدولة ـ روسيا ـ شعوب تعتنق الإسلام ، وتجاور افغانستان ، ولئن انتصر المسلمون داخل افغانستان فقد انفتح المد الروحي والنفسي والفكري إلى « أزبكستان » و « تادجكستان » وغيرهما من ارض إسلامية يحتلها الروس ...

ووفقاً للإحصاءات : لن ينتهي هذا القرن إلّا ويكون المسلمون الخاضعون للاتحاد السوفييتي اكبر عنصر عرقي وثقافي داخل هذه البلاد .

الظاهرة .. والواقع

بعد ذلك ربط بين افغانستان وجهادها ضد الأيديولوجية الشيوعية العالمية ، وفلسطين ومصاولتها للصهيونية العالمية والولايات المتحدة الأمريكية ، وجهاد المسلمين في إريتريا ، وجهادهم في الفلبين ، وفي فطاني ، وفي تايلاند ... حتى في اوروبا التي امتدت إليها آفاق المد الإسلامي حيث وصلت مصادمات المسلمين مع الجهات المختلفة إلى حد حرق بيوتهم ومساجدهم ونسفها كما حدث في فرنسا .

ومع اتساع المد الإسلامي وصحوة المسلمين في مختلف البلاد ، في إندونيسيا وماليزيا ، وشبه القارة الهندية ، والعالم العربي ، وفي أوروبا ، وامريكا ، وانتشار الكتابات الإسلامية .. فإن شعور غير المسلمين بان الإسلام ظاهرة من حقائق العصر قد واكب هذه الصحوة ، فبدؤوا يعترفون به امراً واقعاً في هذا العالم ، فتتابعت كتاباتهم ومؤلفاتهم ، محاولة ان تستجلي حقائق الإسلام ، فكان الجيل القائم من الباحثين اكثر جداً وداباً وصدقاً من الاجيال التي عاشت على التمويه والخداع : خداع الغربيين وخداع المسلمين ، واختطاف القشور وانْصاف الحقائق والتمويه على القراء .

عناصر الاستمرار

وبعد ذلك انتقل ليبين عناصر استمرار الصحوة ، وقبل أن يعددها ذكر انه لا يود عودة النوم الطويل إلى هذه الصحوة ، لذلك لا بد من تدارسها والتناصح فيها والمكاشفة ، فإنه مما يعطل الصحوة أن نظل ندغدغ حواسنا ومشاعرنا بالإيجابيات ، دون استبصار للسلبيات بدعوى عدم التثبيط .. واضاف : « إن هذه الصحوة قد انطلقت وفرضت نفسها ، ولن تتراجع ، فلا خوف من ان تُوأد ، إنما الخوف ان يقعد بها السير نتيجة قصور او ثغرات ، وقد كلَّف الله تعالى المؤمنين وبصَّرهم ان عليهم ان يدرسوا سنن الكون والاجتماع ويتجاوبوا معها ، ولا ينتظروا المعجزة الساطعة القارعة كي تنصرهم ﴿ ... ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ... ﴾ (محمد : ٤) .

العالمية لا الإقليمية

ثم تحدث عن العنصر الأول للاستمرار وهو العالمية .. قال : يجب ألَّا تكون حركتنا الإسلامية

الدكتور محمد فتحي عثمان

- رئيس تحرير مجلة (ارابيا) التي تصدر بالإنجليزية في لندن .
- استاذ سابق في جامعات الجزائر ، وامريكا ، وماليزيا ، والسعودية .
- له اكثر من عشرين كتاباً ، منها : اضواء على التاريخ الإسلامي ، الفكر القانوني الإسلامي بين أصول الشريعة وتراث الفقه ، الدين في موقف الدفاع ، دولة الفكرة ، حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي ، التاريخ الإسلامي والمذهب المادي في التفسير .
- حصل على الليسانس والماجستير في التاريخ من آداب القاهرة ، وليسانس الحقوق من جامعة الإسكندرية .
- حصل على الدكتوراه من جامعة برنستون .

مجرد حركات وانتفاضات إقليمية ، فمن حق إخواننا في افغانستان وفلسطين وإريتريا والفلبين ، وفي اي مكان ان يشعروا ويتيقنوا ان امة الإسلام جميعاً تقف من خلفهم .

واشار الدكتور محمد فتحي عثمان إلى ما حدث في التاريخ الحديث من جرّاء الحصر الإقليمي لقضية فلسطين ، عندما حشدنا لفلسطين العرب وحدهم أو الفلسطينيين وحدهم ، مما عطّل مشاركة الظهير الإسلامي من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلنطي !.. فإذا كانت الماركسية تحاربنا حرباً عالمية ، تتخذ قاعدتها في كل مكان بما في ذلك خلاياها داخل الاراضي الإسلامية نفسها ، وإذا كان الغرب يحاربنا انطلاقاً من قواعد عالمية ، فواجب المسلمين ـ كواجب مصيري وضروري ، فضلاً عن ان يكون واجباً إسلامياً ـ ان يعيشوا على مستوى العالم ، فيتلاحموا مع إخوتهم المسلمين ، ومع الحركات الإسلامية ، فلا يكفي فقط ان يعلموا بها ، بل عليهم ان ينسقوا ويتعاونوا ويتضافروا ويتآزروا قدر الطاقة والوسع .

وحذّر من التهاون الذي يمكن ان يسبب انتكاسة كبيرة ، لاننا نواجه القوى الكبرى والأيديولوجيات العالمية .. مما قد يترتب على هذه النكسة زوال ثقة المسلمين بانفسهم وثقتهم بدعوتهم ، وقد تكون ردّة نفسية ، لا ردّة عقيدية ، يتقوقع بعدها المسلمون ـ لا قدّر الله ـ .

وفي إطار واجب الصحوة العالمي اوضح ان هذا الواجب يقتضي امراً هاماً ، وهو الحذر من تبني فكرة ان كل الناس من غير المسلمين هم اعداء للإسلام بالطبيعة ، أو حاقدون عليه ، والحقيقة انه ليس كل غير المسلمين اصحاب مصالح يريدون ان يستغلوا المسلمين وثرواتهم ، فمنهم اناس يريدون ان يفهموا ، ويعرفوا ، وإذا كانت مهمتنا البيان والتعريف ، فعلينا ان نصل إلى هؤلاء .

التكامل بين الفكر والعمل

والعنصر الثاني من عناصر استمرار الصحوة : ان تكون متكاملة ؛ ويصف المحاضر ذلك بقوله : « إنها متكاملة تكامل الإسلام ، وتشمل الجوانب المطلوبة كلها ، كالجانب التحرري ، فإنه لا عزّة للمسلمين بغير حرية ارضهم ، وتقرير مصيرهم ، وعزّة امتهم ، ويعني هذا ايضاً إقامة دولة الإسلام والحكم بشريعته ، فلا نُخْرِجُ القبعات السافرة لندخل محلها قبعات مقنعة ، ولا نُخرج العقول المستغربة ـ العقول الغربية ـ لكي نحل محلها عقولاً وطنية مستغربة !..

لا بد أن تكون حرية الأرض ، وحرية الشعب اساساً لعبادة الله في الأرض ، ولا بد ان يُشْهَرَ إسلام الدول بتطبيق شرع الله كما يُشْهَرَ إسلام الأفراد بشهادة ان لا إلـه إلَّا الله ، فلا بد من التكامل بين المجالات : التكامل بين الفكر والعمل .

وفي مناقشته لقضية الانفصام بين الفكر والعمل ، قال المحاضر : « ثمة قوم يقبلون على الفكر ، وعلى الكتابة ، ويعيشون في ابراج منفصلة عن واقع المد الإسلامي ، وثمة قوم يعملون في الحقل الإسلامي ، ويعبدون الله بالجهاد والاستشهاد ، ويظنون ان كل كلمة تكتب ، وكل فكر يُمَحَّص هو مضيعة للوقت ، واستنزاف للطاقة .. وقد آن لهذا الانفصام ان يرتفع من امة الإسلام ، وان يتآخى الفكر والعمل ، ويتلاحم المنطق والدعوة والحركة .. وضرب لذلك امثلة بجهاد ابن تيمية ، واسد بن الفرات ، حينما كانت عمائم المسلمين اكفانهم ، حين يستشهدون في سبيل الله ، وكان مداد العلماء مختلطاً بدماء الشهداء .

دور المـــــــرأة في العمـــل الإسلامي

وفي نطاق التكامل ياتي دور الرجال والنساء في العمل والصحوة الإسلامية ، فالمسلمون لا يستيقظون ونصفهم نائم ، ولن يشب ابناء المسلمين واعين داعين ، مع امهات جاهلات ، سلبيات ، ضعيفات لا يعرفن غير الطهي والتنظيف ، وهما واجبان ، فتنشئة الأجيال المسلمة ، وتوعية الأبناء والبنات ومعايشة قضايا الإسلام والمسلمين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب المؤمنين والمؤمنات ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ... ﴾ (التوبة : ٧١) .

المعاصـــــرة تعـــني التجاوب مع العصـــر

وبعد ان استعرض الدكتور فتحي عثمان واجبيْ « العالمية » و « التكامل » لاستمرار الصحوة الإسلامية ، تحدث عن واجب « المعاصرة » ، وهي تعني التجاوب مع حاجات العصر ، فاجترار التاريخ او التراث او تجارب سابقة قامت في ظروف غير ظروفنا يمكن ان ناخذ منها العبرة والزاد والمدد والقوة المعنوية والإنارة والبصيرة ... عملية هامة ، ولكن قيام الدولة الإسلامية لا يكون إلّا برسم استراتيجيتنا ، والقيام باجتهاداتنا ، ووضع خططنا ، بناء على واقع عصرنا ، وبناء على حاجات امتنا .. ثم قال : « ليس معنى ذلك ان نردد اقوالاً قالها سلفنا ، ثم نضع عليها في سطحية باهتة بعض البهارات الغربية ، فهذا لا يحقق عودة للقديم ، ولا إحياء للحديث ، بل ستنقطع انفاسنا ، ولا ندرك هذا ولا ذاك » .

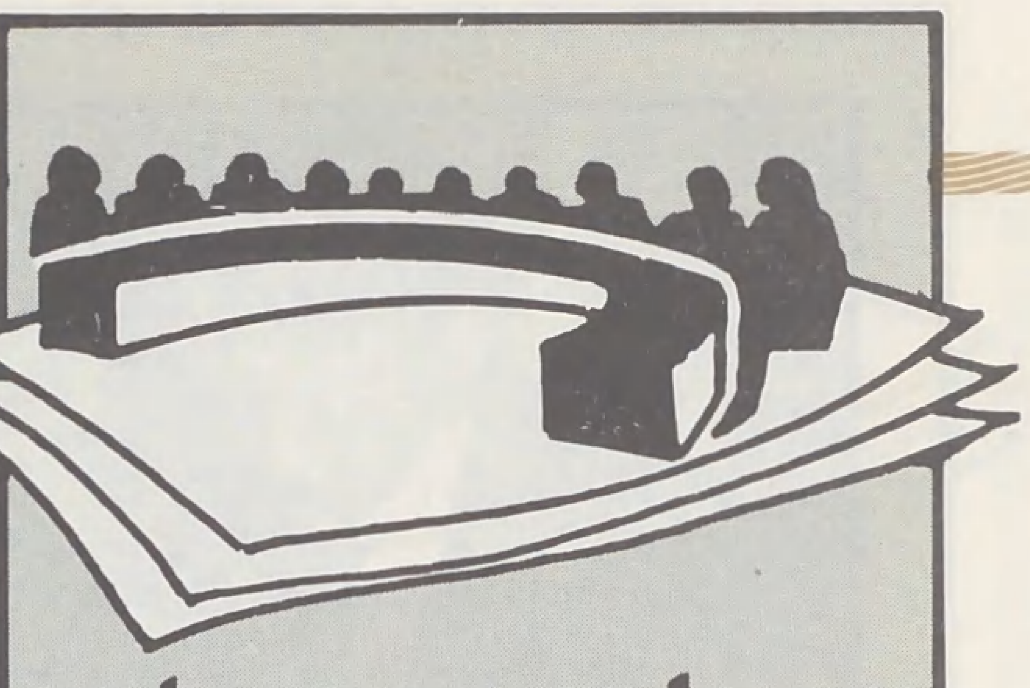

ندوات ومؤتمرات

بين الأصـول والفـروع

وعن موقفنا من الأصول والفروع ذكر المحاضر أن حاجاتنا المختلفة : الاقتصادية والتعليمية والنفسية والفكرية والإعلامية والتثقيفية تحتاج إلى معالجة نستمد فيها من الأصول ، ولا يشترط أن نحاكي فيها الفروع ، بل قد نُفَرِّع غير ما فرعوا ، من الأصول نفسها التي تلزمنا وتلزمهم ، ولا يشترط أن نحاكي التراث الفقهي ، فهم رجال ونحن رجال ، وقد تكون صياغتنا للحل تستقيم مع صياغتنا للمشكلة ، ولا نعيش بعملية توفيق مشاكلنا مع صياغة مشاكل قديمة ، لنحظى بحلول أعمل فيها أسلافنا قرائحهم لمواجهة مشكلات أيامهم ..

واستشهد على هذا بتجاوب الصحابة والتابعين والمسلمين مع حاجات مجتمعاتهم الجديدة في مصر والمغرب وغيرها .. ونقل عن ابن تيمية قوله [إن الإسلام والقرآن ، إذا كانا قد أمرا بالقوي الأمين ، فإنه قد يعز اجتماع القوة والأمانة ، وقد يختار ما هو أنسب ، يختار القوي لما تكون القوة فيه الزم ، وإن لم يكن أميناً ، مثل قيادة الجيوش ، ويختار الأمين لما تكون الأمانة فيه أوجب ، مثل ولاية الأموال ، ويسعى في ذلك لإصلاح الأحوال حتى تجتمع القوة والأمانة] ، وعلق المحاضر بقوله : فالرجل ـ يقصد ابن تيمية ـ قد أدرك واجب الوقت ، وطبيعة المرحلة ، وفَرَّق بين التخطيط طويل المدى ، وقصير المدى .. ثم ضرب مثلاً من التاريخ فذكر أن أبا محجن الثقفي كان معتقلاً سجيناً كشارب خمر ، وصمم أن يتحرر ليجاهد حين سمع صوت المعركة ، فعلينا أن نعرف أن في كل إنسان خيراً ، وأن في كل إنسان طاقة ، وعلينا ألَّا نيأس من شخص إلَّا بعد أن نعالج نفسه بجميع الاحتمالات والأدوية والمعالجات ، لكي نعين الرجل على شيطانه .

التعامل مع كل الطاقات

وفي إطار قضية المعاصرة المطلوبة لاستمرار الصحوة الإسلامية ذكر المحاضر عدة واجبات منها :

حتى تستمر الصحوة الإسلامية

تعامل الدعوة الإسلامية مع الطاقات كلها ، والأجيال كلها ، والزمن كله : لأنها دعوة الخلود ، ودعوة المدى الطويل والتخطيط الطويل ، مع الحرص على الاستفادة من كل القوى والطاقات ، فإن ذلك لا يعني الخنوع لعداءٍ سافر ، ولا تعليل النفس بالأماني ، فالغفلة والكسل العقلي والغباء السياسي والفكري ، وكذلك التسرع واستعجال الامور .. كل ذلك أمور غير مطلوبة للصحوة الإسلامية .

لكل مقـام مقـال

ينبغي تحديد نوع العمل الملائم في الفترة الملائمة والمكان الملائم ، فإذا احتاج الأمر إلى بيان وإلى إيضاح فكري تقدمنا بهما ، أو إنذار أو ضغط إعلامي أو اقتصادي فعلناه ، وإذا احتاج الأمر إلى جهاد ، ولم يكن مناص من الحرب السافرة ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حيَّ عن بينة ، اقدمنا واقبلنا ولم نتراجع .

منعطفات وأخطـار

وبعد هذه الواجبات حذَّر الدكتور عثمان من عدة أخطار منها :

● منعطف في التصور ، من أن مهمة المسلمين دائماً أن يحاربوا أو يستشهدوا أو يجابهوا ، وأن مهمتهم أن يخرجوا من معركة إلى معركة ، أو من محنة إلى محنة ، فالمسلمون لا يعرفون تعبير الثورة الدائمة التي صُدِّرت إلينا من دستور العمل الماركسي ، فإذا كان الصراع بين قوى الإيمان والكفر ضرورياً ، فلا نتخلَّى عن المعركة ، لكن : إن كان الأمر يسمح بصراع الآراء واقتتال الأفكار ، وبتقديم المنطق والحجة ، رحبنا بذلك وآثرناه على كل شيء .. وعلق قائلاً : نحن لا نريد أن تنعت دعوتنا وأن يتجنى على صحوتنا بما ليس في حقيقتها ، وإن قوماً أعداء لنا يريدون أن يصورونا على أننا وحوش ، وأن صحوتنا لا تمثل إلَّا الشر والقلق للعالم ، فعلينا أن نعرف متى يكون الجهاد ، ومتى تكون المجابهة ، ومتى تكون الدعوة ، ومتى تكون الحجة ، ومتى يكون البيان :

﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴾ (الإسراء :٧٣) .

هذا ويعتبر خطر المداهنة وخطر الملاينة هو الخطر المقابل :

﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذاً لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (الإسراء : ٧٦) .

خطـر التفجير من الداخل

وخطر آخر هو رغبة الأعداء في تفجير الصحوة الإسلامية من داخلها ، بإثارة التناقضات ، وباستعجال الصحوة إلى أن تقضي على نفسها بنفسها ، في عمليات انتحارية غير محسوبة ، وفي تمويهات يريدون أن يضعوها في أذهاننا .. ويعلق المحاضر قائلاً :

علينا أن نتدبر النتائج ، والعواقب ، ونتأسى برسول الله ﷺ الذي ظل سنين طويلة يؤمر بالصبر :

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ... ﴾ (الأحقاف : ٣٥) ، بل وصل الأمر إلى أن يبصر إلى أن هذه الدعوة باقية حتى ولو لم ير في حياته هو شيئاً من هذه النتائج :

﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ . أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴾ (الزخرف : ٤١ ـ ٤٢) .

الحاجة إلى دليل فكري

وفي ختام المحاضرة أشار الدكتور فتحي عثمان إلى حاجتنا ـ نحن المسلمين ـ إلى دليل فكري للحركة الإسلامية ، يقي شبابنا المزالق والأخطار المطروحة .. ثم نادى بضرورة أن نحشد الطاقات العملية والفكرية كلها ، وألَّا نقصِّر في استيعاب وسائل الإعلام لإبلاغ دعوة الإسلام وصحوة الإسلام إلى كل مسلم ، وغير مسلم .. فبجوار المسجد توجد وسائل الإعلام الآن ، ونحن مقصرون إن لم نستفد من هذه التعبئة الإعلامية لتكون كلمة الله وحقيقة الصحوة منتشرة في كل مكان ، ومبينة للناس بوسائل الإعلام كلها .

ثم قال : علينا أن نؤدي واجبنا نحو الفكر ، ونحو إبلاغ كلمة الله والإعلام بها وتوصيلها إلى الناس ، وواجبنا تنظيم صفوف المسلمين الملتزمين بالإسلام ، العاملين للصحوة الإسلامية

هل تتوقف هجرة العقول المسلمة إلى الغرب؟

بقلم : محمد الصالح عزيز

□□ أسرَّ لي أحد الأصدقاء لم يمض على تخرجه من جامعة « السوربون » إلّا بضعة أشهر بأنه ينوي العودة إلى فرنسا والاستقرار فيها بعد أن يئس من البقاء في بلده الأم التي أنفقت على تعليمه الكثير ... وحين استفسرته عن السبب ، ذكر لي أسباباً .. وأيقنت أن الأمر يستحق الوقوف والعلاج .. حقاً إن هجرة العقول الإسلامية واستقرارها في الخارج ظاهرة غريبة تبعث على القلق والحيرة وتجعلنا حريصين على مراجعة أوضاعنا وفحصها بكل دقة ...

إنها ظاهرة غريبة إذا علمنا أن الإحصاءات في انجلترا أثبتت أن نسبة مئوية كبيرة من أشهر الأطباء في انجلترا من الأجانب ، وأن جلّهم من المسلمين .. وما يقال عن الأطباء يقال عن جميع الميادين العلمية الأخرى من هندسة ورياضيات وفيزياء وغيرها .. فكلنا قد سمع بالعالم المصري الذي كان ضمن علماء المخبر الأمريكي الذين صمموا رحلة « أبوللو» إلى القمر ... وسألت أستاذ رياضيات فرنسي الجنسية عن أول عالم في الرياضيات بفرنسا ، فأعلمني أنه جزائري الأصل .. وغيرهم كثيرون ..

وهذه إحصائية لعلماء بعض الدول الإسلامية ـ العربية منها ـ الذين هاجروا إلى أمريكا حسب ما أوردته مجلة العربي [العدد ١٧٠] :

« بعد الحرب العالمية الثانية أصبح المهاجرون من البلاد العربية إلى أمريكا من النخبة الممتازة ذلك أن ٥٨٪ من المهاجرين المصريين هم من العلماء والمهندسين ، و ٧٠٪ من هؤلاء من حملة شهادة الدكتوراه و ١٧٫٥٪ منهم من حملة شهادة الماجستير ... وبالنسبة لسورية تشير الإحصاءات إلى أن عدد الأطباء السوريين العاملين في البلاد (١٥٠٠) مقابل (٤٠٠٠) يعملون في الخارج ، كما تشير إحدى الدراسات الأمريكية إلى أن قرابة ٩٠٪ من الطلاب اللبنانيين الذين يدرسون في الولايات المتحدة لا يرغبون في العودة إلى وطنهم ، وأن ٨٠٪ من الطلاب الأردنيين الذين يدرسون في جامعات الغرب لا يعودون مطلقاً ، وأن ثلث الطلاب السعوديين يستنكفون عن الرجوع لبلدهم » .

وهذه الآن إحصاءات بالأرقام قدّمتها الولايات المتحدة عن هجرة العلماء والمهندسين والأطباء المهاجرين إليها من بعض الدول الإسلامية في خمسة أعوام من ١٩٦٢م إلى ١٩٦٧م : (٢٣٢) عالماً من العراق ، و (١٦٠) من الأردن و (٤٣٦) من لبنان و (١٤١) من سورية و (٢٧٠) من مصر .. أرقام غريبة ومحيرة ، ندرك بها كيف ساهمت العقول الإسلامية في خدمة الدول الغربية التي لا تتوانى في ضربنا متى سنحت لها الفرصة .. أرقام تدعونا إلى مراجعة أوضاعنا الحالية ودرس المشكلة من أساسها عوضاً عن أن نبقى نتغنى بهذه الأحداث .. فنزيد الطين بلّة ويكون المستفيد الأول من هذه الهجرة الدول الغنية وعلى رأسها أمريكا . والأرقام التي أوردناها أكبر دليل على ذلك ، وتؤكد بأن الدول الإسلامية ساهمت فعلاً في إثراء الدول الغنية ...

لكن هذه الحيرة وهذه الشكوى تزولان وتتبددان إذا ما تعرضنا للأسباب التي دعت هذه العقول إلى الهجرة ورفض الاستقرار في أوطانها ، وهذه بعضها :

- يعود الطالب بعد تخرجه في إحدى الكليات الأجنبية ليعمل في وطنه وهو مؤمل أن يكون مرتبه مشرفاً ومناسباً للشهادة التي يحملها ، ولكن هذه الآمال تتلاشى حين يجد مرتبه ضئيلاً جداً لا يكفيه لتغطية حاجاته الضرورية ولا يساوي عُشْرَ ما كان يتقاضاه في البلاد الأجنبية ..
- يعود الطالب إلى بلده وهو يأمل المكانة المرموقة التي يستحقها ، وإذا به يجد أشخاصاً هم أقل منه بكثير يتمتعون بدخل مرموق جداً ، فينقلب هذا النشاط وهذا التفاؤل إلى مركّبات نقص ونقمة على وطنه تجعله يهجره إلى حيث سيجد المكانة المناسبة .
- افتقار الدول الإسلامية إلى المخابر العلمية يدعو العلماء للهجرة إلى البلدان الغنية حيث سيجدون الجو الملائم لعملهم ..
- سوء التنظيم الإداري في بعض الأحيان .. إذا علمنا أن عدداً كبيراً من هؤلاء العلماء يبقون مدة طويلة يترقبون تعيينهم في مكان ما .. وعندما ينفد صبرهم يضطرون للهجرة إلى حيث سيجدون مكاناً شاغراً يترقب قدومهم . بل أذكر أن أحد حاملي شهادة الدكتوراه في علم الذرَّة عُيِّن مديراً لإحدى المؤسسات التجارية حيث يقوم بوظيفة لا صلة لها بما تحصَّل عليه من علم قضى من أجله عشرات السنين .. وليست هذه الحالة وحيدة ، بل ما أكثرها في وطننا الإسلامي حيث نساهم في قتل المواهب العلمية .. عندها لا يجد العالم مفراً إلا الرجوع من حيث أتى ..
- إن انعدام الحرية السياسية ، والكبت الفكري ، من أهم ما يميز الحياة السياسية في معظم البلدان الإسلامية ، حتى إن كثيراً من المعتقلين السياسيين يحملون أعلى الشهادات العلمية : لا لشيء إلا لأن لهم وجهة نظر في سياسة بلادهم ، مما يضطر أكثر الطلبة إلى الاستقرار في الخارج حتى لا تصل إليهم أيدي السلطة وحيث يجدون من الحرية ما لا يحلمون به في أوطانهم ..

هذه بعض الأسباب التي دعت أكثر العقول الإسلامية إلى الهجرة لتشارك في بناء اقتصاد الدول الغربية .. فهل فكرنا في تفادي هذه المشاكل ، ودرس كل الأسباب التي تدفعهم إلى الهجرة لتستفيد منهم أوطانهم التي أنفقت عليهم الأموال الكثيرة ؟...

ســؤال نطرحه على المسؤولين كلهم في أنحاء الوطن الإسلامي بكامله ..

مكتبة الأمة

الكتاب : التصوير الفني في الحديث النبوي

المؤلف : الدكتور محمد بن لطفي الصباغ

الناشر : المكتب الإسلامي - بيروت

□□ الكتاب - في أصله - رسالة جامعية تقدم بها مؤلفها لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها ، وتتألف من تمهيد درس فيه ثلاث قضايا هامة ، أولاها : أن الحديث النبوي نص أدبي يرتفع إلى أعلى درجة من البيان ، وهذا أساس مهم ينهض عليه بناء البحث .

وثانيتها : أن هذا النص الأدبي موثوق به ، وأن رواية الحديث بالمعنى لا تعني أن الأحاديث كلها ليست بلغة الرسول ﷺ نصاً .

وثالثتها : أن القدماء من أمثال : الجاحظ ، والتوحيدي ، والشريف الرضي وغيرهم قد التفتوا إلى نواحٍ جمالية في الحديث بصفة عامة ، ولكن ما أغفلوه كان أكثر بكثير مما التفتوا إليه ، وأن معظمهم لم يتناول الحديث النبوي بوصفه نصاً أدبياً ... وأن المحدثين تفاوتت دراساتهم تفاوتاً بيّناً بين السطحية والعمق ، وأنها تتفق فيما بينها على التخلي عن النظريات النقدية الحديثة التي تسعى وراء الجمال في التعبير الأدبي ...

ثلاثة أبواب رئيسة ، درس فيها دراسة تحليلية مفصلة الصورة الفنية في الحديث النبوي ، فجاء الباب الأول عن « الصور الحسية والمعنوية في عالم الغيب » ليتناول : الله جل جلاله ، يوم القيامة ، الجنة والنار ، الملائكة ، الشيطان ، الفتن ، بعض المتفرقات حول الروح والإيمان وعمل الإنسان ...

وجاء الباب الثاني عن « الصور الحسية والمعنوية في عالم الشهادة » ، ليتناول : الصلاة - الزكاة - الصوم - الحج - الجهاد - الذكر والدعاء - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - صلة الأرحام وبر الوالدين - المؤمن والمسلم ...

وفي تحليله للصور الفنية في هذين البابين رأى أن يتسع الفهم لجمال الصورة بحيث يتسع لكل عناصر الجمال في التعبير من حيث بلاغة نظم العبارة وموسيقاها ، ومن حيث استخدام وسائل التصوير المختلفة ؛ من وصفٍ وتشبيه واستعارة وقصة ، والاعتماد على الحواس المختلفة وعناصر التأثير المتباينة ...

وجاء الباب الثالث عن « الصور الحسية والمعنوية في وسائل التصوير وعلاقاته » ليدرس جوانب الصور الفنية كما استقرت في نفسه ، فاجملها في قسمين : تناول في الأول منهما وسائل التصوير الفني التي حصرها في « التصوير بالوصف - بالقصة - بالموازنة - بالاستعارة - بالتشبيه والكناية » .

أما القسم الثاني فكان دراسة تحليلية من خلال الأحاديث النبوية لعلاقات التصوير الفني ، حيث درس علاقة « التصوير بالنفس - بالبيئة والمجتمع - بالحس في أشكاله المختلفة » .

وقد قدم للرسالة بعد طبعها الأستاذ الدكتور محمد مصطفى هدارة ، وكيل كلية الآداب للدراسات العليا والبحوث بجامعة الإسكندرية ، وكان مما قاله منوهاً بهذا العمل العلمي بأنه « قد أضاف جديداً إلى المكتبة الإسلامية ، وهيأ دراسة تعتمد على المنهج العلمي القديم والمصادر الحديثية الكبرى وعلى منجزات النقد الأدبي الحديث ، تجلو لكل مسلم روعة البيان في حديث رسول الله ﷺ محللة معللة ... » وقد ألحق بالرسالة قائمة بأهم مراجع البحث العربية والأجنبية وفهرساً تفصيلياً لموضوعاته . □□

الكتاب : الإسلام أهدى

المؤلف : عبد الله كنون

الناشر : دار الثقافة - الدار البيضاء

□□ جاء الإسلام بالمثل الأعلى الذي طبق على عهد الخلافة الراشدة ، وبالوسط الذي يقال عليه : ما لا يمكن كله ، لا يترك جله ، وقد عاش المسلمون على هذه الحالة في عصورهم وبلادهم كلها ، ولم يقل أحد إنهم خرجوا عن دينهم في أي عصر أو بلد ، وكانت تلتمع فيهم في بعض الأحيان شخصيات تحاول الارتفاع بهم إلى المستوى المنشود ، كعمر بن عبد العزيز ، وصلاح الدين الأيوبي ، ويوسف بن تاشفين وأمثالهم ...

فتعطي الدليل على أن الحياة في المجتمع الإسلامي لا تفتأ تتراوح بين الوسطية والطموح إلى المثل الأعلى ؛ وفي خِضَمِّ المذاهب والأنظمة السائدة اليوم ، والتي تحاول استدراج الأمم والشعوب إلى حظيرتها بالترغيب والترهيب نجد الإسلام أهدى منها وأقوم سبيلاً ... وفي هذا الكتيب يقدم الشيخ عبد الله كنون الدليل على ما ذهب إليه من خلال أبحاث في صورة عروض مركزة وموثقة بنصوصها ومراجعها لقضايا تعتبر أهم ما تبنى عليه فلسفة الأنظمة والمذاهب المعاصرة من غربية وشرقية ، وتبين بالنظر الصحيح فضل ما جاء به الإسلام في هذه القضايا على ما عند هؤلاء المتبجحين ، وما توخاه من الصالح العام للبشرية كلها ...

وهذه القضايا التي بحثها هي : الملكية الفردية في الإسلام - موقف الإسلام من الرق (تاريخ الرق - أنواعه - الرق في نظر بعض المفكرين - الإسلام والرق - استرقاق الأسرى ضرورة وقتية - الشارع متشوف للحرية) - الإسلام والمرأة - الاقتصاد الإسلامي - نظام الحكم في الإسلام ...

وهو في أثناء بحثه لهذه القضايا يستخدم أسلوب الدراسة المقارنة مع المذاهب والأنظمة الوضعية التي تحاول إثارة البلبلة في المجتمع المسلم لتوليد الشعور بالطمانينة الفكرية والقناعة العقلية لكل من اشتبهت عليهم الأمور ليرجعوا إلى الجادة المستقيمة . □□

الكتاب : الوجيز في الاقتصاد الإسلامي

الكاتب : الدكتور محمد شوقي الفنجري

الناشر : دار ثقيف - الرياض والطائف

□□ هذه الدراسة مدخل وجيز وعرض مختصر يستهدف تقديم العون لكل مثقف من اجل الوقوف على منشا الاقتصاد الإسلامي وماهيته ، وليتبين تطور دراساته واهم مراجعه ، وليدرك منهجه وطبيعته وتميزه عن الاقتصاديات الوضعية السائدة والدور الذي يمكن ان يؤديه لإسعاد البشرية ...

والدراسة تتالف من تمهيد بيَّن فيه الكاتب ان الدعوة إلى اقتصاد إسلامي هي دعوة إلى تصحيح اوضاع وتحرير المجتمع الإسلامي من اية تبعية غربية او شرقية ، ودعوة إلى إحياء الإسلام بالالتزام به في المجال الاقتصادي ... ثم قدم لمحة موجزة عن تاريخ تدريس هذه المادة - مادة الاقتصاد الإسلامي - في المعاهد العليا والجامعات ...

ومن فصول اربعة : بحث الكاتب في الأول منها منشا الاقتصاد الإسلامي وماهيته .

وفي الثاني عرض تطورَ دراسة الاقتصاد الإسلامي واهم مراجعه القديمة والحديثة .

وفي الثالث حدد منهجَ الاقتصاد الإسلامي وطبيعة دراساته ، والتمييزَ بينه وبين علم الاقتصاد الوضعي .

وفي الرابع قارن بين الاقتصاد الإسلامي والاقتصاديات الوضعية السائدة في مجال الحرية الاقتصادية وتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ؛ وفي مجال الملكية ، وفي مجال التوزيع ؛ وكيف ان الاقتصاد الإسلامي يجمع بين تحقيق المصالح المادية وإشباع الحاجات الروحية ...

ومن خاتمة بين فيها اهمية الاقتصاد الإسلامي الذي يحقق ذاتية اقتصادية إسلامية تتميز عن غيرها من الاقتصاديات لها فلسفتها الخاصة بها ؛ كما اورد فيها راي بعض العلماء الاجانب في الاقتصاد الإسلامي ، مثل : برنارد شو ، جاك اوستري ، لويس جارديه .. □□

الكتاب : ابن خلدون وتراثه التربوي

المؤلف : حسين عبد الله با نبيله

الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت

□□ معظم ما كتب من دراسات حول ابن خلدون اقتصر على افكاره في فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع ، اما آثاره التربوية فقد كان نصيبها من الدراسة والمعالجة اقل بكثير من سابقتيها ، وياتي هذا الكتاب مساهمة في جلاء هذا الجانب من آراء العلامة ابن خلدون ... وجاء الكتاب في اربعة ابواب ، تحدث المؤلف في الباب الأول عن العصر الذي عاش فيه ابن خلدون والبيئة التي ترعرع فيها ، وقد قسمه إلى ثلاثة فصول ، تحدث في الأول منها عن البيئة الاجتماعية والسياسية والفكرية في العالم العربي في ايام ابن خلدون ، وفي الثاني عن البيئة الاجتماعية والسياسية والفكرية في العالم الإسلامي ، وفي الثالث عن البيئة الاجتماعية والسياسية والفكرية في العالم الاوروبي ...

اما في الباب الثاني قد تحدث المؤلف عن حياة ابن خلدون من الشروق إلى الغروب ، وجاء في فصلين ، تحدث في الأول منهما عن حياة ابن خلدون ونشاته ودراسته وخوضه غمار السياسة المغربية ، واعتزاله السياسة ، وعودته إلى تونس ، ورحيله إلى المشرق ؛ وفي الثاني تحدث عن ابن خلدون كما يبدو من اخلاقه ومعاشرته وصفاته .

وفي الباب الثالث تحدث عن التربية والتعليم ومناهجهما عند ابن خلدون والمسلمين ، وجاء في ستة فصول ، تحدث في الأول منها عن العلم والتعليم في الإسلام ، وفي الثاني عن آراء المسلمين في التربية والتعليم ، وفي الثالث عن احوال التعليم عند المسلمين ، وفي الرابع عن التربية عند ابن خلدون ، وفي الخامس عن مناهج التعليم عند ابن خلدون ، وفي السادس عن ابن خلدون والتربية الحديثة ...

وفي الباب الرابع تحدث عن آثار ابن خلدون وما قيل فيه ، وجاء في فصلين ، ذكر في الأول منهما آثار ابن خلدون ، وفي الثاني بعض ما قيل في ابن خلدون ...

وقد الحق المؤلف بالكتاب فهرساً لاهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها في دراسته . □□

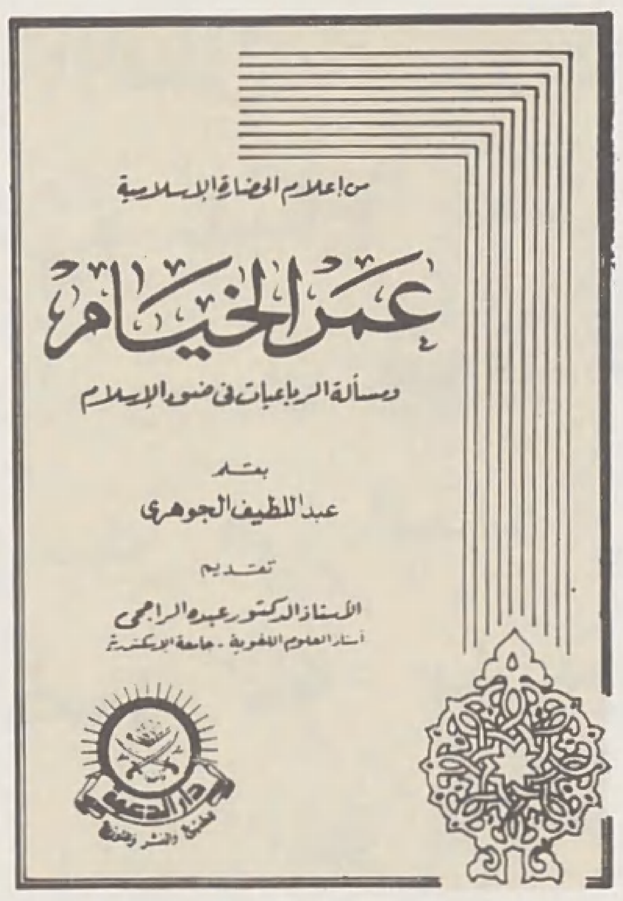

الكتاب : عمر الخيام ومسألة الرباعيات في ضوء الإسلام

الكاتب : عبد اللطيف الجوهري

الناشر : دار الدعوة - الإسكندرية

□□ البحث في اصله محاضرة في ندوة بقصر ثقافة طنطا ، القاها المؤلف من اجل وضع حد للشك الذي يدور بين جمهور الادباء والباحثين في الصلة بين الحكيم عمر الخيام وبين الرباعيات المنسوبة إليه ، والإشارة إلى الدور الذي يقوم به اعداء الإسلام من اتباع الحضارة المادية بشقيها الإلحادي الشيوعي ، والراسمالي الغربي ، سواء في ذلك منهم من يعيش بين ظهرانينا او اولئك الذين يقبعون في الغرب ...

والبحث يشتمل على مقدمة وفصلين ، قدم الكاتب في الفصل الأول المحاضرة التي تناولت القضية من جميع اطرافها [الخيام وبيان الخطا الأكبر الذي وقع فيه جمهور الباحثين بنسبة الرباعيات إليه - التعريف بالجهد الكبير لأبي النصر الطرازي صاحب « كشف اللثام عن رباعيات الخيام » - الكشف عن حقيقة الصلة بين عمر الخيام وهذه الرباعيات المنسوبة - بيان دور اعداء الدين في بلاد الإسلام وخارجها في الدس على عمر الخيام] .

وكان الفصل الثاني عبارة عن « التعقيب » على المحاضرة ، حيث تناول عدداً من النقاط اضافت جوانب اخرى إلى البحث ، وسجلت طرفاً من المناقشة التي تمت عقب المحاضرة ، والتي ادت إلى إيضاح ابعاد القضية ، وانتهى إلى حسم الشك باليقين من خلال تسجيل دلائل جديدة على طريق التوثيق العلمي ، كما اشتمل على قصة الخيام ومسالة الرباعيات في الصحافة المصرية .

وقد قدم للكتاب الدكتور عبده الراجحي - عميد كلية الآداب بجامعة بيروت العربية - الذي قال في مقدمته : « وغني عن البيان الَّا يتوقع احد الباحثين أن يقول في الخيام كلمة فصل ، فالخيام ليس من الموضوعات التي يقال فيها كلمة فصل ، ولكننا نتوقع ان نرى مساحة واسعة عن الخيام وقد شملها ضوء غير خافت » . □□

رسالة من عربي إلى:

المجاهدين الأفغان

مَهْما طَغَتْ بِدُروبِكُمْ أَخْطارُ ... لَكُمُ الحَياةُ وَلِلطُّغاةِ العارُ
تَتَنافَسونَ إلى العُلا بِجِهادِكُمْ ... وَإِلىٰ العُلا يَتَنافَسُ الأَخْيارُ
مِنْ سُورَةِ الأنْفالِ يَبْدَأُ زَحْفُكُمْ ... فَلْتَهْنَؤوا وَلْيَخْسَأِ الأشْرارُ
دَمَوِيَّةُ الرَّاياتِ تَأْكُلُ قَلْبَها ... مِنْ بَعْدِ ما أَكَلَتْ رؤاهُ النَّارُ
كَمْ يَدَّعونَ بِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ هُنا ... كَمْ يُنْكِرونَ وَيَخْجَلُ الإِنْكارُ
نَطَقَ (الرَّصاصُ) مَعَ ادِّعاءِ عَدُوِّكُمْ ... فَطَغَتْ عَلىٰ بُهْتانِهِ الأَخْبارُ
في كُلِّ مَعْرَكَةٍ تَشُوهُ وجوهُهُمْ ... وعلى عَمائِمِكُمْ يَضُوعُ الغارُ
فالسَّيْف والقُرْآنُ ما اجْتَمعا معاً ... إلَّا وَزالَ الغَدْرُ والغَدَّارُ
قُلْتُمْ لِكُلِّ الغارِقينَ بِبُؤْسِهِمْ ... وَلِمَنْ بِهِمْ تَتَعَتَّقُ الأَوْزارُ
عَرَضُ الحَياةِ وجاهُها وكُنوزُها ... زبدٌ ، وممَّا يجرفُ التَّيَّارُ
قُلْتُمْ لَهُمْ : إنَّ الحَياةَ عَقيدَةٌ ... واللَّهُ رَبُّ النَّاسِ ، لا الدِّينارُ
هذا زَمانُ الصَّحْوَةِ الكُبْرىٰ أتىٰ ... مَعَهُ لِكُلِّ مُكابِرٍ إنْذارُ
هذا زمانُ الانْتِماءِ ؛ وَمَنْ أبىٰ ... إلَّا الخُنوعَ .. فدونَهُ الأَجْحارُ
طَلَعَ الصَّباحُ بنصْفِ لَيْلٍ حالِكٍ ... عَجِبَ الشّيوعيُّونَ مِنْهُ وَحاروا
فَقَدَتْ عُقولُ الغَرْبِ مِنْهُ صَوابَها ... وَبِما انْبِهارٍ زاغَتِ الأبْصارُ
قالوا : أمِنْ لَيْلِ الطُّغاةِ وَلَيْلِهِمْ ... وَالقَتْلُ يَسْتَشْري أفاقَ نَهارُ ؟!!
قُلْنا : وَمِنْ عُرْسِ الشَّهادَةِ دائِماً ... تَثِبُ الشُّموسُ وَتَعْرِشُ الأقْمارُ
إخْوانُنا الأفْغانَ قَدْ عَطِشَ الثَّرىٰ ... لَكِنَّها لا تَعْطَشُ الأنْهارُ
كَمْ ظامِئٍ لِلسَّاح كَبَّلَ خَطْوَهُ ... قَهْرٌ وَسَيْفٌ مُسْلَطٌ وَإسارُ
لَكِنَّها الفُرْسانُ فَوْقَ خُيولِها ... تَبْقىٰ وَمِلْءُ كِيانِها إصْرارُ
إنَّا نُهاجِرُ في الحَياةِ بِدينِنا ... فَإذا اسْتُبيحَ فَكُلُّنا أنْصارُ
رَكِبَتْ خُيولُ اللَّهِ ، يا دُنْيا اشْهَدي ... وَتَهَيَّئِي لِلْمَجْدِ يا أمْصارُ
نَأْبىٰ - وَأهْلُ الكُفْرِ قَدْ جَمَعوا لَنا - ... عَيْشاً يُعَشِّشُ في مَداهُ العارُ
وَنَسيرُ في رَكْبِ الجِهادِ أعِزَّةً ... قَصُرَتْ بِنا أمْ طالَتِ الأعْمارُ
إمَّا نَموتُ علىٰ مَطالِعِ شَمْسِنا ... أَوْ أنْ نَعيش وَتُشْرِقُ الأنْوارُ

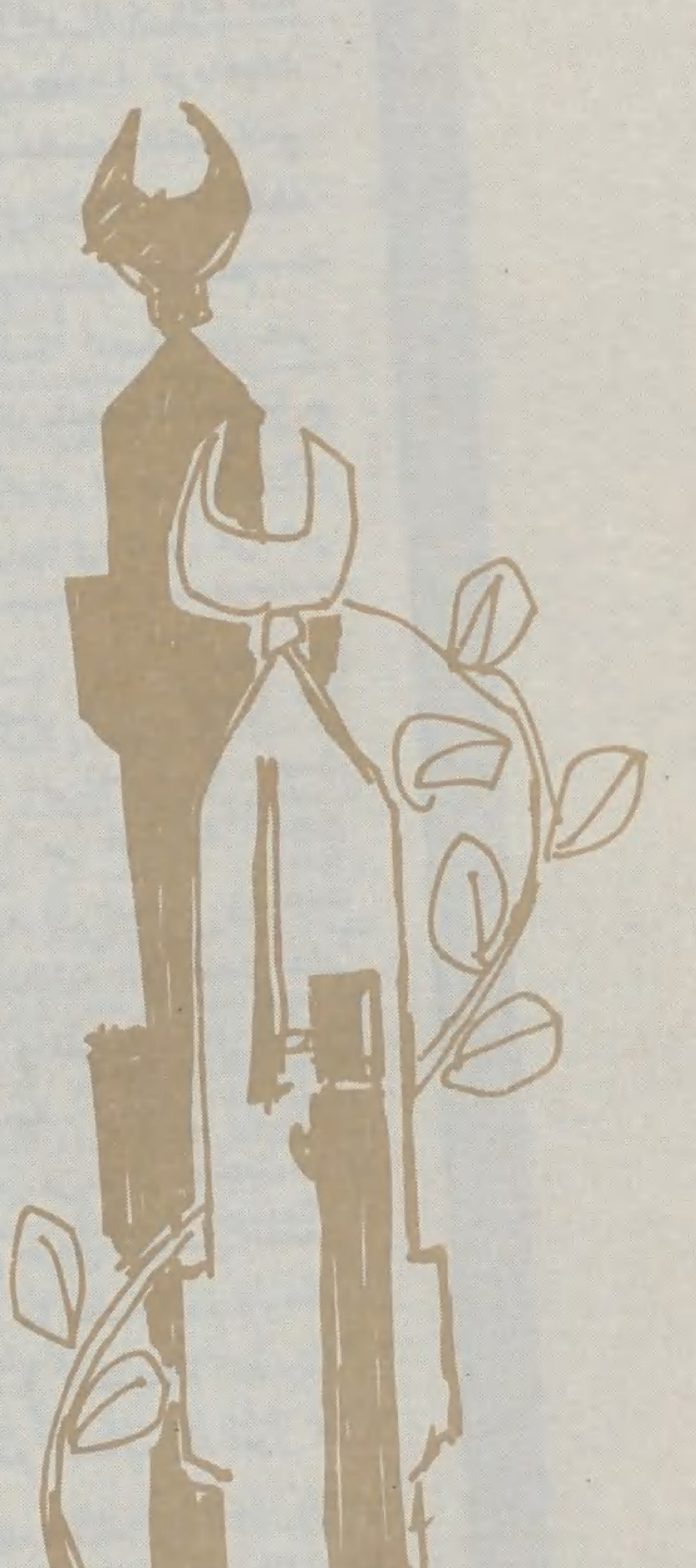

شعر : محمد مأمون عبد الغني نجم

بريد الأمة

●● تشكل نسبة خطابات الإخوة القراء ، التي تطالب بزيادة الأعداد المطروحة في الأسواق من « مجلة الأمة » و « كتاب الأمة » جانباً كبيراً من حجم رسائلهم ، ويكاد يكون هذا المعنى قاسماً مشتركاً رغم اختلاف المناطق والبلدان التي ترد منها .

ومع ذلك فلا بد هنا من الإشارة ـ على وجه الخصوص ـ إلى حجم الطلبات المتزايدة التي تأتي من الإخوة القراء من الجزائر .. وربما تكون بعض أسباب ذلك : دخول « الأمـة » الجزائر منذ فترة قريبة نسبياً ، وتعطش القارىء المسلم هناك ـ خاصة من الشباب ـ إلى الثقافة الإسلامية والعربية بعد محاولات الاستعمار الطويلة والدؤوبة لتغريبه وفرنسته ، التي باءت بالفشل بفضل الله تعالى ، بل وأثمرت رد فعل مضاداً يتمثل في الرغبة الملحة بالتحصين والاستزادة من منابع الثقافة الإسلامية الأصيلة .

إن التعبير الصادق عن هذه التوجهات الواعية يمكن أن نلمحه من المساهمات الجادة والمفيدة التي يبعث بها الإخوة من الجزائر لإثراء أبواب المجلة المختلفة وفقراتها بالكلمة وبالصورة .. وبذلك يُضم إلى رصيد « الأمة » من قرائها عيون وحواس ومصادر جديدة ..

وبهذه المناسبة نود أن يعلم الإخوة القراء أننا بسبيل زيادة الأعداد المطبوعة والاستجابة لمعظم الطلبات في أكثر من مكان ، وإن كنا نعترف بأننا غير قادرين ـ مع ذلك ـ على تأمين القدر المطلوب .. ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جلّه .. وبالله التوفيق .. ●●

رســـالــة ..

■■ من الســـودان .. بعث الأخ عثمان صالح محمد ـ أحد المسلمين المهاجرين من إريتريا تحت وطأة القهر الشيوعي الصليبي الذي يمـارسه ضدهم النظام الإثيوبي ـ برسالة يقول فيها :

[... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد :

لعلكم تعلمون ما يحدث للمسلمين في الحبشة اليوم من المآسي العديدة نتيجة الصراع الموجه ضد الإسلام والمسلمين هناك .. وإنني أحد هؤلاء ، شاب أبلغ من العمر (١٨) عاماً ، ولدت في إريتريا في مدينة « تتسي » ، وقضيت مرحلة تعليمي الأول بين أسرتي ، فالتحقت بالخلوة لحفظ القرآن الكريم ، وأتممت بعون الله حفظ تسعة أجزاء ، ثم تركت الخلوة بعد وفاة أبي ـ من أجل توفير القوت اليومي لي ولأسرتي ، وفي الوقت نفسه كنت حريصاً على مواصلة التعلم ودراسة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، غير أن مثل هذا التعليم لا يتوفر في المدارس الحبشية ، فضلاً عن أن الحكومة لم تنشىء مدارس أصلاً في مدينتنا .. ومن أجل ذلك قام أهلي المسلمـون بتأسيس معهد ديني متواضع حسب إمكاناتهم ، التحقت به بالمرحلة الأولى .. ولم تمض أيام حتى قامت القوات المسلحة الإثيوبية باعتقال المشرف والمعلم والإمام وبعض الطلاب بسبب طبيعة المنهج الذي يدرس بالمعهد ، ثم قامت الحكومة الماركسية بإجبار الأهالي على تسجيل أبنائهم في أقرب مدرسة حكومية ودراسة النظرية الماركسية واعتناقها ، وذلك بعد أن أغلقت المعهد والخلوة .. لهذا فررت إلى السودان المجاور بعد أن أمضيت أكثر من عام مع البدو ..

وفي ظل الظروف الصعبة التي اجتاحت المنطقة بسبب الجفاف ، لم أجد أي وسيلة لمواصلة الدراسة ، أما من كان معنا من الشباب النصراني فقد فتحت أمامهم هيئات التنصير الصليبية فرص الهجرة إلى الغرب للدراسة هناك : الأمر الذي جعل بعض المسلمين يغيرون أسماءهم وينسبون أنفسهم إليهم ، ويذهبون معهم ، دون النظر إلى العواقب الوخيمة لهذا الأمر ، حين ينسى المسلم عقيدته ودينه في مجتمع الغرب ..

وأخـــيراً ، فإنني أناشد المسؤولين المسلمين عن شؤون التعليم في البلاد العربية الإسلامية أن يبحثوا لي عن وسيلة أواصل من خلالها دراستي ، على النحو الذي يرضاه الله تبارك وتعالى] .

ويذكر الأخ صالح عنوانه : جمهورية السودان الـديمقراطيـة ـ بـور سودان ص . ب : ١٧٢ ■■

ردود خاصة

■ الأخ نجدي جمال - المغرب :

●● عنوان الأستاذ توفيق يوسف القيسي :
ص . ب ٨٠ - الدوحة
دولة قطر - توجيه العلوم

■ الأخ علام أحمد فضالة - المنصورة - مصر ، والأخ مسعد عبدالحميد محمد الرديني - مصر :

●● الطبعة الثالثة من الكتاب السابع من سلسلة كتاب الأمة « الحرمان والتخلف في ديار المسلمين » لمؤلفه الدكتور نبيل صبحي الطويل سوف تتوفر في الأسواق قريباً بإذن الله .

■ الأخ سمير إبراهيم البنداري - الدقهلية - مصر :

●● يمكنكم الاتصال بالناشرين مباشرة في شأن طلب الكتب التي تعرض ضمن أبواب « الأمة » ، حيث لا علاقة لنا بما تطلبونه في رسالتكم .

■ الأخ فؤاد الحضري - المغرب ، والأخ عبدالله النوالي - المغرب :

●● نعتذر عن عدم تلبية طلبكما .

■ الأخ فؤاد شعبان - القاهرة ، والإخوة الذين أرسلوا بطاقات تهنئة بمناسبة بدء « الأمة » عامها الخامس ..

●● نشكر لكم مشاعركم الطيبة ..

أصداء

● كتب الأخ الحسيني عبد الله من المغرب يقول :

[... لدي بعض الملاحظات حول تعقيب الأخ أحمد عبد العاطي البهي - من مصر - على مقال الدكتور محسن عبد الحميد : « أين الخلل ؟ - العمل الإسلامي - مراجعة وتقويم » بالعدد الحادي والخمسين ، وإنني أحيي أولاً في الأخ البهي غيرته على الإسلام ، لكنني أرى في الواقع أنه لم ينصف الدكتور عبد الحميد ، وانصرف في فهمه لبعض فقرات المقال إلى ما لم يكن يقصد إليه الدكتور محسن ، بل أقول : وإلى ما لا يفيده التعبير المجرد في السياق - دون ما نظر إلى الكاتب ونواياه - فهل يدل مثلاً قوله : « وقد يقول قائل : إن هذا الطريق طويل قد يستغرق قرناً أو أكثر ، أقول ليستغرق ما يستغرق » على تثبيط الهمم ؟ ما أحسب الأمر كذلك ؟ وإلّا فما بال النصوص الكثيرة التي مفادها أن الطريق شاق وطويل ، ونحن نعلم أمر تلك المجموعة من الصحابة - رضوان الله عليهم - الذين استعجلوا النصر بتجاوز سنن الكون وشروط النصر ، حيث سألوا رسول الله ﷺ أن يستنصر لهم : فكان جوابه المعروف : « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط من الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصدُّه ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلّا الله والذئب على غنمه .. ولكنكم تستعجلون » ..] .

● وتعلق الأخت أمة الله الودود - من مصر - على مقال « تجديد القديم وتقويم الجديد في الشعر المعاصر » الذي نشر بالعدد الثالث والخمسين بقلم صالح عبدالله العبيري - فتقول :

[... في معرض حديثه عن الشعراء وهويتهم العقيدية ، ذكر الأخ الكاتب أن (أحمد فارس شدياق) نصراني ، ولم يوضح أن الشاعر المذكور كان رجل دين صليبي من الطراز الأول ، ثم بعد دراسات متعمقة في تاريخ الأديان أعلن إسلامه ، فكان لهذا صدى كبير في الأوساط الكنسية والأدبية على السواء ، ولعل قراءة ما كتبه الماروني المتعصب « حنا فاخوري » في كتاب « تاريخ الأدب العربي » لدى ترجمته للشدياق تكشف مدى الحقد الصليبي الموجه ضد الشاعر الذي أسلم ، ونسي كاتب المقال إثبات إسلامه !

نقطة أخرى أثارها الكاتب عندما تعرَّض لقضية الشعر المرسل عند « با كثير » جاعلاً في المقام الأول رغبة الشاعر الإسلامي الكبير في كتابه هذا اللون من الشعر (التمرد على صنعة العرب الأصلية ، فكان الشعر الحر أقرب وسيلة) !! - وذلك حتى لا يتهم (بالبداوة والتخلف) !! - والحقيقة أن هذا القول ينافي تماماً ما عرف عن شاعرنا بشدة الاعتزاز بالإسلام ، والعربية ، والشعر العربي الرصين ، فضلاً عن مكانته الطيبة التي احتلها في الأوساط الأدبية على اختلافها وتنوعها -] .. ثم تشير الأخت صاحبة الرسالة إلى أن « باكثير » قد حافظ على الخط التقليدي للشعر العمودي ، بعد ما كتب الشعر المرسل مثل ترجمته لمسرحية « روميو وجولييت » ، وكتابته لمسرحية « أخناتون

مقترحات

● الأخ عبد الستار العيساوي - من تونس :

[يرى ضرورة ذكر أسماء الأشهر العربية الخاصة بالتقويم القمري ، مقابل أسماء الأشهر الميلادية ، ويطلب التنويه بالمناسبات والأعياد الإسلامية في وقت مبكر ، ويقول : « إنني في بلد عربي ومع ذلك أجهل ذلك ، فكيف بإخواننا في الدول غير الإسلامية »] .

● ويقترح الأخ محمد موسى جودة - من الزرقاء - الأردن :

[إعادة طباعة الأعداد الأولى من « الأمة » على شكل مجلد وطرحه في الأسواق ليتسنى للإخوة القراء الذين لم يطلعوا عليها اقتناؤها .. ويقول : « لقد كانت [الأمة] تقدم هدية رمزية مع أعدادها الأولى ، وأرجو أن تعود هذه الهدية على شكل تقويم يتضمن أهم المعالم الإسلامية والمؤسسات البارزة المؤثرة في مسيرة العمل الإسلامي »] .

● ويقترح الأخ دخيل‌الله مبارك - من الرياض بالسعودية :

[زيادة عدد الجوائز الخاصة بالمسابقة ، وذلك لكثرة عدد الإخوة قراء « الأمة » في جميع أقطار العالم ، كما يقترح ذكر آخر موعد لتلقي إجابات الإخوة المساهمين بحل أسئلة المسابقة] ..

● ويرى الأخ بسام جمال جرادات - من إربد بالأردن :

[تخصيص باب يكشف حقيقة الكتب التي تحمل أسماء إسلامية لكنها مشبوهة تدس السم في الدسم حتى لا يخدع بها المسلمون] ..

● وترى الأخت ظلال عبدالفتاح - من الزرقاء - بالأردن :

[ضرورة الاهتمام بباب الأسرة المسلمة وتوجيه المزيد من العناية بأحوال المرأة ، ثم أرفقت كلمة في هذا الإطار ، للإسهام العملي في هذا المجال ، سوف تجد طريقها ضمن مواد الباب المخصص لذلك « بأقلام القراء » ..] .

● ويقول الأخ أسامة أحمد علي - من أسيوط - مصر :

[إن باب « بأقلام القراء » يُعد فكرة طيبة بالنسبة لنا نحن القراء ، فمن خلاله نستطيع التعرف على آراء وأفكار الإخوة البعيدين عنا جغرافياً والقريبين منا روحياً ..] ولذلك يقترح زيادة عدد صفحاته ..

ونفرتيتي » كأول كتابة ناضجة في شعر التفعيلة ، وتنصح لمن يريد الاستزادة من هذا الموضوع الدقيق بمراجعة الجزء التاسع من كتاب (شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث) لمؤلفيه : أحمد الجدع ، وحسني جرار .. وتضيف : [... بقيت ملاحظة أخيرة تتعلق بخطأ أعتقد أنه مطبعي - رغم تكرره - في حديث كاتب المقال عن (البير أديب) وتأسيسه لمجلة (الآداب) والصحيح أن المجلة حملت اسم صاحبها (الأديب) ...] .

● ويقول الأخ سهيل أحمد ملقي - من أبها - بالسعودية في تعليقه على الحوار الذي نشر بالعددين (٤٨) و (٤٩) حول الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية :

[... إن رأس المال المقدر - وهو ألف مليون دولار - مبلغ مناسب ، وفكرة جمعه من كبار الأغنياء في العالم الإسلامي فكرة ممكنة ومعقولة ، للإسراع ببدء ممارسة الهيئة لنشاطها ، أما الذي أراه إضافة إلى ذلك ، وعلى المدى البعيد نسبياً ، فهو أن يتم جمع ألف مليون دولار أخرى من جميع مسلمي العالم ، ليكون لهم شرف المساهمة في عمل الخير ..

أتألم كثيراً حين أسمع عن هيئة الصليب الأحمر الدولية التي تمن على المسلمين بالإغاثات في المناطق المنكوبة ، وأكاد ألمس ما تحدثه من آثار سيئة نتيجة استغلال الجوع والجفاف في بلاد المسلمين باسم الإنسانية (!!) .

● وبعث الأخ محمد لغريسي الأسفي - عضو رابطة علماء المغرب ، رسالة - يعلق فيها على ما تقدمه « الأمة » من مقابل مادي للإخوة أصحاب الأقلام القراء عن كتاباتهم :

[... إذا كنتم تعتبرون هذا المقابل مجرد تعبير رمزي فإنه من جهتي أعز وأثمن عوض أخذته عن عمل قمت به ، راجياً أن تعتبروا كتاباتي المقبلة مجرد تعبير رمزي ، راجياً أن أكون قد ساهمت في هذه الحركة المباركة التي تقومون بها ببعض ما يجب عليّ نحو الأمة الإسلامية في هذا الوقت العصيب .]

● ويقول الأخ صالح عبدالظاهر محمد - من القاهرة :

[... إن السبب الذي دعاني للكتابة إليكم هو ما قرأته في العدد (الثالث والخمسين) ضمن الحوار الذي أجريتموه مع الدكتور عبد الله عمر نصيف تحت عنوان : « مؤسسات المسلمين بين متطلبات الواقع والدور المطلوب » عن افتقار هذه المؤسسات للمتطوعين في عمليات الإغاثة لإخوتنا المسلمين في أفريقيا وغيرها ...] ثم يطلب الأخ صالح نشر بيانات عن المؤسسة وشروط التطوع للعمل بها ..

●● وإذ نشكر للأخ صالح وللإخوة الذين أرسلوا يعرضون رغبتهم في التطوع حسن إدراكهم لحاجات العمل الإسلامي في جانب هام من جوانبه في المرحلة الراهنة ندعوهم إلى الاتصال مباشرة برابطة العالم الإسلامي - بمكة المكرمة - وندعوا لهم بالتوفيق ...

واحة الإخاء

○ بتوقيع « أخ مسلم » من الجزائر [أرض ابن باديس رحمه الله] جاءت هذه الرسالة - وقد أرفق بها إعلان من جريدة «لوموند» الفرنسية عن لعبة أطفال لعام ١٩٨٥م - اللعبة مصنوعة في إسرائيل وهي عبارة عن «ماكيت» مكوّن من أجزاء ، يقوم الطفل بتجميعها وتركيبها بسهولة لتكوين أنموذج لمعبد القدس الثاني (بنسبة ١ : ٣٧٤) - أو هيكل سليمان كما تسميه الخرافة اليهودية - ويعلق الأخ صاحب الرسالة ، فيقول :

[... إن اليهود يلجؤون إلى مثل هذه اللعب بالنظر إلى تأثيرها التربوي على الصغار ، فهم يعلمون أن التعلم في الصغر كالنقش على الحجر .. وهذه السياسة التربوية تكشف عن نواياهم الخبيثة التي تهدف إلى هدم المسجد الأقصى لإقامة ما يسمونه « المعبد الثاني » ، وهم مصممون على جعل الخرافة حقيقة واقعة بكل الوسائل ومن أهمها تنشئة جيل يهودي ليكمل الحرب الدينية المنسية في العالم الإسلامي ..] .. ويتساءل :

[... ماذا ننتظر ونحن نعلم أن الحرب الدينية التي يواجهوننا بها لا يصلح لها إلَّا سلاح العقيدة ؟!.. ولسنا بحاجة إلى أن نلفت النظر إلى خطر لعب الأطفال هذه ، فإذا ما قام الطفل اليهودي ببناء المعبد في صغره فسوف يبنيه في كبره بكل سهولة ..] ويشير في ختام رسالته إلى أن هذا الإعلان موجه للكبار والصغار - كما هو واضح في الصورة - ويأسف لأن العالم الإسلامي لا يزال يستورد لعبة الطفل المسلم - بكل ما تحمله من تأثيرات نفسية وتربوية - من الغرب ..

○ وأرسلت الأخت سامية محمود المصري - من الإسكندرية تقول - بمناسبة مرور خمس سنوات على الغزو الروسي لأفغانستان ..

[السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد :

لقد مرت خمس سنوات ولا يزال الجرح ينزف من جسد الأمة الإسلامية ، الجرح الذي لم يعد يُشفى أو يلتئم بالمسكنات ، حيث تصر جيوش الإلحاد على اقتلاع شجرة الإسلام من أفغانستان المسلمة وتطفىء جذوة الإيمان في قلوب أهلها ، فطوال هذه السنوات ، والأمة الإسلامية تقف مكتوفة الأيدي وهي تشاهد جثث القتلى من المسلمين بينما يهز ضمير العالم المترف قرب انقراض نوع من الحيوانات في أحراش الغابات أو في أعماق البحار .. إن الكلمات والتصريحات لن تمنع المذابح ولن تعيد الأرض لأصحابها .. لقد أخذتنا الحماسة في أول الأمر ، فشجبنا الغزو الروسي واستنكرنا وحشية الغزاة ، ثم أخذت الأيام تطوي القضية الأفغانية كما تطوي كل قضايانا .. هل هو العجز عن مواجهة الواقع واللجوء إلى السلبية السهلة ، أم هو الخوف من المواجهة ؟ دعونا يا إخوتي من السلبية ولو مرة واحدة ، فقد تعددت تجربتنا ، ولا بد أن العقلاء قد تأكدوا من أنه لا طائل من ورائها .. فمتى نتوحّد بفاعلية في وجه أعدائنا ؟ متى نستطيع أن نجبر العالم على احترام قضيتنا ؟ ولكن - للأسف - لا تزال « متى » هذه : علامة استفهام حائرة في قاموس الأمة .. بدون إجابة .] .

○ ومن الشارقة - بالإمارات العربية المتحدة - أرسل الأخ عبد العظيم بدر الدين عرنوس - رسالة - يقول فيها :

[... إن حركات التحرر في سائر ديار المسلمين ، والثورات التي قامت لإجلاء قوات الاحتلال عنها . إنما قامت بجهود المسلمين وبدمائهم .. من الذي قدم مليوناً من الشهداء في الجزائر ؟ ومن الذي قاد الثورات ضد نابليون بونابرت في مصر ، ومن الذي جاهد لإجلاء الفرنسيين عن سورية ؟ ومن الذي قاوم أتاتورك ... إن « أتاتورك » كان يحمل المصحف ويطوف بين الجنود المسلمين يحرضهم على القتال وعندما انتصر تنكر لهم وأقام لهم المذابح ، والثورة البلشفية أعطت المسلمين الحرية الدينية في أول الأمر ، وبعد أن انتصرت بدأت حملات الإبادة ضدهم ... والسؤال الذي يطرح نفسه : لماذا يتخلّ المسلمون عن موقع القيادة - تاريخياً - بعد أن يتم بسواعدهم إخراج المستعمر وانتصار الثورات ؟ إن السبب ببساطة شديدة يكمن في سذاجة المسلمين وقلة وعيهم ، وعدم قدرتهم على الاستفادة من التجارب التي تمر بإخوانهم .. فهل يعي المسلمون الدرس وهل يأخذون العبرة ؟] .

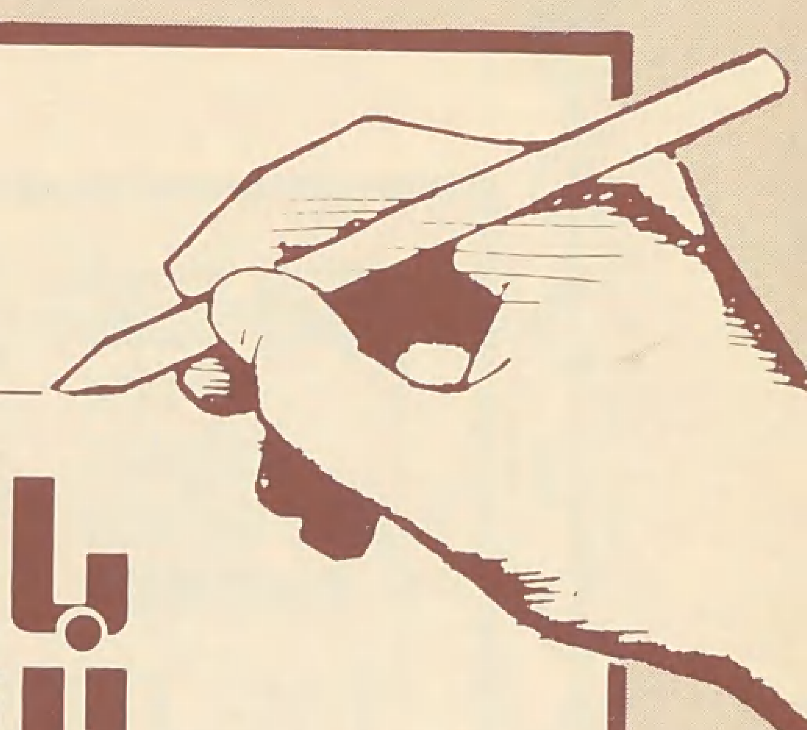

بأقلام القراء

●● اهتمت أقلام الإخوة القراء بقضية الجوع في أفريقيا التي يعاني منها المسلمون هناك ، فكتب الأخ محمد محمود المرسي - المدرس المساعد بكلية الإعلام - بجامعة القاهرة حول القضية تحت عنوان :

[يوميـــات جائـــع من الدول الناميـــة]

تعودنا أن نقرأ يوميات مشاهير العلماء والسياسيين .. أو يوميات أبطال لديهم دائماً ما يقولونه .

لكن هذه اليوميات هي يوميات جائع من الدول النامية موجهة إلى الضمير الإنساني ..

إن التأثر بمأساة الملايين الذين يعيشون تحت مستوى الفقر .. والتأثر بما نشر عن هذه المأساة .. دفع الكاتب إلى تصور أحد هؤلاء على قدر من الوعي بحقيقة المأساة التي يعيشها .. وتعاني منها الدول النامية .. إنه إنسان جائع على قدر من الوعي ... ترى ماذا يقول في يومياته ...

■■ الســـبت .. من عـــام حـــزين .

جلست أسترجع ذكريات أيام مضت كنا نجد فيها ما يكفي قوت يومنا .. وكنّا نجد إلى حد ما هذا القوت ..

لا أدري ماذا حدث ؟ ولماذا ؟ أزمة اقتصادية مرت بها البلاد .. لم أكن أدري أن الأزمة ستستمر وتلازمنا أينما نذهب ..

عرفت أن غالبية إنتاج بلدي الغذائي يذهب إلى التصدير .. قالوا : إن السبب هو « العملة الصعبة » فالحصول عليها أمر صعب المنال ويكلف الكثير .. وهذه العملة ضرورية لشراء سلاح يضمن بقاء النظام الحاكم .. قد تكون الأزمة في بلدي .. أزمة حكام !

■■ الأحـــد ...

شبح الجوع يهدد الكثيرين بالموت .. أعلنت الأنباء خارج بلدي أن هناك المئات يموتون جوعاً يومياً .. ورغم ذلك أستمع إلى الراديو فأجده يعلن عن العديد من المشروعات الوهمية لضمان الأمن الغذائي .. وزيادة معدل الرخاء .. ويعلن بكل جرأة أن هذا العهد - الذي نعيشه - هو عهد الديمقراطية والرخاء والتنمية .

هل هذا هو دور الإعلام ؟ .. أن يعمد إلى التضليل والتشويه والتحريف .. أم أن دوره الحقيقي في أن يمدنا بالمعلومات والأخبار الصحيحة التي تمكننا من تكوين رأي صحيح في مشكلة من المشاكل ؟ هل دوره التحدث عن مشروعات وهمية .. وتبرير منطق الحاكم .. أم أن دوره يكمن في المشاركة في عملية التنمية ، والتعبير عن مشاكل وطموحات الإنسان ؟ هل دوره إخفاء المشاكل .. أم محاولة عرض حلول لها ؟

قد تكون الأزمة في بلدي .. أزمة إعـــلام !

□□□□□

■■ الإثنـــين ...

علمت أن كثيراً من التقارير تشير إلى أن سبب أزمة الغذاء في بلدي يعود إلى سوء التخطيط في المجال الزراعي .. كما تشير التقارير إلى انكماش مساحة الأرض المزروعة وانخفاض إنتاجية

●● الأخت علياء محمد عادل الطالبة بكلية الحقوق - بمصر - تبعث بهذه الأبيات :

[إلى الأقـــصىٰ]

رَغْمَ المَرارةِ في دَمي
ما زِلْتُ أحْيا بالأمَلْ
أرْنو إلى يومِ اللّقا
ءِ .. وَإنْ يَطولَ بيَ الأجَلْ
نَحْنُ ارْتَضَيْنا بالهوا
نِ .. وَعَيْشُنا بُؤْسٌ وَذُلْ
والمَسْجِدُ الأقْصىٰ يُها
نُ .. وَلَيْسَ دونَ المَوْتِ حَلْ
إنّي أحِبُّكَ مَسْجِدي
أرْجو اللِّقاءِ .. وَلَمْ أزَلْ
إنَّ الجِهادَ عَرَفْتُهُ
هُوَ ذا الطَّريقُ .. وَلَنْ أضِلْ
حَتّى أُحَقِّقَ عَوْدَتي
سَأظَلُّ أحْيا بالأمَلْ

جنـــودك يا رســـول الله

يا داعيَ اللَّهِ في عُرْبٍ وفي عَجَمِ ... جيلُ الهدايةِ لم يَخْنَعْ ولَمْ يُضَمِ
يا داعيَ اللَّهِ ما فَلَّتْ عَزائِمَنا ... هُوجُ الشَّدائِدِ والأحْقادِ والظُّلَمِ
يا داعيَ اللَّهِ ما زلنا لِمَنْهجِنا ... أوفىٰ الدُّعاةِ .. وفوقَ الجرْحِ والألَمِ
يا داعيَ اللَّهِ ما زلنا لِفكرَتِنا ... أَهْلَ الثَّباتِ .. فَلَمْ نَرْكَعْ لَدى صَنَمِ
يا داعيَ اللَّهِ يا أولى الورىٰ رَحِماً ... بالمُؤْمنينَ ، وأوفى الخَلْقِ لِلحَرَمِ
يا داعيَ الحَقِّ ما هانَتْ كتائِبُنا ... واللَّهُ غايَتُنا في الحَرْبِ والسَّلَمِ
في كُلِّ جيلٍ مَضىٰ دَكَّتْ جحافِلُنا ... رُكْنَ الطُّغاةِ وجُزْنا كُلَّ مُزْدَحَمِ
خُضْنا براياتِكُمْ في كُلِّ مُعْتَرَكٍ ... هَوْلَ الحَوادِثِ ، ما هُنَّا لِمُنْتَقِمِ
كَمْ مِنْ أخٍ تَحْتَ سَوْطِ الظُّلْمِ قَدْ ذَهبوا ... شوقاً إلى اللَّهِ في عِزٍّ وفي كَرَمِ
يا حَسْبُنا اللَّهُ فيهِمْ .. إنَّهُ حَكَمٌ ... يَشْفي الصُّدورَ بِعَدْلٍ يَوْمَ مُخْتَصَمِ
يا ربِّ أَنْتَ مُمِدُّ الخَيْرِ إنْ قَصُرَت ... عَنْهُ القَوادِمُ أو نَدَّتْ عَنِ القِمَمِ
الكُفْرُ والغِلُّ والإلحادُ ما فَتِئوا ... حَرْباً تُضَرِّسُ بالأنْيابِ كُلَّ كَمِ
والكافِرونَ تَداعَوْا حَوْلَ أُمَّتِنا ... يا مالِكَ الدِّينِ فانْصُرْ خَيْرَةَ الأُمَمِ

[السيد مصطفى الجرف]

الفدان .. وتشير أيضاً إلى التخبط في السياسة الزراعية .. بالإضافة إلى أن فرض ضريبة عالية على المزارعين أدى إلى ترك الكثيرين لمجال الزراعة بحثاً عن مجال آخر للرزق يسد أدنى قدر من احتياجاتهم .. حيث إن غالبيتهم مهدد بشبح الجوع ..

قد تكون الأزمة في بلدي .. أزمة تخطيط !

□□□□□

■■ الثلاثاء ...

علمت أن أزمة الغذاء في بلدي تعود إلى التبعية الغذائية لبعض الدول الكبرى التي تتحكم في إنتاج وتوزيع الغذاء في العالم .. وبلدي تصدر القليل الذي تنتجه وفاءً بالتزامات - كما يقولون - دولية وفي الوقت نفسه تستورد الغذاء من الدول الكبرى .. ويؤكدون أن هذه الدول تمارس نوعاً من الضغط على النظام الحاكم حتى يعدل عن بعض سياساته في المنطقة .. أي أن هذه الدول تمارس نوعاً من الضغط من خلال استخدام الغذاء كسلاح ..

قد تكون الأزمة في بلدي .. أزمة تبعية غذائية !

□□□□□

■■ الأربعاء ...

أتجول في الشارع فأجد المحلات ممتلئة بكل أنواع الغذاء وأفخرها .. اللحوم متوافرة بكميات كبيرة .. وأسعار رخيصة .. الحبوب والفواكه لا تجد من يشتريها .. فكل فرد لديه مزرعة خاصة تنتج له ما يكفيه ذاتياً .... أيقظني من هذا الحلم صراخ أخي الجائع يتأوه ..

قد تكون الأزمة في بلدي .. سلبية أفراده واقتصارهم على الأحلام !

□□□□□

■■ الخميس ...

جاءت أختي اليوم لزيارتنا بعد غيبة دامت شهوراً طويلة .. فهي عاملة في مصنع يقع في بلدة قريبة من بلدتنا .. وذلك مقابل حفنة من المال يدفعها المصنع لأبي كل عام ! فهي تعمل بالعام - صدق أو لا تصدق - ومع ذلك فهي تفترش الأرض للنوم في المصنع .. ولا تحصل إلّا على أقل القليل من الغذاء .. مع أسوأ أنواع الرعاية الصحية ..

جاءت لزيارتنا وهي في حالة من الإعياء وسوء التغذية لا تقل عن حالتنا جميعاً .. فجميع أفراد أسرتي على حافة الهلاك من الجوع .. جاءت أختي لزيارتنا ومعها قرار من المصنع أنها لم تعد صالحة للعمل ..

لا أدري .. قد تكون الأزمة في بلدي .. أزمة ضمير !

□□□□□

■■ الجمعة ...

تم استخراج شهادة وفاة لهذا الإنسان - صاحب اليوميات - حيث جاء في تقرير الطبيب أنه « مات جوعاً » .

□□□□□

■■ يوم بلا هوية .. في بلد آخر ..

في هذا اليوم انتهى رجل من الغرب وزوجته من قراءة هذه اليوميات حيث طواها جانباً على مكتبه الفاخر .. وطلب من زوجته أن تأتيه ببعض الفواكه .. فنظرت إليه وهي لا تدري ماذا تقول .. فقد كانت الفواكه مستوردة من بلد هذا الجائع !! ■■

●● وكتب الأخ : زياد توفيق خالد ، من كلية الإعلام بالأردن ، تحت عنوان :

[أفريقيا والحرية والمجاعة]

تحتل المجاعة في أفريقيا حيزاً كبيراً من اهتمامات الرأي العام العالمي ، وتثير ردود فعل عديدة بين دول العالم حول الوسائل التي تحدّ من امتدادها ، والعمل على دراسة أسبابها والعوامل الكامنة خلفها ، ولا بد لنا نحن المسلمين أن نشخص هذه المأساة ونستفيد منها الدروس والعبر لحاضرنا ومستقبلنا ، ولا سيما ونحن نشكل امتداداً لدول العالم الثالث وجزءاً منها ، لا يميزنا شيء عنها إلّا هذا البترول الذي حبانا الله به ، ولولاه لأصابتنا المجاعة من عشرات السنين .

والوقوف على أسباب هذه المأساة نوجزه في النقاط التالية :

● السلطات الحاكمة ومدى تأثيرها في صناعة هذه المجاعات ، والناظر إلى العلاقة بين الفئة الحاكمة والمجاعة يجد علاقة قوية ووثيقة ، فاستئثار هذه الفئات بثروات البلاد وتبذير الأموال العامة في الاحتفالات ، وتكريسها لتثبيت ودعم تلك الحكومات ، واستئثارها بالسلطة ساعد بشكل كبير في اختفاء المشاريع التنموية وإهدار ثروات البلاد وعمل على انتشار المجاعة المهلكة .

● ولعل الاستبداد والظلم الذي تمارسه هذه الحكومات في تثبيت نفسها وإقصاء الشعوب عن المشاركة في عملية اتخاذ القرارات ، وانتشار الجهل والأمية ، قد حدَّ من إنتاجية الفرد والمجتمع وساهم في إحداث المجاعة وانتشارها .

● إن تركيبة المجتمع الأفريقي التي خلفها الاستعمار قد شاعت فيها البغضاء والتنافر والكراهية ، لهذا عملت كثير من الأقليات - بدعم من الاستعمار وحركات التنصير - على الهيمنة على الأغلبية المسلمة بما توفر لها من العلم وأموال الاستعمار ، وكانت النتيجة أن توجهت الطاقات في المجتمعات الأفريقية إلى غير وجهتها الحقيقية ، وبدل أن تسخر في التنمية ورفع المستوى المعيشي سخرت في النزاعات والحروب ، وهذا ما هو حادث في إثيوبيا وأوغندا وغيرها .

● إن التغلب على أسباب المجاعة وتشخيصها من وجهة نظر إسلامية واستئصال أسبابها يكمن في ترسيخ النهج الإسلامي الذي يكفل الحرية ، وينشر الوعي بين الشعوب فتقف على العلل التي تؤدي إلى تأخرها ، ويساعد على فهم الأولويات ، ويستنهض عوامل النشاط الكامنة فيه . ولعل في تاريخ الدعوة الإسلامية ما يؤكد ذلك .

وفي ختام هذه الخاطرة أذكّر المسلمين بأن يستفيدوا من الدرس ويتخذوا الإجراءات الوقائية والعلاجية التي تجنبهم مأساة كانت أكيدة لولا ما حبانا الله به من الموارد مثل النفط ، وعلينا تسخيرها في المشاريع الإنتاجية الدائمة وغير الناضبة كالزراعة واستغلال الطاقة الشمسية ، وبناء المحطات لتكرير المياه وتوفيرها ، وبلاد العرب والمسلمين بأشد الحاجة لمثل هذه المشروعات . ●●

قطر والذكرى الثالثة عشرة

■■ [إن الهدف الذي نسعى لتحقيقه ونتطلع إليه هو : بناء دولة مستقرة مزدهرة ؛ قوامها : الدين والأخلاق ؛ وعمادها : العلم والعمل ؛ وأساس حكمها : العدل والنظام ...] .

كان هذا ما أعلنه صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني عندما تسلم مقاليد الحكم في دولة قطر في الثاني والعشرين من شباط (فبراير) ١٩٧٢م .

ومنذ ذلك الحين وسموه يحرص على أن يؤكد في المناسبات كلها أن : تحقيق ما ننشده من نهضة لوطننا هو مسؤولية تضامنية بين الشعب والحكومة ، ويرتهن نجاحنا في الوفاء بها على النحو المرجو بقيام التعاون المخلص بين الاثنين .. وأن النهضة الشاملة التي نتطلع إليها تنطلق من مبدأين رئيسين :

أولهما : أن الإنسان القطري هو صانع هذه النهضة وغايتها ، وانه بهذه المثابة يشكل ثروتنا الأساسية الأولى ، وبالتالي يجب متابعة السعي بأنجع الوسائل لرفع مستواه العلمي والخلقي والاجتماعي بالقدر المستطاع كله .

وثانيهما : أن ثروتنا الاقتصادية باعتبارها أرسخ أسس التقدم والرقي تتطلب منا أن نوليها أكبر قسط من الاهتمام .

ولا يسع أي منصف إلَّا أن يشهد ببلوغ دولة قطر منذ استقلالها ـ في ميادين الحياة المتعددة دون استثناء ـ مستوىً جيداً ، متميزاً بمعالم بارزة تنهض دليلاً قاطعاً على عظم الشوط الذي قطعته على درب مسيرة بناء الإنسان والتنمية الشاملة وترسيخ الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي ، وإقامة الأجهزة والمؤسسات ، وإرساء قواعد الأمن الداخلي والخارجي ...

المفهوم الحضاري والقيم الإسلامية

وتظهر هذه السمات أول ما تظهر في مجال الرعاية التربوية والعلمية ، حيث تتمثل في العناية بالتعليم في مراحله المختلفة ، وقد بذلت الدولة في هذا السبيل أقصى الجهد ، وسلكت خير السبل لينهل شبابنا ، قدر الإمكان ، من العلم أكثره وأنفعه لأمتهم ، وقامت السياسة التربوية والتعليمية فيها على أساس الإيمان بأن كل جهد يبذل أو مال ينفق في هذا السبيل هو أنبل صور الاستثمار وأنفعها ، وتتصل مسيرة التربية والتعليم اتصالاً وثيقاً بالمفهوم الحضاري لرسالة التعليم التي تنطلق من القيم الإسلامية ، وتنتمي إلى الأمة العربية تراثاً وأصالة ... ويأتي في مقدمة اهتمام الدولة افتتاح العديد من المدارس الجديدة التي تغطي الحاجة وتضمن أفضل مردود ، إلى جانب العمل على تأهيل المدرسين وتخطيط المناهج لتحقق العملية التعليمية أفضل مردود ، وعلى المستوى الجامعي كذلك تسعى الدولة إلى استكمال الكليات العلمية والفنية التي تحقق متطلبات الدولة وتسد حاجتها وتحمي تراثها وتصون حضارتها ، ويأتي مبنى الجامعة الجديد خطوة على هذا الطريق .. ومما يجب ذكره أن الدولة تراعي في المؤسسات التعليمية إلى جانب تحقيق المطالب العلمية والفنية حماية القيم الأخلاقية الإسلامية الأصيلة والمحافظة عليها وترسيخها بين الناشئة والشباب على حد سواء .

آفاق النهضة الشاملة

كما تظهر هذه المعالم في التنمية الاقتصادية التي تقوم على حماية النفس من التعرض للمخاطر والأزمات الاقتصادية بالعمل على تنويع مصادر الدخل البديلة ، فكان الاهتمام بالزراعة والعمل على تطويرها ، إلى جانب رعاية حركة التصنيع ، ويمكننا أن نخص بالذكر إنجازاً ضخماً تم في مجال التنمية البترولية والصناعية بعد دراسات مستفيضة دامت سنوات عدة ، ألا وهو : البدء في تنفيذ مشروع حقل غاز الشمال الذي يعد بين أكبر حقول الغاز في العالم ، والذي يشكل استغلاله أضخم مشروع صناعي في تاريخ البلاد ، بل إنه سوف يكون ـ عندما يتم تنفيذه بكامل طاقته ـ دعامة كبرى للاقتصاد من شأنها أن تفتح آفاقاً واسعة أمام عملية النهضة الشاملة التي تستهدفها الدولة .

وتظهر كذلك في الرعاية الصحية وتأمين الطب والعلاج ، حيث كان شعارها : « الصحة للجميع » وقامت على أساس

■ صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر ■

التكامل والترابط حيث تبدأ من مراكز صحية موزعة على الأماكن كلها ، وتنتهي بالمستشفيات التي يتوفر فيها إلى جانب الرعاية والعناية التخصصات المطلوبة ، إلى جانب الاهتمام بالصحة الوقائية وحماية البيئة ، ورعاية المعوقين والسهر على راحتهم ، أي أنها قامت على أساس العناية بالطب الوقائي والطب العلاجي على حد سواءٍ .

الأمــة الواحــدة

وفي مجال السياسة العربية والإسلامية تؤكد دولة قطر على ضرورة اتخاذ منهاج عمل لتضامن العالم الإسلامي يقوم على « أساس المبادىء السامية التي يدعو إليها ديننا الإسلامي الحنيف ، والتي تفرض أن يكون أوجب واجباتنا هو تعزيز التعاون فيما بيننا وتوثيق روابط التضامن بين أبناء أمتنا الواحدة تحقيقاً لأهدافنا المشتركة ... » ، لأن أكبر الأخطار التي تهدد أمتنا هو : انقسامنا ، وكلنا يعلم أن السبب الرئيس الذي شجع ولا يزال يشجع دولة العدو على التمادي في تحدياتها الغاشمة لنا هو : الانقسام ؛ كما أننا نعلم أن سبيلنا إلى مواجهة التحديات لا يكون إلَّا بإعادة بناء تضامننا الشامل بالحوار الأخوي ، وإنه « ليدمي قلب كل عربي أن يرىٰ عالمنا العربي يسوده الشقاق ، بل إن الوضع تفاقم وبلغ حد الاقتتال بين أبناء البلد العربي الواحد ... » .

من هنا جاءت مشاركة قطر الفعالة بإقامة مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، واستضافت قمته الرابعة ، كما استضافت معظم لجانه ، وحرصت على متابعة تنفيذ قراراته وأداء رسالته ، كما أنها بذلت ولا تزال تبذل الكثير من أجل قضية الأمة المقدسة « فلسطين » وساهمت بكل ما تستطيعه لضمان وحدة العمل الفلسطيني وإيقاف الصدام الدموي والحفاظ على الدماء الفلسطينية أن تراق في غير الطريق السوي ، طريق تحرير القدس والقضاء على العدوان الصهيوني ...

كما عملت دولة قطر على تحقيق التضامن الإسلامي ، وشاركت بمؤتمرات القمة الإسلامية ، واحتضنت قضايا المسلمين في كل مكان وقدمت ما تستطيعه من عون وتأييد لهذه القضايا ، وفي مقدمتها : قضية أفغانستان والاحتلال الشيوعي لأراضيها ، كما ساهمت في إقامة العديد من المراكز الإسلامية في أنحاء متفرقة من العالم ، ودعمت القائم منها بما يعينه على تحقيق رسالته وتثبيت العقيدة الإسلامية ونشرها ... فضلاً عن مساهماتها الكثيرة أيضاً في المجال الإنساني عامة . وبذلها الجهود اللازمة لإيقاف نزف الدماء العربية المسلمة في حرب الخليج .

ودولة قطر ترىٰ أن تبديد الطاقات العربية والمسلمة لن ينتهي إلَّا إذا « استذكرنا الحقيقة التاريخية التي تحدد أن عظمة هذه الأمة لم تكن إلَّا في العهود التي تجلى فيها تمسكنا بأهداب مبادىء ديننا السامية ، واتخذنا منها نبراساً يهدينا إلى السبيل الأمثل لمواجهة الظروف التي نجتازها ، ذلك السبيل الذي يأمرنا الله سبحانه وتعالى باتباعه : ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

وهكذا فإن سياسة الدولة في المجال العربي والإسلامي تنطلق من الالتزام بوحدة المصير والهدف للأمة العربية والإسلامية .

أما في مجال السياسة الدولية فترتكز إلى توثيق عرى التعاون والصداقة مع جميع الدول والشعوب على أساس من الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة ... والله المسؤول أن يسدد الخطا ويلهم الصواب لمتابعة السير على الطريق الإسلامي السليم .. ■■

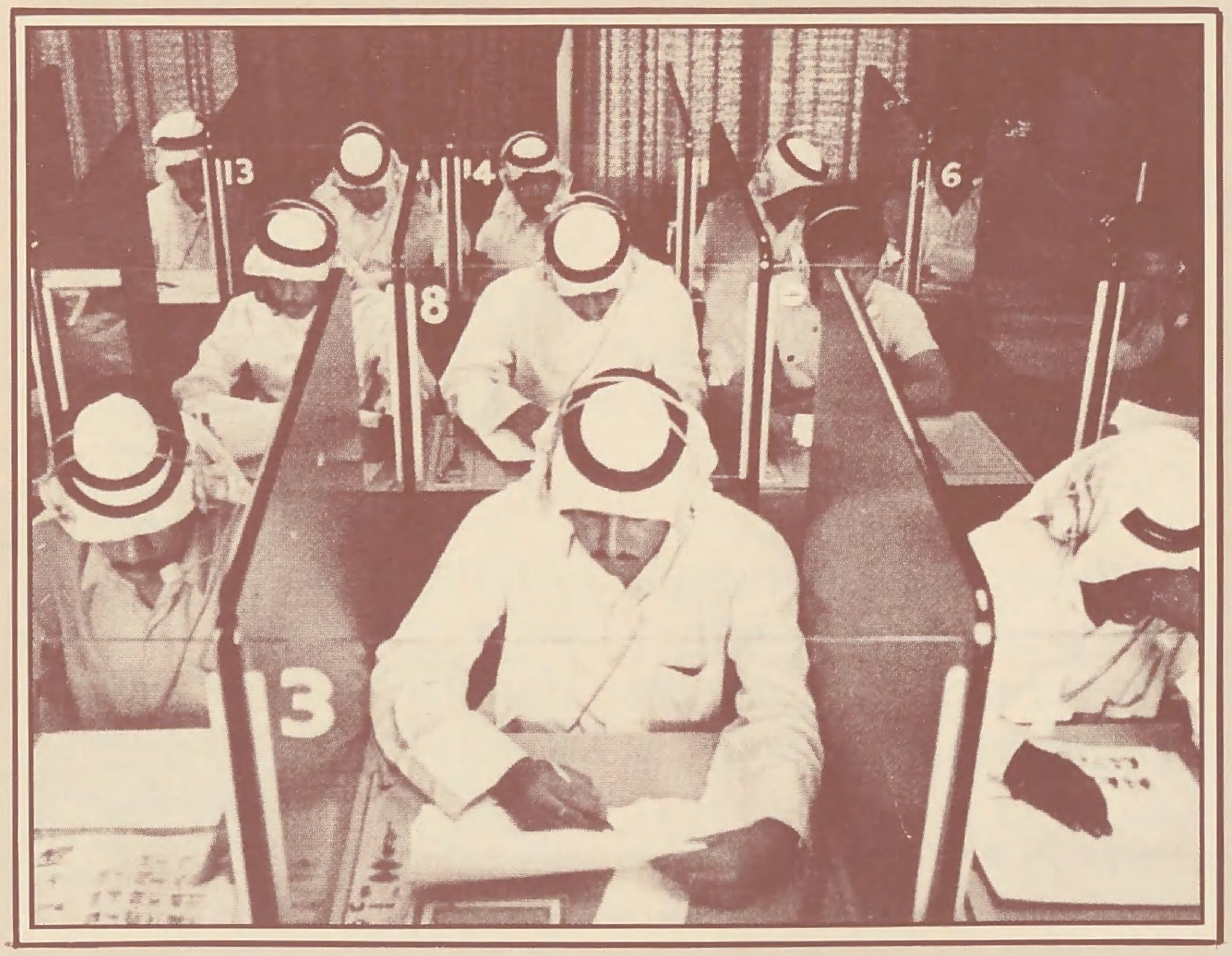

■ استخدام الوسائل الحديثة للارتقاء بالعملية التعليمية ■

قراءة ثقافية

البلاغة النبوية

■■ يعد القرآن الكريم والسنة المطهرة من أهم المصادر الرئيسة في الدرس اللغوي والأدبي ، التي تثري فكر وأسلوب أدباء وشعراء الأدب الإسلامي . وفي تراثنا دراسات عديدة خدمت النص القرآني بدءاً من فكرة الإعجاز ، واستمراراً في تناول الجوانب اللغوية والأدبية والنحوية والبلاغية كافة المتعلقة بالقرآن الكريم . أما السنة النبوية الشريفة ، فقد تركزت العناية أساساً في المحافظة عليها ، بحيث كان لعلم الرواية والاهتمام بالمتن والسند ، وما تبع ذلك ، الحظ الأوفر من اهتمام العلماء .

ويأتي الكتاب الذي صدر بالدوحة مؤخراً تحت عنوان : « من روائع البيان النبوي » للدكتور مصطفى عبد الواحد ، من الدراسات الجيدة التي حاولت تقديم دراسة أدبية تحليلية للأحاديث النبوية الشريفة يمكن أن تثري عقل ووعي المسلم المعاصر وتلفت انتباهه لجوانب هامة في الحديث النبوي الشريف .

درَسَ الكتاب ثلاثة عشر حديثاً ، اشتملت على موضوعات مختلفة تحت عناوين منها (العاقل والأحمق ، أقربكم من رسول الله ﷺ ، الجنة تحت ظلال السيوف ، بعضهم يُهلك بعضاً ، حق الحياء ، حمىٰ الله محارمه ، من أدب الدعاء ...) .

وكان هدف الدراسة كما ذكر المؤلف : [تبين اطراد الأسلوب التصويري المشرق في بيان من أرسله الله رحمة للعالمين ، وعلَّمه ما لم يكن يعلم] .. وطبقاً لهذا الهدف كان الاهتمام بأمور ثلاثة في دراسة الأحاديث التي اختارها المؤلف هي : الألفاظ والأساليب ، المعاني والأفكار ، طريقة التصوير ، ويضاف إلى ذلك أحياناً : مدىٰ تأثر الحديث الشريف بالقرآن الكريم .

وإذا كان الشرح والتفصيل أمرين مطلوبين لبيان الأسلوب التصويري الذي ركز عليه المؤلف واهتم به بصفة خاصة ، فإن كثيراً من المعاني والأفكار التي احتوت عليها الأحاديث كان يمكن أن تعالج ـ لو أحسن توظيفها ـ مشكلات إنسانية معاصرة وقضايا إسلامية يعاني منها المسلمون اليوم في كل أنحاء العالم وذلك إضافة لمحاولة إظهار هذه المعاني واستخراجها التي قام بها المؤلف .

وجاء اهتمام المؤلف بإبراز الجوانب التصويرية في الحديث مكثفاً ، فقد حلل أوجه البيان المختلفة في الحديث ، وخرج بنتائج هامة نذكر منها : أن الحديث النبوي يُؤْثِر التصوير على التقرير أو الإخبار ، ومثال ذلك قوله ﷺ « واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » فذلك تصوير بلاغي يختلف عن الخبر المجرد عن التصوير فيما لو قال : « واعلموا أن للجهاد ثواباً كبيراً يدخل صاحبه الجنة » .. كما ذكر الدكتور مصطفى عبد الواحد في مواضع أخرىٰ أن الحديث النبوي يلتزم الحقيقة اللغوية ويبتعد عن المجاز ، ويميل إلى الإيجاز . وهذا التصوير ـ بهذه الدقة ، وبصفة عامة ـ يعمق المعنى ويَبْسُط ظله ، ولا يخرج في معانيه عن حقائق القرآن .

يقول الجاحظ عن السنَّة : (إنه الكلام الذي جمع الله له بين المهابة والحلاوة) ، ويقول مصطفى صادق الرافعي : (إذا أراك القرآن أنه كلام السماء إلى الأرض ، أراك هذا ـ الحديث ـ أنه كلام الأرض بعد السماء ..) .

وهذان النصان مع هذه الدراسة الجيدة للدكتور مصطفى عبد الواحد لروائع الحديث النبوي يمكن أن تفتح آفاقاً جديدة أمام أدباء وشعراء الأدب الإسلامي لتثري أعمالهم وتصبح تياراً مؤثراً في الحياة الثقافية للأمة الإسلامية . ■■

« عربسات » والأمل المعقود

■■ على الرغم من خطورة استيراد منتجات الحضارة وبقاء الأمة العربية أمة مستوردة ، فإن القمر الصناعي العربي « عربسات » الذي أطلق في الساعات الأولى من يوم ١٩ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ (٩ فبراير [شباط] ١٩٨٥م ينذر بدخول الأمة العربية مرحلة جديدة في عصر تعتبر الاتصالات شريان الحياة فيه ..

وعلى الرغم من أن القمر والصاروخ «إيريان» الذي حمله إلى مداره الخارجي والقاعدة « جويانا ـ شمالي أمريكا الجنوبية » التي أطلق منها بل والفنيين الذين يعملون على تشغيله ، كلها غير عربية إلّا أن الأمل معقود على أن يحقق القمر شيئاً من التقريب ـ على الأقل ـ بين أجزاء الأمة العربية ..

فالوثائق الأولى لمشروع القمر تشير إلى أنه « مشروع سياسي وحضاري وثقافي وإنمائي وصناعي ، بل وعسكري في آن واحد » ، وليس « مشروعاً لتوفير دوائر اتصال فحسب » .. غير أن ترجمة هذا المفهوم إلى واقع عملي تصطدم بكثير من التحديات المتفجرة مما تعيشه الأمة من تمزق وتشتت على المستويات كافة ..

ولعل من أخطر التحديات ، تلك التي تتصل بقنوات التلفاز التي يوفرها القمر .. فالأمة لا تزال دون سوية إعداد برامج تربوية إنمائية لملء ساعات البث اليومي ، مما يعني مزيداً من الاعتماد على برامج مستوردة ، إن لم نقل عنها إنها ضارة ، فهي غير مفيدة ، وحالة عدم الفائدة هي بلا شك حالة ضرر ..

يضاف إلى ذلك أن الخلافات السياسية على الساحة العربية تحول دون استخدام قناة البث الجماعي المباشر ، فقد لا تلقى بعض البرامج القبول والإجماع عليها خاصة إذا كانت ذات صلة بأيديولوجيات أو معتقدات أو مواقف معينة ، وهذا ما جعل بعض المشفقين يطالب بأن يقتصر التشغيل في المرحلة الأولى على برامج ومواضيع يمكن الاتفاق عليها ، وهو ما يشكل بدوره تحدياً آخر ..

وأيّاً ما كان الأمر ، يبقى التحدي الأكبر في الكيفية التي يمكن للقمر أن يحقق بها جمع كلمة الأمة وتوحيد ثقافتها والتقريب بين أجزائها ، لتصبح من ثَمَّ في مستوىٰ إنتاج حاجياتها بنفسها ، وأهلاً للسير على طريق الحضارة . ■■

في إسبانيا :

مجلة إسلامية جديدة

■■ صدرت في غرناطة بإسبانيا مجلة (البلد الإسلامي) باللغة الإسبانية ، وذلك بعد أن صدرت منها عدة أعداد تجريبية ، وهدفها : إبلاغ رسالة الإسلام إلى أرجاء المجتمع الإسباني كافة .. وتنطلق المجلة من الماضي الإسلامي لإسبانيا والضياع الكبير الذي تمثله الأندلس بالنسبة للأمة الإسلامية ، وتعتبر هذا الماضي رصيداً كبيراً تخاطب من خلاله المجتمع الإسباني ، والأحزاب السياسية ، والجمعيات المختلفة والصحافة والإذاعة والجامعة ورجال الثقافة والعلم والسياسة ..

وتسعى المجلة إلى تكوين رأي عام في داخل إسبانيا لصالح الإسلام ونقل رسالة الإسلام ، ونقل رسالته ، وتأمل في تجاوب المسلمين معها . ■■

التعبير بالصورة

[الحاخامات يتدربون على السلاح]
إنها حرب دينية .. فلماذا
يُستبعد الإسلام عن المعركة ؟!

متابعة ثقافية

■ تمكن طبيب مغربي من تعريب مصطلحات الطب النفسي وعلم النفس ، وذلك في رسالة بعنوان : « مساهمة في تعريب مصطلحات الطب النفسي وعلم النفس » تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه في الطب .. ويتساءل بعض المهتمين بتعريب المصطلحات العلمية عمَّا إذا كانت هذه المساهمة التي تعد الأولى ستجد طريقها إلى الجامعات العربية التى لا تزال تستخدم المصطلحات اللاتينية والإنجليزية لتدريس علم النفس والطب النفسي ..

■ اكتشفت مجموعة من العلماء السوفييت - من قرغيزيا - خرائط جغرافية أثرية محفورة على الحجارة ، تصور منطقة آسيا الوسطى ، ويرجح أن يكون أصل هذه الخرائط هي مخطوطة صور جغرافية وضعها محمد بن موسى الخوارزمي في إحدى رحلاته إلى هذه البلاد .

● تم افتتاح « جامعة الدعوة والجهاد » في قرية الهجرة - بيشاور - لتكون منبراً للعلم والمعرفة ينهل منه أبناء المجاهدين والمهاجرين ويُخرِّج مجاهدين علماء بأمور الدين وعلوم العصر . وكمرحلة أولى ، بدأ العمل بكلية الشريعة .. ويتوقع الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان أن يحصل على مساعدات في هذا المجال من الجامعات ومعاهد العلم في العالم الإسلامي ، تمكنه من إضافة كليات أخرى ..

على طريق التعريب في الجزائر

■■ أعلن الرئيس الجزائري في خطاب له أمام المجلس الأعلى للغة القومية [١٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٤م] عن خطة منظمة تهدف إلى تعميم استخدام اللغة العربية وتاسيس أكاديمية للغة العربية في إطارها .. كما دعا إلى ضرورة تعريب المجلات التي تصدر تحت إشراف الحزب الحاكم والتخلي التدريجي عن اللغة الفرنسية في « القطاعات ذات السيادة » والإدارات ذات الصلة بالمواطنين .. إلَّا انه أشار إلى ان ذلك لا يعني رفض الانفتاح على اللغات الأخرى .. ■■

في عالم الاقتصاد

أوبك :

عقبات على الطريق

■■ للمرة الثانية ، خلال عامين ، تُقدم منظمة الأقطار المصدرة للنفط « أوبك » على تخفيض أسعار نفطها .. فبعد القرار الذي اتخذ في لندن (آذار [مارس] ١٩٨٣م) بتخفيض سعر النفط العربي الخفيف (سعر القياس) من (٣٤) إلى (٢٩) دولاراً للبرميل ، تتخذ «أوبك» قرارها الثاني في جنيف (٣٠ كانون الثاني [يناير] ١٩٨٥م) بتخفيض السعر إلى (٢٨) دولاراً وإن كانت هذه المرة قد تخلت عن (النفط العربي الخفيف) كمؤشر للأسعار وذلك بعد أن حُدِّد سعرٌ لكل نوع من الأنواع الأخرى .

ويتوقع المراقبون أن يؤدي التخفيض الأخير الذي تمت الموافقة عليه بأغلبية الأعضاء (٩ من ١٣) إلى إعادة الاستقرار إلى السوق العالمي للنفط ، مع الإشارة إلى أن هذا الاستقرار يرتبط بشكل رئيس بموقف بريطانيا وما إذا كانت ستربط أسعار بحر الشمال بأسعار السوق الحرة ، الأمر الذي قد يؤثر على نيجيريا ـ عضو الأوبك ـ التي صرح وزير النفط فيها بأنها ستساير ما يحدث لنفط بحر الشمال الذي ينافس بصورة مباشرة خام بوني النيجيري الخفيف .

ويؤكد المراقبون أن بريطانيا لن تُقدم على إجراء أيّ تغيير على الأسعار الرسمية لنفطها .. فالاتفاق الجديد «لأوبك» يتيح لها ـ بصورة شبه مؤكدة ـ الحفاظ على السعر الأساسي لنفطها وهو (٢٨٫٦٥) دولاراً للبرميل .. إضافة إلى أن حكومة بريطانيا تحرص على عدم تعريض بريطانيا لتهمة نسف «أوبك» عن طريق تخفيض أسعارها .. بل إن بريطانيا التي يرتبط مصير عملتها ـ بصورة أو بأخرى ـ بأسعار النفط ، مدعوة الآن ـ كما يؤكد المراقبون ـ لمساعدة جهود منظمة «أوبك» .

ولكن ، ما الذي يمنع بريطانيا ، العضو في منظمة الدول الصناعية المستهلكة للنفط ، من توجيه ضربة مفاجئة إلى «أوبك» ؟ .. لا شيء .. ومن يرجع قليلاً إلى الوراء يدرك إمكانية ذلك ..

فمن كان يتوقع أن يهتز الاقتصاد العالمي بسبب قرار اتخذته «النرويج» في منتصف تشرين الأول [أكتوبر] الماضي بتخفيض أسعار نفطها المباع بعقود بمقدار (١٫٥) دولار للبرميل ، مع العلم بأن «النرويج لا تنتج أكثر من ١٪ من الإنتاج العالمي للنفط ؟

يبقى العامل الأهم لعملية إعادة الاستقرار إلى سوق النفط العالمي أن تتمكن دول «أوبك» من الحفاظ على سقف الإنتاج المتفق عليه وهو (١٦) مليون برميل في اليوم ..

المال العربي ينعش الاقتصاد التركي

■■ دخلت تركيا عام ١٩٨٥م واقتصادها يعد من أسرع الاقتصاديات نمواً في أوروبا ، ففي الوقت الذي بقي فيه متوسط النمو في إجمالي الناتج القومي للدول العشر في المجموعة الاقتصادية الأوروبية ما بين (٠٫٥) و (٢٪) ، ارتفع معدل نمو الاقتصاد التركي في فترة الأربعة عشر شهراً الأخيرة ، بنسبة تقدر بـ ٥٫٧٪ .

وتعزو بعض الدوائر الحكومية في أنقرة ، هذا التحسن الكبير في اقتصاديات تركيا إلى الزيادة الكبيرة في المعاملات التجارية وحجم الاستثمارات مع الدول العربية المجاورة لتركيا ومعظم دول العالم الإسلامي . ويشير الخبراء الاقتصاديون إلى أن الإعانات المباشرة والاستثمارات من الدول العربية قد زادت بما يتجاوز ١٤٪ وذلك منذ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٣م ، حيث انهالت بلايين الدولارات على شكل استثمارات في مجالات الإلكترونيات الدقيقة وبناء الطائرات وصناعة السيارات . وتجري تركيا محاولات للحصول على قروض عربية لإنشاء أول محطة تدار بالطاقة النووية تقام على الجانب الآسيوي من ساحل بحر مرمرة .

ومن جهة أخرى تقوم شركات للهندسة المدنية وأخرى للإنشاءات في تركيا بتنفيذ عدة مشروعات ضخمة في مجال الأعمال تمتد عبر عدد من أراضي البلاد الإسلامية .

ويأمل بعض المهتمين بالشؤون التركية في البلاد العربية ألّا ينحصر مفعول المال العربي في إنعاش الاقتصاد التركي وإنما يتجاوز ذلك لإعادة الوجه الإسلامي لتركيا بعد عشرات من السنين قضتها في ظل العلمانية والقوانين « الأتاتوركية » . ■■

أسواق المستقبل

■■ كشف تقرير صادر عن وزارة الصناعة والتجارة الخارجية الفرنسية النقاب عن أن صيانة المعدات الصناعية والهياكل التقنية الجديدة بالدول النفطية سيكون أهم سوق للشركات الغربية في السنين القادمة .. وأن سوق صيانة الهياكل السعودية مثلاً يمثل حوالي (١٢) بليون دولار سنوياً ، وأن الشركات الفرنسية عليها الاستعداد لهذه المرحلة الجديدة جدياً بتوحيد خبراتها في الصيانة وتدريب « الكوادر » المحلية ، كما سبق لليابانيين والسويديين أن فعلوا ذلك منذ مدة . ■■

أخبار قصيرة

● أصبح « المنجنيق » على بساطته وتواضعه ، من الأسلحة الهامة جداً التي يستخدمها المجاهدون لتفادي نوع آخر من السلاح استخدمه السوفييت مؤخراً في هجوم كبير شنُّوه على وادي «كونار» الذي يمر موازياً للحدود الباكستانية ، ويُعتقد بأن المجاهدين يعبرونه لتسديد ضرباتهم للقوات السوفييتية .. السلاح السوفييتي عبارة عن قذائف تطلقها المدفعية من مدىً بعيد لتنفجر في الهواء فتتناثر عدة ألغام صغيرة مضادة للأشخاص .. ويعتمد المجاهدون على «المنجنيق» الذي يحمل باليد لتفجير هذه الألغام وذلك بقصفها عن بعد .

وتقول قيادات المجاهدين إنهم لم يعودوا ـ باستخدام المنجنيق ـ مضطرين لإضاعة الذخيرة في تفجير الألغام .. يضاف إلى ذلك ، عدم تعريض

إلَّا أن « هنري كيسنجر » مصمم مشروع تحطيم «أوبك» من خلال رفع أسعار النفط في عقد السبعينيات ثم خفضها في هذا العقد ، يذهب إلى القول بأن تحديد «أوبك» لإنتاجها (غير كافٍ للحفاظ على أسعار النفط الحالية .. « فأوبك » تفقد قدرتها على زيادة الأسعار عن طريق تحديد الإنتاج) ..

الشيء الملفت للانتباه أن «كيسنجر» ظهر مرة أخرى على مسرح عالم النفط ، لا ليبشر الدول الصناعية بانهيار أسعار النفط إلى ما دون حدود الـ(٢٠) دولاراً للبرميل ، فذلك أمر أصبح مفروغاً منه لدى هذه الدول ، ولكن لوضع الترتيبات اللازمة لمرحلة ما بعد الانهيار .. ففي مقال نشرته عدة صحف عربية في أوائل هذا الشهر شباط (فبراير) دعا كيسنجر (لحوار بين المنتجين والمستهلكين ، لا يكون هدفه الحفاظ على أسعار النفط ، وإنما مساعدة الدول الصديقة المنتجة للنفط على الاستمرار في الحد الأدنى من برامجها التنموية اللازمة لتحقيق الاستقرار السياسي) .

وعلى افتراض أن الانهيار الاقتصادي قد يترتب عليه انهيار سياسي ، دعا كيسنجر الدول الصناعية لأن (تخطط للخطوات التي ينبغي اتخاذها إذا انهار الاستقرار السياسي في الخليج) !

وتلك هي بعض رؤى كيسنجر التي تجد - بشكل أو بآخر - طريقها إلى التطبيق العملي « فأين هي رؤى أوبك ؟ » ■■

مزيــــداً من الديون

■■ تتوقع المصادر الاقتصادية في ألمانيا الغربية ، ارتفاع العجز التجاري في دول العالم الثالث وتفاقم الخطر الناجم عن مشكلة الديون الخارجية بالنسبة للنمو الاقتصادي في هذه الدول .. وترى بعض المصارف الألمانية أن المزيد من الديون قد يساعد في إيجاد حل للمشكلة ، وفي تقدير « دوتشي بنك » أن دول العالم الثالث بحاجة إلى قروض تتراوح بين (١٨٠) و (٢٤٧) مليار دولار للسنوات الخمس القادمة .. إلَّا أن مصرف ولاية بافاريا أشار في دراسة صدرت عنه حديثاً إلى أن نجاح الدول النامية في تحسين مواردها والحد من العجز في ميزان مدفوعاتها سيظل مرهوناً بمدى استعداد الدول الصناعية لفتح أسواقها بصورة أوسع لصادرات العالم الثالث ..

ولكن يبدو أن الدول الصناعية التي اتخذت في الأونة الأخيرة عدة قيود جمركية للحيلولة دون وصول البتروكيميائيات العربية - بشكل خاص - إلى أسواقها ، غير مستعدة لتقديم أيّ مساهمات جادة لحل مشكلات العالم الثالث الاقتصادية .. ■■

الأفراد لأية مخاطر أثناء عملية التفجير التي تتم عن بعد .

● في موسكو ، نشرت صحيفة « الصناعات الاشتراكية » عدة مقالات حول الوجود العسكري السوفييتي في أفغانستان . وذكرت في الحلقة الأولى « أن اسم أفغانستان أصبح في قلوب ملايين السوفييت » ، وأن أفغانستان أصبحت تثير القلق والأرق بين أمهات الجنود السوفييت لا سيما أولئك الذين يعملون في أفغانستان .. تأتي هذه المقالات في أعقاب مرور خمس سنوات على الغزو السوفييتي لأفغانستان دون أن تتمكن أعتى القوى الدولية في القرن العشرين من حسم المعركة لصالحها .

●● آخر الإحصاءات تشير إلى أن أكثر من (١٥٠) ألف تنزاني يعانون من أمراض النظر ، وهو ما تسعى الكنائس إلى استغلاله لأغراض التنصير .. ويقدر عدد مستشفيات العيون التي أقامها المنصِّرون في تنزانيا بـ (١٦) مستشفى . وهي لا تكتفي بتشخيص الأمراض فقط وإنما تقدم الدواء أيضاً .. كما أقيمت مصانع صغيرة لصناعة النظارات الطبية وبيعها بأقل من سعر التكلفة ، الذي يبلغ (٦٠) شلناً ، وذلك في الوقت الذي تباع فيه النظارة نفسها في المحلات التي تستوردها ، بحوالي ألف شلن ..

●● أشارت الهيئة الدولية للرقابة على المخدرات - وهي إحدى منظمات الأمم المتحدة - في تقريرها السنوي لعام ١٩٨٤م ، إلى ظاهرة انتشار تعاطي المخدرات على نطاق واسع في عدد كبير من دول الشرق الأوسط والشرقين الأقصى والأدنى ودول جنوبي وشرقي آسيا .. ويلمح المرء - من خلال الأرقام التي وردت في التقرير - كأنما هناك أيدٍ خفية تخطط لانتشار المخدرات في الدول النامية والدول الإسلامية بشكل خاص . فقد بلغت كميات الهيروين والمخدرات التي يتم تعاطيها سنوياً في بعض البلاد الإسلامية ما بين (٥٠٠) و (٨٠٠) طن !؟

●● اعترف أحد أعضاء مجلس إدارة « يونيون كاربايد » أن الشركة لم تقم بمصنعها الذي تسبب في كارثة « بوبال » بوسط الهند ، نظاماً للإنذار المبكر ضد أخطار تسرب الغاز السام ، كالذي أقامته بمصنعها بالولايات المتحدة .. وكان عذرها : أن تخلف المجتمع الهندي لم يهيئها لإقامة مثل هذا النظام ! [يسكن « بوبال » حوالي (٢٠٠) ألف مسلم] .

●● آخر الإحصاءات الواردة من فلسطين المحتلة تؤكد أن عدد الخريجين الجامعيين العرب ، العاطلين عن العمل في الضفة الغربية وقطاع غزة بلغ (١٣) ألف خريج عربي ..

●● بلغ عدد اليهود السوفييت الذين سمح لهم بالهجرة من الاتحاد السوفييتي إلى فلسطين المحتلة (٨٧) ألف يهودي وذلك في الفترة من عام ١٩٧٩م إلى عام ١٩٨٣م .. حيث هاجر (٥١٫٣٣٠) منهم في ١٩٧٩م ، و (٢١٤٧٠) عام ١٩٨٠م ، و (٩٨٦٠) عام ١٩٨١م ، و (٢٧٠٠) عام ١٩٨٢م و (١٣٢٠) عام ١٩٨٣م .. يضاف إلى ذلك (٩٠٨) آخرون هاجروا خلال عام ١٩٨٤م ..

●● يؤكد بعض من تابعوا « عملية موسى » (الفلاشا) الأخيرة ، أن أولوية النقل كانت للأصحاء والشباب الصغار ، فدولة الكيان الصهيوني لا تستقبل إلَّا من كان قادراً على الحرب والبناء ..

International Herald Tribune

الدرس اللبنـــاني

■■ كان قرار الانسحاب الإسرائيلي من لبنان على ثلاث مراحل مثار اهتمام الصحف العربية والأجنبية . وبشكل عام رأت تلك الصحف في القرار انتصاراً للمقاومة اللبنانية ، واعترافاً إسرائيلياً ضمنياً بالهزيمة .

حول الموضوع كتبت

International Herald Tribune

في عددها الصادر في ٢٠ يناير [كانون الثاني] ١٩٨٤م ، تقول :

بينما كان « شارون » يصارع أمام القضاء الأمريكي في نيويورك ، لتخليص سمعته مما لحق بها إثر مجازر صبرا وشاتيلا ، كان زملاؤه في تل أبيب يتخذون قراراً بالانسحاب من لبنان في غضون تسعة أشهر . من يشاهد « شارون » أمام المحكمة في الدعوى التي أقامها ضد « تايم » الأمريكية يظن أنه يشاهد مسرحية . ولكن الانسحاب من لبنان أمر واقع .

لا يزال هناك من يدافع عن الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م ، وهؤلاء لا يرون إلّا إحدى نتائجه وهي خروج منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت وتشتت قواتها . ولكن هؤلاء يغفلون عن مصرع (٦٠٧) من الجنود الإسرائيليين وجرح (٣٥٠٠) آخرين ، حسب الإحصائيات الرسمية الإسرائيلية . هذا عدا الدمار الذي لحق بلبنان .

ولكن حقيقة الأمر أن «شارون» ورئيسه « بيغن» في ذلك الوقت أرادا من الغزو ليس « سلام الجليل » ، وهو اسم العملية ، وإنما إعادة رسم الخريطة السياسية اللبنانية بالقوة .

بعد خروج المنظمة من بيروت سعى «شارون» لفرض حكومة لبنانية صديقة لإسرائيل ، ولإخراج السوريين من لبنان ، ولإذلال الأغلبية الإسلامية وفرض « السلام الإسرائيلي » شمالي إسرائيل . وقد كانت هناك أهداف أخرى تتمثل في إنهاء أية معارضة فلسطينية لضم الضفة الغربية ، وإرهاب الأردن ليقبل بالسلام حسب الشروط الإسرائيلية .

ما الخطأ في شن حرب عدوانية من أجل السلام ؟ الحقيقة أن الواقع يتطلب توازناً بين الغايات والوسائل . إن لدى إسرائيل أسلحة كثيرة تكفي لشن حروب ، ولكن ليس لديها قدرة على احتلال مدن أجنبية ، أو إعادة تشكيل الوضع في أضعف مجتمع عربي . لقد تحول اللبنانيون في الجنوب ، الذين ظنت إسرائيل أنهم سيرحبون بها ، إلى أعداء أشداء لها .

هل معنى الانسحاب إذن أن إسرائيل تعلمت الدرس اللبناني ؟

وزير الدفاع الإسرائيلي «رابين» يقول : إن هناك عوامل معنوية ومادية تحتم الانسحاب ، لقد انحطت معنويات الجيش الإسرائيلي بسبب تكليفه بمهمة أمنية مستحيلة . وعداوة اللبنانيين لإسرائيل تفوق حتى عداوة الفلسطينيين .

ولكن أليس على الولايات المتحدة هي الأخرى أن تتعلم الدرس ؟ لقد تفادت واشنطون معارضة الغزو ، بل إنها تورطت فيما بعد في المستنقع ، حتى اضطرت للانسحاب .

خلاصـــة القـــول : أن أي تدخل عسكري أو سياسي بالقوة في الشرق الأوسط ، يعد تجاهلاً للواقع ، ويعتبر خطأ كبيراً . وقد عبر عن ذلك « إسحاق رابين » بقوله : « ... بعد عامين ونصف العام في لبنان تعلمنا الدرس الصعب وهو أن إسرائيل يجب ألّا تكون رجل شرطة هناك » .

كما علقت إحدى الصحف على الموضوع بقولها : « لقد تعبنا ، لقد استُنزفنا . ما لم يحدث لنا في اضطرابات ٣٦ - ١٩٣٩م ، وما لم يحدث لنا في حرب الاستنزاف على قناة السويس ، حصل لنا في لبنان » .

●● [تحذيـــر The Observer]

هـذا وقد حـذَّرت صحف أخرى من بينها « الأوبزرفر » البريطانية من احتمال عدم تنفيذ المرحلتين الثانية والثالثة من الانسحاب ، خاصة وأن الحكومة الإسرائيلية لم تحدد موعداً محدداً لهما ، بينما حددت موعداً واضحاً لاكتمال المرحلة الأولى هو ١٨ شباط (فبراير) من هذا العام .

واستندت الصحيفة الصادرة في ٢٠ يناير (كـانـون الثـاني) المـاضي ، إلى الأهميـة الاستراتيجية للمنـاطق التي تشملها المـرحلة الثانية من الانسحاب ، وخاصة قمة جبل الباروك . وتوقعت الصحيفة أن يبقى الإسرائيليون عند نهر الليطاني . وحتى في حالة الانسحاب إلى الحدود الدولية ، في المرحلة الثالثة ، فإنها ستبقي على « الجيتو » النصراني في الجنوب الذي تسيطر عليه ميليشيات العميل « أنطوان لحد » وتعتبر هذه الحالة شكلاً من أشكال الضم أو الاحتلال غير المباشر . ■■

الرَّائد العمـــل الإســـلامي والجماهـــير

■■ لا يمكن للعمل الإسلامي أن يحقق أهدافه القويمة الأصيلة إلا إذا التحم بجماهير المسلمين في كل مكان التحاماً قوياً . والالتحام بالجماهير لا يكون بالتحدث باسمها ولا بمجرد تفسير كل ما تصنعه أو كل ما يحركها حسبما يرضي صاحب التفسير . هذه سياسة من شأنها أن تعزز الوهم الخادع وتولد الإعجاب بالنفس ، وقد تسبب - إذا جد الجد - خيبات أمل شديدة الأثر ونكسات بعيدة الخطر .

ومن يستقرىء سيرة الرسول ﷺ يملأ قلبه الإعجاب وهو يرى تلك المراعاة للفطرة البشرية والتفاوت القائم بين الأفراد . فإلى جانب النخبة الأولى التي وصلت إلى القمة عقيدة وسلوكاً وتجرداً لله عز وجل في عملها وجهادها وتضحياتها ، كانت توجد أيضاً « الجماعات الجماهيرية الحاشدة » بلغة العصر الحديث ، التي جمع الإسلام لها بين ما تتطلع إليه في الحياة الدنيا من نعيم وما ينبغي أن تتطلع إليه في الآخرة من نعيم مقيم .

وكما أدت النخبة الأولى دورها من القمة التي وصلت إليها ، فكانت إنجازاتها أشبه بالمعجزات بالموازين البشرية ، فقد أدت تلك الجماهير أيضاً دورها ، فكانت على مر الزمن القاعدة التي قام عليها البناء الإسلامي بفتوحاته وحضارته فوصل إلى ما لا مثيل له على مرّ التاريخ .

ومطلوب من الدعوة الإسلامية اليوم إيجاد النخبة المطلوبة والتيار الجماهيري المنشود ، سواء بسواء ، حتى لا تنكفىء الدعوة على نفسها وتتقوقع داخل ذاتها . ■■

[العدد ٧٤]

الشرق الأوسط

أزمة إبداع أم عقول ؟

■■ هناك خوف اليوم على العقل العربي من كارثتين : المسلسلات التلفزيونية ومباريات كرة القدم .

المسلسلات التلفزيونية لا تقدم لنا سوى نماذج مشوهة للبشر ، فلا بد للإنسان أن يكون مختلاً عقلياً حتى يصبح الأنموذج والبطل في مسلسلاتنا التي لا تقدم غير النماذج المريضة سلوكياً وأخلاقياً واجتماعياً . ولا ندري لماذا تحول معظم كتّاب المسلسلات إلى هذه الأنواع من الكتابة . لم يعد هناك مسلسل واحد يضيف لعقل الإنسان شيئاً أو يجعله يتساءل أو يتحاور مع نفسه أو مع الآخرين .

هل الهدف من ذلك تخدير العقل العربي حتى يظل في غيبوبته وحتى يفقد كل مقومات وجوده ، أم أن الهدف هو زيادة نسبة الخلل في عقولنا ، وهي ليست بالقليلة ؟

الملايين تنفق سنوياً على مسلسلات هزيلة ، استوديوهات وممثلون وفنيون وقصص نقلها كتابها من محاضر الأقسام أو مصحّات الأمراض العقلية .

ويبحث الإنسان وسط هذا الحطام عن شيء يمكن أن يبني إنساناً وعقلاً جديداً ، فلا يجد أي شيء . وكلنا غارقون في مسلسلاتنا حتى نتثاءب وننام . أبسط الأشياء التي تتركها هذه المسلسلات في عقلك ووجدانك أنها تترك كماً كبيراً من الاكتئاب والملل من كل شيء في الحياة . فهل المطلوب أن نكتئب حتى لا نفكر لأننا إذا فكرنا احترنا وإذا احترنا تساءلنا وإذا تساءلنا لا بد أن نستخدم عقولنا . وليس المطلوب أن نستخدم عقولنا في هذا الزمن ؟ .

أما المشكلة الثانية وهي كرة القدم فقد جعلتنا نهتم بأقدامنا أضعاف ما نهتم بعقولنا وهذه كارثة . وليس المطلوب إلغاءها فهذا طلب غير منطقي ، ولكن المطلوب إعطاء العقل جزءاً ضئيلاً من الاهتمام في برامج التلفزيون .

حين نفكر في المستقبل سوف نكتشف أن مستقبل الكتاب سيكون كئيباً ، وأن الفيديو سيقضي على البقية الباقية من رغبة بعض الناس في القراءة ، لأنه أصبح الوسيلة الأولى للتسلية البريئة وغير البريئة في المجتمع العربي .

وأمام حصار التلفزيون والفيديو للإنسان العربي يبدو المستقبل مخيفاً : مسلسلات ومباريات طوال اليوم وأفلام إثارة طوال الليل ، وبعد ذلك نتساءل عن الثقافة والشعر والفكر . ونقول : الأزمة أزمة إبداع ، والحقيقة أن العقل العربي قد دخل مرحلة خطيرة نتيجة سقوطه في دوامة المسلسلات والمباريات وأفلام الفيديو . ■■

The Guardian :

إثيوبيا تقبل مساعدات إسرائيلية

■■ رغم الضجة الإعلامية التي أثارتها عملية نقل يهود الفلاشا من إثيوبيا إلى فلسطين المحتلة ، قبلت حكومة أديس أبابا لأول مرة المساعدات الإسرائيلية المقدمة باسم « نجمة داود » (ما يقابل الصليب أو الهلال الأحمر) .

وكانت مسألة هبوط طائرات إسرائيلية في مطار « أديس أبابا » لنقل المعونات ، مدار مفاوضات طويلة بين الصليب الأحمر الدولي والسلطات الإسرائيلية والإثيوبية . ولكن السلطات الإثيوبية سمحت مؤخراً بأن ترسو سفن إسرائيلية في ميناء « عصب » على البحر الأحمر لنقل المعونات .

البروفسور « أرييه هاريل » رئيس جمعية « نجمة داود » قال في مؤتمر صحفي عقده في تل أبيب : « نحن مصممون على نقل وجمع المعونات علناً . إننا حريصون على تقديمها كإسرائيليين وليس خفية أو بالسر » . ■

الدستور

الدعوة الإسلامية ووسائل الإعلام

■■ الرؤية الحقيقية للأمور ضرورة أساسية في تقويم أي عمل وفي علاج أية مشكلة ، وحتى نطور إيجابيات العمل الإعلامي ونقلص سلبياته ، لا بد لنا من الاعتراف بأننا نحن نشكل جزءاً كبيراً من المشكلة ، لأن ممارستنا للعملية الإعلامية في معظمها تقف عند حدود النقد والشتيمة . أما عملية المعاناة للمشكلة والممارسة الفعلية لها فهي لا تزال هامشية وبدائية في معظم جوانبها ، هذه واحدة .

أما الثانية فإننا بحاجة إلى حسن التصرف والمعرفة بأبعاد العملية الإعلامية ، وأن الطاقات البشرية تشكل القاعدة الأساسية ، فلا بد من العمل على توفير العنصر البشري الذي يستوعب العمل الإعلامي ويلم بجزئياته ويواكب تطوره . لذلك كان الاهتمام بالكوادر البشرية أمراً في غاية الأهمية لأن عدم وجود الطاقات البشرية القادرة يلغي كل شيء ، حتى لو توفرت كل التقنيات لنا من ساعات البث الإذاعي والتلفزيوني والمساحات الكبيرة من أعمدة الصحف والمنابر المختلفة .

أما الثالثة فإننا بحاجة إلى أن نتعرف على العناصر البشرية المؤثرة في الأجهزة الإعلامية وغيرها ، ونُعرِّفهم بما عندنا ، لأننا بحاجة إلى عملية تعارف واسعة تمحو من أذهان الناس كل الترسبات القديمة عن المعطيات الإسلامية ، كما يجب أن نتخلص من سلبياتنا في علاجنا للمشكلة وذلك بضرورة طرح البديل لإبطال التهم بإبراز الحقائق . وهنا تبرز عملية صعبة لأنها تضعنا أمام التجربة الحقيقية ، وتضع النظرية في مواجهة التحدي .

ما نزال ندعوا إلى كليات وعموميات قلما حاولنا أن ننظر فيها من خلال هموم الناس ومعاناتهم ومشكلاتهم ، ولا نزال عاجزين عن مد يد العون ومشاركة الناس همومهم ، بل إننا أحياناً نضيق عليهم في كثير من الأمور ، ونحرمهم حتى مما قد يتاح لهم في مجتمعاتهم دون أن نعطيهم البديل ، مما يؤدي إلى إرباكهم وأخذهم بالعزائم ، فتكون فرص الإحباط أكبر من فرص النجاح .

إن توفر هذه العناصر ووضوحها يشكل أولويات حاسمة وأساسية للعاملين في حقل الدعوة الإسلامية ، خاصة في المجال الإعلامي . ■

حل مسابقة العدد ٥٢

١ ـ المعنى الصحيح ونص الآية :

○ المقنطرة : المكملة

﴿ زُيِّنَ للنَّاس حُبُّ الشَّهوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ والْبَنينَ والْقَناطِيرِ الْمُقنْطَرةِ مِنَ الذَّهَبِ والْفِضَّةِ والْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ والأنْعَامِ والْحَرْثِ ذلكَ مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا واللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمآبِ ﴾ (آل عمران : ١٣)

○ شح : بخـل .

﴿ فاتَّقُوا اللَّـه مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأطِيعُوا وَأنْفِقُوا خَيْراً لِأنْفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نفْسِهِ فَأولئكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (التغابن : ١٦)

○ شطأه : فراخه .

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أشِدَّاءُ عَلى الْكُفَّارِ رُحماءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُم رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ في وُجُوهِهِم مِنْ أثَرِ السُّجُودِ ذلك مَثَلُهُمْ في التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ في الإنْجِيلِ كَزَرْعٍ أخْرَجَ شطْأهُ فَآزَرهُ فَاسْتَغْلَظ فَاسْتَوى عَلى سُوقِهِ ... ﴾ (الفتح : ٢٩)

○ خصاصة : حاجة وفقر .

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالإيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ في صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأولئكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر : ٩)

○ موضونة : منسوجة بعضها عن بعض .

﴿ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴾ (الواقعة : ١٥)

٢ ـ عثمان بن مظعون .

٣ ـ الصحابيان هما :

- أبو عبيدة عامر بن الجراح ، معاذ بن جبل .
- الطاعون هو : طاعون عمواس .
- وكان ذلك في العام الثامن عشر للهجرة .

٤ ـ الشاعر محمود حسن إسماعيل .

٥ ـ [المؤلف] : حسن الوزان .
[الكتاب] : وصف أفريقية .

٦ ـ الطفل : يملك براعم أشد حساسية في التذوق من الشاب والعجوز . لأن براعم التذوق في لسان الطفل أكثر عدداً .

أسماء الفائزين في مسابقة العدد ٥٢

الفائز الأول :
- محمد محبوب (الجزائر)

الفائز الثاني :
- الحيمر عبد السلام (المغرب)

الفائز الثالث :
- أم الخير (موريتانيا)

الفائز الرابع :
- جواهر عبد الله بن حسن (السعودية)

الفائز الخامس :
- أحمد بشار خالد (الإمارات العربية المتحدة)

الفائز السادس :
- المصطفى بن عبد الرحيم (موريتانيا)

الفائز السابع :
- سامي كمال بشير (الأردن)

الفائز الثامن :
- أسامة محمد السيد حسين (مصر)

الفائز التاسع :
- بوفكان عاشور (فرنسا)

الفائز العاشر :
- أنوار الله إنعام الله السلفي (الهند)

مسابقة الأمة

الجوائز

• الفائز الأول
خمسمائة ريَال قطري

• الفائز الثاني
ثلاثمائة ريَال قطري

• الفائز الثالث
مائتا ريَال قطري

• الفائز الرابع حتى العاشر
اشتراك مجاني بالمجلة لمدة سنة

■ ترسل الإجابات إلى ■
مجلة الأمّة
ص . ب ٨٩٣ ـ الدوحة ـ قطر

ويكتب على الغلاف :
مسابقة الأمة
ورقم العدد

مسابقة العدد ٥٤ السنة الخامسة

- قامــوس المســابقة :

كلمات من القرآن الكريم ، هل تعرف المعنى الصحيح لها من بين المعاني الواردة أمـام كل كلمة ؟

.. اذكر المعنى الصحيح ، ونص الآيـة التي وردت فيها :

● المَن	: شيء حلو يسقط في السحر على الشجر	العطاء	اسم نبات
● العفو	: الصغير	السهل	التقليد المتبع
● مكين	: قوي	متمكن	خاص المنزلة
● تترى	: من المواترة وهي المتابعة	تزداد	تنقص
● الكُنَّس	: الكثيرات	المظلمات	المستترات

٢ - أرسل رسول الله ﷺ أبا قتادة الأنصاري بسريتين : إحداهما إلى خضرة ، وهي أرض محارب بنجد ، وكانت في شعبان سنة ثمان للهجرة وفيها خمسة عشر رجلاً إلى غطفان ، وثانيتهما إلى بطن أضم في شهر رمضان من العام نفسه ، وفيها قتل مُحلِّمُ بن جُثَّامة عامرَ بن الأضبط بعد أن ألقى على المسلمين السلام .. وحين طلب محلم من رسول الله ﷺ أن يستغفر له قال رسول الله ﷺ له : لا غفر الله لك .. ما سبب هذه السرية الثانية ؟ وكيف كانت موتة محلم بعد ذلك ؟

٣ - مــــن هـــــو ؟ :

- ● شهـد بيعة العقبة مع السبعين من الأنصار .
- ● آخى الرسول ﷺ بينه وبين زيد بن الخطاب .
- ● قال بعد وفاة رسول الله ﷺ : « إني والله ما أحب أني مت قبله حتى أصدقه ميتاً كما صدقته حياً » .
- ● كان له موقف في سقيفة بني ساعدة .
- ● ثبت في معركة اليمامـة حتى استشهـد .

٤ - مـــن القائـــل ؟ ومــا المناسبـــــة ؟ :

يـا رافعـاً علـم الجـهاد وأمتي	مشغـولـةٌ بتنـاحـرٍ وخصـامِ
اضـرب بسيفـك فـالـرؤوس « وإن بـدت مـلأى »	مفـرغـة مـن الأحـلام
أو مـا تـرى - فيمـا تـرى - رؤسـاءهم	صـاروا عبيـد مـدامـة وغـرام
لجؤوا إلى الأعـداء ، مـا وجـدوا علـى	أعتـابـهـم إلَّا فتـاتَ طعـام
امـدد يـديـك إلـى حبـال رقـابـهـم	سـتـرى سَـراة القـوم كـالأنعـام
سـر فـالطـريـق طـويـلـة ، لكنـهـا	تفضـي إلـى عـزٍ وحسـنِ ختـام

٥ - مؤلـــف وكتـــاب :

[المؤلـــــف] :

- ● ولد بغـزة عام (١٥٠هـ) .
- ● صحح عليه الأصمعي أشعاراً للهذليين في مكة ، وتتلمذ عليه الإمام مالك في المدينة .
- ● له مكانة كبيرة عند أهل الحديث فهو واضع قواعد الرواية .
- ● قال عنه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : [ما عَلِمْنا المجمل من المفسر ، ولا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه حتى جالسناه ...] .

[الكتـــــاب] :

- ● ميز علم الفقه عن علم الأصول .
- ● وصفه المستشرقون بأنه كتاب الأصول « الكلاسيكية » .
- ● أُلِّـف مرَّتين : في الحجاز ، وفي مصر (وهو المتداول الآن)
- ● لم يكتبه المؤلف بيده ، وإنما أملاه على تلميذه الربيع بن سليمان .
- ● أسماه المؤلف « الكتاب » ، لكن اسمه الحالي شاع بين أهل عصره .. وبقي حتى الآن .

٦ - للبكور فوائد كثيرة ، ويقطف المزارعون ثمارهم عادة وقت الفجر ، وقبل شروق الشمس ، فما الحكمة من اختيار هذا الوقت لقطف النباتات ؟

اقرأ في الأعداد القادمة

- □ أين الخلل ؟ وقفة مع الحركة الإسلامية ...
الدكتور يوسف القرضاوي

- □ القصة القرآنية والأدب الإسلامي .
الدكتور نجيب الكيلاني

- □ التأكيد على فعالية الحوار
حسن فضل المولى دفع الله

- □ الالتزام بالواقعية في العمل الإسلامي .
محمد الصالح عزيز

- □ من سير الرجال :
حسن البنا رحمه الله
الدكتور حسان حتحوت

- □ التعليم في ديار الإسلام في حوار مع الدكتور حسين حامد مدير جامعة باكستان الإسلامية .
أجراه : رضا عكاشة

□□□□□□□□□□□□□□□□□

خواطر وأفكار

عالم الأفكار وعالم الأشياء

□□ الناظر في حياة الشعوب يمكنه أن يميز بين عالمين : عالم الأفكار وعالم الأشياء ، وأيهما أسبق من الآخر ، تلك قضية لم تحسم بعد ؟

فالمثاليون يرون الأسبقية للأفكار ، والماديون يرون الأسبقية للأشياء ، حتى قالوا بقدم المادة ، وأنها لا تستحدث ولا تفنى ، كما رفعوا شعار « لا وجود سوى المادة » فإذا قيل لهم : ما قولكم في الطاقة ؟ أجابوا : إنها وليدة المادة .

فإذا سألناهم : هل فتشتم الكون كله فلم تجدوا فيه شيئاً سوى المادة ؟ قالوا : هذا ما وجدنا ... قلنا لهم : إذاً عدِّلوا في الشعار ليكون معقولاً ، فقولوا مثلاً : « لا نعرف موجوداً سوى المادة » أو « لا نعلم موجوداً سوى المادة » .

وإذا سألناهم عن الطاقة وماهيتها ، قالوا : هي ما تقوم بنفسها ولا تحتاج لمؤثر خارجي .

قلنا : هذا التعريف يمكن أن يدخل فيه الله تعالى ، فهو قديم قائم بذاته ، ليس بحاجة إلى موجود في الخارج .

لنعد بعد هذا النقاش الخفيف إلى المجتمعات ومراقبة ما عندها من الأفكار والأشياء ، لنرى أن المجتمعات المتقدمة تملك الكثير من الأفكار والمزيد من الحاجيات ، أما المجتمعات المتخلفة فعلى العكس من ذلك ، فهي تملك القليل النادر من الأفكار وقد تملك المزيد من الحاجيات أو لا تملك .

إن غنى المجتمع لا يقاس بما يملك من الحاجات ، بل بما عنده من الأفكار . فهي الأشد خطراً ، لأنها أساس ثقافة المجتمع ، لذا فإن تخلخلها أو اضطرابها أو تناقضها أو انحرافها قد يسقط المجتمع كلياً ، ولكن تلف الأشياء الموجودة في مجتمع ما لا يؤدي لمثل هذه الكارثة .

لعل أقرب الأمثلة على ذلك ما حدث لليابان وألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية ، فقد خرجت الدولتان مهزومتين كأبشع ما تكون الهزيمة ، وفقدت كل منهما الملايين من خيرة شبابها ، كما دمِّرت مدنها ـ خصوصاً ألمانيا ـ تدميراً يكاد يكون كاملاً ، وفككت المصانع ونهبت ، حتى المعلومات والأبحاث سُرقت ، ومع ذلك حدث شيء يثير الدهشة حقاً ، فبعد سنوات قليلة صارت اليابان وألمانيا أكثر تقدماً من تلك الدول التي كانت هي الغالبة .

وفي تاريخنا مرَّت تجربة ذات دلالة مماثلة ، فحين هجم التتار والمغول دمروا ما استطاعوا من الأشياء ، حتى رموا كتبنا في دجلة ، وبعض الناس يتشكك في هذا ، ولدينا دليل مادي هو كتاب في مكتبة الشيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد ، قد أخذ من تلك الكتب ، وسطر من أخذه تلك الواقعة التاريخية عليه ، ليكون شاهداً بما جرى لأمثاله .

المهم : إن عالم الأشياء تحطم ، وإن هرماً من جماجم شعبنا قد صُنع ، ولكن أفكارنا قد انتصرت وغيَّرت كل شيء حتى حوَّلت الغازي إلى إنسان مسلم ، فتحول الغالب ـ ربما لأول مرة في التاريخ ـ إلى دين المغلوب واعتنقه ، وتحوَّل ذلك الإعصار المدمر إلى إنسان متحضر ، يبني ويعمر ويدعو إلى الله ؛ ومن قوة غازية مخربة إلى قوة حفظ وردع لأعداء شعبنا وأمتنا .

واليوم في العالم قوى كبيرة تملك الكثير من الأفكار ، وأكثر من ذلك من الأدوات والمخترعات .

فهل نستطيع كأمَّة أن نقف أمام قوة أمريكا وروسيا ؟ هل نستطيع أن نطمع أن نتغلب على صناعة اليابان أو الألمان أو الروس أو الأمريكان ؟

هل نستطيع أن نجالد هذه الأمم المتقدمة ، وعندها ما عندها ، ونحن لا نزال من دول العالم الثالث المتخلف أو المتمزق ؟ من الحماقة والكذب أن نتصور ذلك .

بإمكاننا مثلاً أن نقف أمام الرأسمالية كفكرة ونناقشها ونبيِّن نقائصها ، وأن نقف أمام الماركسية كفكرة فننقدها ونبين ما لدينا من أفكار . وبهذه الوسيلة نقف ونحفظ استقلالنا ، مدركين أن التهديد الجاد اليوم هو للأفكار ، وعندنا منها رصيد ، أما الأشياء فلدى الكبار الكثير الكثير ، وليس لدينا إلَّا النزر اليسير .

الناظر في تاريخ اليهود يجدهم قد فقدوا دولتهم منذ آلاف السنين ، وتفرقوا في العالم ـ بكل جهاته ـ ولم يكن معهم شيء سوى الأفكار ـ مع قطع النظر عن صلاحها وعدمه ـ وبفضل تلك الأفكار حافظوا على وجودهم المستقل ، ولم يذوبوا ، كما ذابت أمم جاءت بعدهم .

وها هم اليوم يعودون لتأسيس دولتهم وإحياء لغتهم ، بل يتوسعون يومياً على حساب غيرهم ، ويستخدمون أكبر الدول خادماً لهم ولأغراضهم ، أتراهم فعلوا كل هذا بفضل خزن الكثير من عالم الأشياء ، أم التمسك بما لديهم من عالم الأفكار ؟

لقد انتهى عصر الاستعمار الاستيطاني ، الذي يغتصب الأرض وينهب الخيرات ـ باستثناء إسرائيل ـ وحلّ مكانه استعمار جديد خبيث ، يستوطن العقول والقلوب ، يكون فيه الْمُسْتَعْمَرُ راضياً ـ وربما سعيداً ـ لأنه يجمعه مع مستعْمِره فكرة واحدة ، أو نظام واحد ، أو هكذا يتصور .

لذا وجدنا في عالم اليوم من يعمل ضد وطنه وأمته ، ويخدم أمة معادية ، لأنه يعتنق عقيدة وفكرة تلك الدولة ، وقد شهدت المجتمعات الغربية ـ ولا تزال ـ العديد من الجواسيس الذين يعملون لصالح روسيا ضد دولهم وشعوبهم ، بسبب من قناعتهم وعقيدتهم ، كما نجد في روسيا وأوروبا الشرقية من يفعل مثل ذلك لصالح الغرب .

وأخلص إلى النتيجة التالية : إن عالم الأفكار خطر ، والتغيير فيه له أثر عظيم وكبير ، كمن يغير دمه .. أما عالم الأشياء فأقل من ذلك أهمية بكثير ، وهو كمن يغير ملابسه أو داره .

والشيء الذي يؤرِّق النفس : أننا صرنا نهتم بعالم الأشياء أكثر من عالم الأفكار ، نهتم بأدوات التحضر أكثر من اهتمامنا بأسباب التحضر . فمن يغير لنا في أطراف المعادلة ، ويصلح لنا المسار قبل أن نتحول إلى مستهلكي حضارة ، بعد أن كنَّا يوماً من منتجيها وروادها ؟ □□

---

(١) أساس التقسيم قال به مالك بن نبي رحمه الله .

بقلم : الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي

صدر :

كتاب الأمّة
Al Ummah

٩

أدب الاختلاف في الإسلام

الدكتور طه جابر فياض العلواني

□□ حري بنا ، ونحن نعيش الشتات في امورنا كلها ، ان نعود إلى فيء تلك الدوحة المباركة ، ونلتقي على الآداب الكريمة التي خلفها لنا سلفنا الصالح إن كنّا جادّين في السعي لاستئناف الحياة الإسلامية الفاضلة .

□□ لقد خاف كثير من الصلحاء ان يلج باب الاجتهاد من لا يصلح له ، فقد تصدى للفتيا رجال صُنعوا على أعين السلطان فاصبحوا يلوون اعناق النصوص إلى حيث مالت بهم رياح الهوى ، وتفاوت العلماء بين مرخص ومتشدد ، وخشي صلحاء الامة على مصيرها ومصير دينها ، وبدؤوا يبحثون عن العلاج فلم يجدوا منفذاً للخلاص إلاّ في إلزام الامة بالتقليد ، ويالها من أزمة يكون المخرج منها درك التقليد !!

□□ إذا كانت للأئمة المجتهدين أسباب تسوغ اختلافهم ، وتساعد على وضعها ضمن ضوابط الاختلاف ، فإن أرباب الاختلاف المعاصرين لا يملكون سبباً واحداً من أسباب الاختلاف المعقولة ، فهم ليسوا بمجتهدين ، وكلهم مقلدون بمن فيهم أولئك الذين يرفعون اصواتهم عالياً بنبذ التقليد ونفيه عن انفسهم ...

□□ ما يحز في النفس ان يعمل بعض ابناء المسلمين على تحطيم اجنحة الصحوة الإسلامية وتكبيلها بقيود الاختلاف غير المنضبط حول ما يستحق وما لا يستحق ، الامر الذي شغل المسلمين بانفسهم ، وبدد الكثير مّن طاقاتهم ، وخلط امامهم الأشياء خلطاً عجيباً جعلهم لا يفرقون بين الهنات والهنّات وعظائم الامور ، وبين يسيرها وجليلها ، فكيف يمكن لقوم هذا شانهم ان يعالجوا قضاياهم حسب اهميتها ، وان يرتبوا الامور بشكل يجعلهم قادرين على استئناف مسيرة الحياة الإسلامية ؟!

يطلب من وكلاء توزيع الأمّة في العالم

■■ أليس من الغريب حقاً في عالم اليوم أن تُقْبَل اليهودية بوجهها الصهيوني عقيدةً دينية عنصرية متعالية ، ويُحَارَبَ الإسلام ويُتهم أصحابه بالتطرف ، ويُرْفَضَ عقيدة مدافعة لرد العدوان و إعادة الحقوق المغتصبة إلى أهلها ؟! ولو كان هذا مقتصراً على الأعداء لهان الأمر وبدا طبيعياً نوعاً ما ، لكن المشكلة أن تتسلل بعض المقولات والمغالطات إلى عالم المسلمين ، فيسقط بعضهم في الفخاخ المنصوبة له ، ومن ثَمَّ يحاول إقصاء العقيدة المجاهدة والطاقات الإسلامية الفاعلة عن ساحة المعركة بالدعوة إلى الدولة العَلمانية (اللادينية) والبدء بممارسة ذلك عملياً عن طريق مشاركة بعض أجنحة العدو في تشكيل المؤسسات المهنية والعقيدية تحت شعار التقدمية والعالمية متجاهلاً في ذلك التاريخ والواقع معاً . ■■

مجلة الأمة - Al Ummah

العدد ٥٤ الس